

الوسطية في الفكر الإسلامي

مقدمة من

أريج إبراهيم سعيد صبري

بكالوريوس تاريخ / فرع شريعة / جامعة اليرموك / اربد / الأردن

المشرف: د. حمزة ذيب مصطفى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات
الإسلامية المعاصرة

الدراسات العليا / الدراسات الإسلامية / جامعة القدس

10 / آب 2004م

الموافق 24 / جمادى الآخرة 1425هـ

برنامج الدراسات الإسلامية /

كلية الآداب

عمادة الدراسات العليا

القدس

الوسطية في الفكر الإسلامي

الطالبة : أريج إبراهيم سعيد صبري

الرقم الجامعي : 9810512

إشراف : د. حمزة ذيب مصطفى

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2004/8/10م

من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم :

التوقيع

1. د. حمزة ذيب : رئيس لجنة المناقشة

التوقيع

2. د. محمد عساف : ممتحنا داخليا

التوقيع

3. د. حلمي كامل عبد الهادي : ممتحنا خارجيا

جامعة القدس

(2003م . 2004 م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ {163}

سورة الأنعام

الوسطية في الفكر الإسلامي

مقدمة من

أريج إبراهيم سعيد صبري

بكالوريوس تاريخ / فرعي شريعة / جامعة اليرموك / اربد / الأردن

المشرف: د. حمزة ذيب مصطفى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات
الإسلامية المعاصرة

الدراسات العليا / الدراسات الإسلامية / جامعة القدس

10 / آب 2004م

الموافق: 24 / جمادى الآخرة 1425هـ

الفصل الأول

تعريف الوسطية ومعانيها اللغوية والشرعية

المبحث الأول : الوسطية لغة

المبحث الثاني : الوسطية في القرآن الكريم

المبحث الثالث : الوسطية في السنة النبوية

المبحث الرابع : الوسطية عند الأصوليين و الفقهاء

المبحث الخامس : الوسطية في القواعد الفقهية

المبحث الأول

الوسطية في اللغة

للوسطية معانٍ متعددة ذكرتها معاجم اللغة العربية منها الوسط بين شيئين ، أو بين أمرين
والوسطية تعني أيضا : العدل ، الخير ، الأفضل ، الأحسن ، ...

جاء في (النهاية في غريب الحديث) : الوسط بالسكون يقال فيما كان متفرق الأجزاء غير
متصل كالناس والدواب ، أما إذا كان متصل الأجزاء كالدار أو الرأس فتأتي بفتح السين وعلى
هذا قيل (كل ما يصلح فيه بين فهو بالسكون وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح) .^(١)

وجاء في لسان العرب : وسط الشيء ما بين طرفيه ، ومنها قول الشاعر :

إذا رحلت فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيق العندا^(٢)

فكل موضع صلح فيه بين فهو وسط كقولنا جلست وسط القوم بالتسكين لأنه ظرف ، وإن لم
يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك لأنه اسم ، كقولنا جلست وسط الدار ، وقبضت وسط الحبل
وكسرت وسط القوس ، ونقول وسط رأسك صلب لأنه اسم ، ونقول ضربت وسطه لأنه مفعول به
بعينه ، ونقول حفرت وسط الدار بئرا إذا جعلت الوسط كله بئرا .

وقد يأتي الوسط صفة وإن كان أصله أن يكون اسما من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره
كوسط المرعى خير من طرفيه .

ويقال : وسطت القوم أوسطهم وسطا وسطة أي توسطتهم . ووسط الشيء وتوسطه : صار في
وسطه .^(٣)

^١ . ابن الأثير ، الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ، (544هـ - 606هـ) ، النهاية في غريب الحديث / ج5 ، ص138 ، تحقيق
محمود محمد الطناحي ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، (1399هـ - 1979م) .

^٢ . العندا : المائل عن القصد ، العند : الجانب يقال : " هو يمشي وسطا لا عندا " أي لا جانبا ، المنجد في اللغة والأعلام ، باب عند ،
ص532 - ص533 .

^٣ . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب / م7 ، ص426 - ص427 ، دار الفكر ،
بيروت ، د. ط ، د. ت .

ووسط الشمس : توسطها في السماء

وواسطة القلادة : الدرة التي في وسطها وهي أنفـس خـرزها ، وأما قول الأعرابي للحسن : "علمني

دينا ووسطا لا ذاهبا فروطا ولا ساقطا سقوطا " . قال ابن الأثير في الحديث كل خصلة

محمودة فلها طرفان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير .

يقال فلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا قال العرجي :

كأنني لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو

والتوسيط : أن تجعل الشيء في الوَسَطِ ، وتأتي بمعنى قطع الشيء نصفين ، والتوسط من

الناس : الوساطة ، ومرعى وسط أي خيار ، ووسط الشيء وأوسطه : أعدله ، ورجل وسط

ووسيط : حسن من ذلك ، وصار الماء وسيطة : إذا غلب عليه الطين .

ويقال شيء وسط بين الجيد والرديء . (١)

وجاء في أقرب الموارد : وسط القوم والمكان جلس وسطهم فهو (واسط) ، والرجل قومه وفيهم

وساطة أي توسط الحق والعدل .

والوسط محركة : المعتدل يقال شيء وسط بين الجيد والرديء ورجل وسط : حسن ، جعلناكم

أمة وسطا : أي عدلا خيارا طرفيه ، والوسط بالتسكين حرف بمعنى بين يقال جلست وسط القوم

أي بينهم ، والصلاة الوسطى : المتوسطة بين الطول والقصر ، والوسيط أي أوسطهم نسبا

وأرفعهم محلا ، والأوسط أي المتوسط المعتدل من أوسط ما تطعمون أي وسط بمعنى المتوسط

. (٢)

^١ . ابن منظور ، لسان العرب / م7 ، ص 428 - ص 432
^٢ . الشرتوني ، سعيد الخوري ، أقرب الموارد / ج2 ، ص 1450 - ص 1451 ، مطبعة مرسلبي اليسوعية ، بيروت ، ط 1 ، 1989م

وفي معجم مقاييس اللغة : باب الواو والسين وما يتلثهما

(وسط) الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه

ووسط القوم بسكونها وهو وسطهم حسبا : إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا . (١)

وفي مختار الصحاح : (وسط) القوم من باب وعد و(وسطاً) أيضا بالكسر أي (توسطهم)

والإصبع (الوسطى) والتوسيط أن يجعل الشيء في الوسط و(واسطة) القلادة الجواهر الذي

في وسطها وهو أجودها . ونقول جلست وسط القوم بالتسكين لأنه ظرف وجلست في وسط الدار

بالتحريك لأنه اسم . (٢)

وأما في القاموس المحيط : الوسط محركة : من كل شيء أعدلته وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي

عدلا خيارا وواسطة الكور وواسطه مقدمه ، والواسط الباب ووسطهم كوعد وسطا ووسطة جلس

وسطهم كتوسطهم وهو وسيط فيهم أي أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا ، والوسيط المتوسط بين

المتخاصمين ، ووسط الشيء محركة ما بين طرفيه كأوسطه فإذا سكنت كانت ظرفا فكل موضع

صلح فيه بين فهو بالتسكين وإلا فبالتحريك . (٣)

وجاء في تاج العروس: الوسط محركة من كل شيء أعدلته ، ومنه قوله تعالى " وكذلك جعلناكم

أمة وسطا " قال الزجاج : وفيه قولان ، قال بعضهم : أي عدلا ، وقال بعضهم : خيارا .

واللفظان مختلفان والمعنى واحد ، لأن العدل خير ، والخير عدل (٤)

١ . زكريا ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، - 395 ، معجم مقاييس اللغة /ج6 ، ص108 ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط2 ، (1392 هـ - 1972 م)

٢ . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر / ت 666 هـ ، مختار الصحاح ، ص 720 ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، د.ت.

٣ . الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ، القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة / ج 2 ، ص 391-392 ، جمعها الشيخ نصر الهويني ، المطبعة الحسينية ، مصر ، ط1 ، 1330 هـ.

٤ . الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس / ج 20 ، ص 167-173 ، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، (1409 هـ - 1989 م)

وفي الحديث " أتى رسول الله وسط القوم أي بينهم . ولما كانت بين ظرفا كانت " وسط ظرفا ولهذا جاءت ساكنة الأوسط . (١)

وخلاصة القول أن هنالك معان عدة للوسطية لكنها متقاربة في مدلولها ، وعند التأمل في حقيقتها (٢) نجد كلمة الوسط تضبط في وجهين : (٣)

وسُط : بتسكين السين إذا كان ظرفا بمعنى بين ، مثال ذلك "جلست وسط القوم أي بينهم " وسَطَ : وتأتي بمعان مختلفة :

فتأتي اسما : إذا كانت بين طرفي الشيء كقولنا قبضت وسط الحبل .

وتأتي صفة : بمعنى (خيار ، أفضل ، أجود) فأوسط الشيء أفضله وخياره ، كوسط المرعى خير من طرفيه وواسطة القلادة : الجوهر الذي في وسطها وهو أجودها .

وتأتي بمعنى البينية : بين الجيد والرديء ، أو بين أمرين أو شيئين ، فيقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء .

وتأتي بمعنى (عدل) : فالوسط يدل على العدل ، وأن أعدل الشيء أوسطه . (٤)

ويقال وسط لما له طرفان مذمومان يراد به ما كان بينهما سالما من الذم ، مثال ذلك السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن .

ويقال وسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ، يقال وسط المدينة آمن لأنها بعيدة عن الأعداء ، ويقال وسط القبيلة لصميمها ، ولذلك جعل من

لوازم الوسطية العزة والخيار والنفاسة . (٥)

١ . الزبيدي ، تاج العروس /ج20، ص167-173

٢ . العمر ، د. ناصر بن سليمان ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص13، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط1 ، 1413هـ.

٣ . الصلابي ، د. علي محمد الصلابي (المصري) ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 15 ، دار النفائس/ دار البيارق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، (1419هـ - 1999م) . باعبدالله ، د. محمد باكريم محمد ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص 15 ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، (1415هـ - 1994م)

٤ . الصلابي ، المرجع نفسه ، ص15-19 ، باعبدالله ، المرجع نفسه ، ص 15 - 18

٥ . العمر ، المرجع السابق ، ص17

وهناك معان أخرى للوسطية :

وسوط الشمس : توسطها السماء .

وسوطا : المتوسط المعتدل .

الوسيط : المتوسط بين المتخاصمين ، ووسيطا في قومه : أي حسيبا شريفا .

التوسيط : تجعل الشيء في الوسط ، أو قطع الشيء نصفين . (١)

التوسط بين الناس من الوساطة وهي الشفاعة . (٢)

" وكيفما تصرفت هذه اللفظة نجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية

والنصف والبيئية والتوسط بين الطرفين " . (٣)

وأرى أن ماله علاقة بموضوعنا هو ما جاء بمعنى البيئية والخيرية معا فما جاء بينا ليس شرطا أن يكون خيرا وما كان خيرا لا يأتي دائما بينا فالصدق نقيضه الكذب ، فحتى ينطبق الوسط في اللغة على معناه الاصطلاحي لا بد من توفر أساسين فيه هما " البيئية " و " الخيرية " وسيأتي في فصول قادمة ضوابط أخرى للوسطية في الإسلام .

^١ . الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، باعده الله ، وسطية أهل السنة بين الفرق، العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 14 -

ص16

^٢ . العمر ، المرجع نفسه ، ص16

^٣ . باعده الله ، المرجع السابق ، ص17، الصلابي المرجع السابق ، ص17

المبحث الثاني

مفهوم الوسطية في القرآن الكريم

سأقتصر في هذا المبحث على الآيات التي تضمنت لفظ (الوسط) ، لبيان معناها الاصطلاحي كما بينه المفسرون ، أما الآيات الدالة على الوسطية فتأتي في سياق البحث ، تحتوي آيات القرآن الكريم على خمسة مواضع فقط ذكرت فيها لفظ الوسط صراحة (وسطا) (الوسطى) (أوسط) (أوسطهم) (فوسطن) .^(١)

قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }^(٢)

وجاء تفسير هذه الآية بمعان متعددة (1) فقد جاءت بمعنى العدل (2) الخيرية (3) والتوسط بين شيئين . " وكل من هذه المعاني الثلاثة صحيح ، والآية صالحة للجميع ، وهي معان متلازمة مترابطة " .^(٣)

" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ " .^(٤)

قال ابن قتيبة : جعلناكم أمة وسطا أي عدلا خيارا ومنها قول الشاعر :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

^١ . الصلابي ، الوسطية في القرآن ، ص 20

^٢ . سورة البقرة / آية 143

^٣ . باعبد الله ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص 160 - ص 162

^٤ . رواه البخاري / ج 2 / أحاديث الأنبياء / (3) قول الله عز وجل " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه " هود / 25 / 3339 ، ص 641

ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وعلى آله " هو أوسط قريش نسبا " وأصل هذا أن خير الأشياء
أوساطها وأن الغلو والتقصير مذمومان . (١)

وقال ابن كثير : " وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } أي : إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم
خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط
ههنا الخيار، والأجود كما يقال : قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي خيرها، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل
الصلوات وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها: ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصها
بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: {هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ } (٢)(٣)

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : كذلك جعلناكم أمة وسطا : أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق
الأمم ، والوسط : العدل ، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها (٤) ، وأورد حديث أبي سعيد
الخدري للاستدلال على تفسير هذه الآية .

وقال النسفي " {أُمَّةً وَسَطًا } خياراً. وقيل: للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل
والأوساط محمية أي كما جعلت قبلكم خير القبل جعلتكم خير الأمم، أو عدولاً لأن الوسط عدل
بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. أي كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق
والمغرب جعلناكم أمة وسطاً بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلو النصاري حيث وصفوا

١ . ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (213هـ - 276هـ) ، تفسير غريب القرآن ، ص 64 ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، د . ط ، (1398هـ - 1978م)

٢ سورة الحج / آية 78

٣ . ابن كثير ، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي / ت 774هـ ، تفسير القرآن العظيم / ج 1 ، ص 35 ،
أشرف على طبعتها وتصحيحها لجنة من علماء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، (1389هـ - 1970م)

٤ . القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي / ج 2 ، ص 153 ، عن طبعة دار
الكتب المصرية ، دار القلم ، القاهرة ، ط 3 ، (1386هـ - 1966م)

المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا ... " (١)

وقال سيد قطب : " إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم . " " وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد أو من الوسط بمعناه المادي الحسي " . ويفصل سيد قطب في تفسيره " أمة وسطا " فيقول : " أمة وسطا في التصور والاعتقاد وفي التفكير والشعور ، وفي الارتباطات والعلاقات ، وفي التنظيم والتنسيق ، ووسطا في الزمان والمكان . (٢)

ويقول الصابوني " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " أي أمة عدولا خيارا . (٣)

ويقول الصاوي " أي كما هديناكم جعلناكم أي فمن الله عليهم بمنتين الأولى الهداية ، والثانية جعلهم خيارا عدولا " وسطا " هو في الأصل المكان الذي استوت إليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الخصال الحميدة ، فالمعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خيار عدول . (٤)

وبهذه الآية يتضح لنا أن أمة الإسلام هي خير الأمم وأفضلها لما أنعم الله عليها بنعمة البينية والخيرية ، ببينية المكان فالكعبة المشرفة قبلة المسلمين هي في وسط الكوكب الأرضي ، تتوسط دنيا الناس شرقا وغربا شمالا وجنوبا . وببينية الزمان فلم تأت في أول التاريخ البشري ولا في آخره بل جاءت في الوسط لتكون مصدقة لما سبق من الشرائع وشاهدة على ما حصل بها من

١ . النسفي ، الإمام الجليل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي ، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل / ج 1 ، ص 95 ، دار الكتب العربي ، بيروت ، د. ط ، د. ت .
٢ . قطب ، سيد ، في ظلال القرآن / ج 1 ، ص 130 - ص 131 ، دار الشرق ، ط 9 ، (1400 هـ - 1980 م) . الأميري ، عمر بهاء الدين ، وسطية الإسلام وأمنه في ضوء الفقه الحضاري ، ص 44 ، دار الثقافة ، الدوحة ، ط 1 ، (1406 هـ - 1986 م)
٣ . الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير / ج 1 ، ص 101 ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 2 ، (1401 هـ - 1981 م)
٤ . الصاوي ، الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المغربي الخلوتي المالكي / 175 هـ - 241 هـ ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين / ج 1 ص 86 ، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1415 هـ - 1995 م)

التحريف والتبديل لكلام الله ومنهجه ، وحارسة لرسالة الإسلام الخالدة ومهيمنة على جميع شرائع الأرض بعدلها وفضلها وخيرها ، وخيرية بعقيدتها وشريعته : بشمولها وكمالها ويسرها فاستحقت أن تكون شامة بين الأمم . (١)

و يعلق الأميري على هذه الآية " وهكذا كانت أمة الإسلام " أمة وسطا " ، وسطا بكل معاني الكلمة : شرفا .. وإحسانا .. وفضلا .. وتوازنا .. واعتدالا .. وقصدا .. وعقيدة .. ونظاما وشريعة .. ومنهاجا .. ومناخا .. وموقعا في الأرض .. وتاريخا . (٢)

" ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها ، فهو منهج وسط لأمة وسط . منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط ، أو من الغلو والتقصير . " (٣)

قال تعالى : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } (٤)

" عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَبَسُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبَيُوتَهُمْ أَوْ أَجْوَأَهُمْ شَكَّ يَحْيَى نَارًا " (٥) وعن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صلاة الوسطى صلاة العصر " (٦)

فحديث الرسول واضح في تعيين صلاة الوسطى أنها العصر وعليه اعتمد جمهور العلماء وهذه مجموعة من أقوالهم :

١ . هاشم ، د. أحمد عمر ، وسطية الإسلام ، سلسلة كتب التصوف الإسلامي / الكتاب الثاني والأربعون ، ص 9 ، بتصرف د.د. د.ط ، د.ت.

٢ . الأميري ، وسطية الإسلام وأمته ، ص 44

٣ . القرضاوي ، د. يوسف ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 122 ، ص 7 ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، الناشر مكتبة وهبة / القاهرة ، ط 1 ، (1397 هـ - 1977 م)

٤ . سورة البقرة / آية 238

٥ . رواه البخاري / ج 3 / تفسير القرآن / (42) حافظوا على الصلوات الوسطى / 4533 ، ص 328 . ورواه مسلم / المساجد ومواضع الصلاة / (36) الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر / 205 / ص 287 " فَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَقَدْ ذَكَرَ الْحَدِيثُ بِرَوَايَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي نَفْسِ الْبَابِ مِنْهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَأَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا أَوْ قَالَ حَسْنَا اللَّهُ أَجْوَأَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا " حديث 206 ، ص 287 "

٦ . أخرجه ابن بلبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي / ت 739 هـ ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان / ج 5 / 1746 ، ص 41 ، حققه شعيب الأرنؤوط وقال حديث إسناده صحيح

وأورد القرطبي اختلاف العلماء في قوله (والصلاة الوسطى) على عشرة أقوال فمنهم من قال إنها : صلاة الظهر ، أو العصر ، أو المغرب ، أو العشاء ، أو الصبح ، أو الجمعة
ورجح القرطبي أنها صلاة العصر وبين الأدلة التي استند عليها في هذا الرأي " لأن قبلها صلاتي نهار وبعدها صلاتي ليل ، وممن قال أنها وسطى علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وهو اختيار أبي حنيفة وأصحابه وقاله الشافعي وأكثر أهل الأثر وإليه ذهب عبد الملك بن حبيب واختاره ابن العربي في قبسه ^(١) وابن عطية في تفسيره وعلى هذا القول الجمهور من الناس واحتجوا بالأحاديث في هذا الباب " . ^(٢)
وقال سيد قطب : أما الصلاة الوسطى فالأرجح من مجموع الروايات أنها صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ^(٣) . الحديث سالف الذكر ..

قال تعالى : { فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ } ^(٤)
جاء في تفسير الطبري : " قال ابن زيد في قوله: مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ قال: من أوسط ما تعولونهم .

قال : وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك مدًّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة . قال ابن زيد: هو الوسط مما يقوت به أهله، ليس بأدناه ولا بأرفعه " ويتابع : " وقال آخرون: إنما عنى بقوله: مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ: من أوسط ما يطعم المكفّر أهله. قال: إن كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة، وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره . وأولى الأقوال في تأويل قوله: مِنْ

^١ . القيس شرح موطأ مالك بن أنس
^٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج3، ص208 - ص213 ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط3 ، (1387هـ - 1967م)
^٣ . قطب ، في ظلال القرآن / ج1، ص257
^٤ . سورة المائدة / آية 89

أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ عِنْدَنَا قَوْلٍ مِنْ قَالَ: مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ فِي الْقَلَّةِ وَالكَثْرَةِ.

وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلها بذلك وردت.... " (١)

وقال القرطبي: الوسط هنا يعني منزلة بين منزلتين ونصفا بين طرفين، (٢) "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ

كَانَ الرَّجُلُ يَفُوتُ أَهْلَهُ فُوتًا فِيهِ سَعَةٌ وَكَانَ الرَّجُلُ يَفُوتُ أَهْلَهُ فُوتًا فِيهِ شِدَّةٌ فَنَزَلَتْ (مِنْ أَوْسَطِ مَا

تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) . (٣) " وهذا يدل على أن الوسط ما ذكرناه وهو ما كان بين شيئين " . (٤)

وقال النسفي: " لِمَنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ { أي غداء وعشاء من ير إذ الأوسع ثلاث

مرات مع الإدام ، والأدنى مرة من تمر أو شعير " . (٥)

أما الصابوني فقال: " فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم " أي كفارة

اليمين عند الحنث أن تطعموا عشرة مساكين من الطعام الوسط الذي تطعمون أهليكم ، قال ابن

عباس: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم ، وقال ابن عمر: الأوسط الخبز والتمر والخبز

والزبيب ، وخير ما نطعم أهلينا الخبز واللحم " . (٦)

قال تعالى: { قَلَّ أَوْسَطُهُمْ } (٧)

قال الطبري: " أوسطهم أي أعدلهم ، قال قتادة: أوسطهم أعدلهم قولا ، وكان أسرع القوم فرعا

وأحسنهم رجعة " . (٨)

وجاء في تفسيرها: " أوسطهم وأعدلهم وأصلحهم " . (٩)

١ . الطبري ، جامع البيان / ج 5 ، ص 23

٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 6 ، ص 276

٣ . رواه ابن ماجة / الكفارات / (10) من أوسط ما تطعمون أهليكم / 2113 ، ص 364 ، حققه الألباني وقال حديث صحيح الإسناد.

٤ . القرطبي / المرجع السابق ، ص 267

٥ . النسفي ، تفسير النسفي / ج 1 ، ص 300

٦ . الصابوني ، صفوة التفسير / ج 1 ، ص 363

٧ . سورة القلم / آية 28

٨ . الطبري ، جامع البيان / ج 7 ، ص 381

وجاء في تفسيرها أيضا : أوسطهم أي خيرهم فعلا وأعدلهم قولا . (٢)

قال تعالى : { فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا } (٣)

ذكر المفسرون أنها بمعنى التوسط في المكان (٤) وقال الطبري في تفسيرها : أي " فوسطن بركبانهن جمع القوم ، تقول وسطت القوم ووسطته " . (٥)

وقال القرطبي : " وسطن أي فوسطن بركبانهن العدو ، أي الجمع الذي أغاروا عليهم وقال ابن مسعود : " فوسطن به جمعا " يعني مزدلفة ، وسميت جمعا لاجتماع الناس ويقال وسطت القوم أوسطهم وسطا وسطة ، أي صرت وسطهم ويقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم : بمعنى واحد. وقيل : معنى التشديد : جعلها الجمع قسمين والتخفيف تعني : صرن في وسط الجمع . (٦)

" وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب . (٧)

من خلال تفسير الآيات السابقة يتضح لنا أن كلمة وسط جاءت بعدة معان وجميعها لا يخرج عن المعنى اللغوي لها : ففي سورة البقرة جاءت وسط : بمعنى العدل . وفي سورة المائدة اختلف في تفسير " أوسط " بعدة أوجه : منها : الأفضل ، وبين القليل والكثير ، وبين الجيد والرديء ، أو الشدة والسعة ، وجميعها معان للوسطية ، أما كلمة " أوسطهم " في سورة القلم اتفق المفسرون

١ . قطب ، في ظلال القرآن / ج 6 ، ص 3665

٢ . ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، ص 64

٣ . سورة العاديات ، آية 5

٤ . الصلابي ، الوسطية في القرآن ، ص 34

٥ . الطبري ، المرجع السابق / م 7 ، ص 680

٦ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 20 ، ص 160

٧ . قطب ، المرجع السابق ، ص 3958

على تفسيرها بمعنى الأفضل والخيار والأعدل ⁽¹⁾ و"وسطن" في سورة العاديات : اتفق
المفسرون على تفسيرها بمعنى التوسط المكاني كما بينا سابقا .

¹ . الصلابي ، الوسطية في القرآن ، ص34 ، ص35

المبحث الثالث

الوسطية في الحديث الشريف

لا بد لنا من بيان الأحاديث الشريفة التي وردت فيها كلمة الوسطية لما للسنة النبوية . ثاني

مصادر التشريع الإسلامي . من الأهمية في تفسير القرآن :

روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى " وكذلك

جعلناكم أمة وسطا " أن الوسط هو العدل أي بين طرفي الإفراط والتفريط ، وقد رواه البخاري

في صحيحة بحديث مطول .⁽¹⁾

" وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي

أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ

لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ

الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قَالَ

مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ " .⁽²⁾

" وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ الْجَنْبِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالََةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا زَعِيمٌ وَالزَّعِيمُ الْحَمِيلُ⁽³⁾ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بَيْتِي فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ وَبَيْتِي

فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَيْتِي فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ وَبَيْتِي

¹ . حديث سبق تخريجه ص 7

² . رواه البخاري / ج 2 / الجهاد والسير / (4) درجات المجاهدين في سبيل الله / 2790 ، ص 426 ، ورواية أخرى للبخاري " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ بِذَلِكَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " ج 4 / التوحيد / (22) وكان عرشه على الماء / 7423 ، ص 619

³ . الحميل : الكفيل

فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ وَبَيَّتِ فِي أَعْلَى عُرْفِ الْجَنَّةِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ " . (١)

" وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ " . (٢)

والمقصود "وسطوا الإمام" : أي اجعلوا موقفه وسط المصلي ليقف المأموم عن يمينه وعن يساره وإن كان يمين الإمام أفضل من يساره فإنه لا يجوز أن يقف المصلون كلهم يمين الإمام ويعطلوا يساره . (٣)

" وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ " (٤) ، والوسط أعدل المواضع فكان أحق بنزول البركة فيه " ولا تأكلوا من وسطه " فيه مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه . قال الرافعي وغيره يكره أن يأكل من أعلى الثريد ووسط القصة وأن يأكل مما يلي أكيله ولا بأس في ذلك في الفواكه .. (٥)

" والبركة هي ما أودعه الله تعالى في الطعام من زيادة وتكثيره الانتفاع به ، وقد أفاد الحديث كراهية الأكل من رأس الطعام أو وسطه ، وكذلك بالنسبة للخبز فلا يبدأ الأكل من وسط الرغيف بل من طرفه " . (٦)

١. رواه النسائي / ج3 / الجهاد / (19) ما لمن أسلم وهاجر وجاهد / 3133 ، ص322 ، تحقيق السيد محمد السيد ، شرح السيوطي والسندي : حديث صحيح ، [أخرجه البيهقي في السنن الكبرى / 72/6 ، والحاكم في المستدرک / 71 / 2] ، وحققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص656 - ص657 ، { كذا في التعليق الرغيب / 2 / 173 " صحيح الجامع 1465 " }
٢. أبادي ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم ، عون المعبود شرح سنن أبي داود / ج2 / الصلاة / 98 / 677 ، ص265 ، النووي ، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي / ت 631 هـ - 676 هـ ، رياض الصالحين / فضل الصف الأول ، ص460 . ص461 ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، مطبعة بيت المقدس ، القدس . الخن ، د. مصطفى سعيد ، وآخرون ، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين / ج2 ، ص800- 801 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط15 ، (1408 هـ - 1988 م)
٣. النووي ، المرجع نفسه / فضل الصف الأول / 15 / 1096 ، ص460- 461 ، الخن ، المرجع نفسه ، ص800- 801 .
٤. الترمذي / الأئمة عن رسول الله / (12) كراهية الأكل من وسط الطعام / 1805 ، ص418 ، قال أبو عيسى حديث حسن صحيح حقه الألباني وقال: حديث صحيح ، إنما يعرف من حديث عطاء بن السائب ، وقد روى شعبة والثوري ، عن عطاء بن السائب . وفي الباب عن ابن عمر ، { " ابن ماجة / 3277 " }
٥. المباركفوري ، الإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم (1283 هـ - 1353 هـ) ، تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي / ج5 ، الأئمة / ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام / 1865 ، ص427
٦. النووي ، رياض الصالحين / باب الأمر بالأكل من جانب القصة والنهي عن الأكل من وسطها ، ص355 ، الخن ، نزهة المتقين / ج1 ، ص607 ، ص608

" وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمَّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ رَبِّمَا قَالَ سُفْيَانُ إِنَّ أُمَّي وَرَبِّمَا قَالَ أَبِي " . (١)

وأوسط أبواب الجنة : أي خيرها وقيل إن بره مؤد إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها . (٢)

" وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ مُعَاذُ ابْنِ جَبَلٍ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُؤْمُ قَوْمَهُ فَصَلَّى الْعِشَاءَ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ فَأَنْصَرَفَ الرَّجُلُ فَكَانَ مُعَاذًا تَتَاوَلَ مِنْهُ فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فَتَانٌ فَتَانٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ أَوْ قَالَ فَاتِنًا فَاتِنًا فَاتِنًا وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمَفْصَلِ قَالَ عَمْرُو لَا أَحْفَظُهُمَا " . (٣)

" قوله أوسط يحتمل أن يريد به المتوسط والسور التي قيل بها من قصار المتوسط ويحتمل أن يريد به المعتدل أي المناسب للحال من المفصل والله أعلم " . (٤)

ويعلق الصلابي على الوسطية التي أوردتها الأحاديث النبوية : " ومنها ما يدل على الوسطية ومنها ما ليس كذلك ، إذ لا تلازم بين الوسط والوسطية ، فكل وسطية هي وسط ولا يلزم من كل وسط أن يكون دليلا على الوسطية ، فقد يكون من الوسط المكاني أو الزماني ونحوه " . (٥)

١ . رواه الترمذي / ج 4 / البر والصلة / (3) الفضل في رضا الوالدين / 1900 ، ص 275 تحقيق الذهبي قال أبو عيسى : حديث صحيح ، حقه الألباني وقال : حديث صحيح ، 435 { " الصحيحة / 910 ، المشكاة / 4928 / التحقيق الثاني } .

٢ . النووي ، رياض الصالحين ، المأمورات / (40) / 334 ، ص 179 ، حديث حسن صحيح

٣ . رواه البخاري / ج 1 / الأذان / إذا طول الإمام ، ص 179

٤ . العسقلاني ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر (773 هـ - 852 هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / ج 2 ، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، كتاب الأذان / باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلي ، ص 132

٥ . الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 40

المبحث الرابع

الوسطية عند الأصوليين والفقهاء

اهتم الأصوليون والفقهاء ببيان يسر الشريعة الإسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان وموافقتها أحوال البشر وهذا ما نطلق عليه الوسطية لموافقته المعنى اللغوي (للوسط) من الخيرية والبينية والعدل ، ولم يخرج تعريف الأصوليين والفقهاء للوسطية عن تعريفها اللغوي ومن أبرز العبارات التي تعتبر قاعدة في بيان الوسطية في الاصطلاح ما ورد عن **علي بن أبي طالب رضي الله عنه** : " عليكم بالوسط الأوسط ، يلحق به التالي ويرجع إليه الغالي " .^(١) وفي رواية أخرى : " عليكم بالوسط الأوسط فالإله ينزل العالي ، وإليه يرتفع النازل " .^(٢)

" ومن المسلمات البديهية التي اتفق عليها العقلاء أن التوسط قاعدة أساسية في جميع شؤون الحياة ، بل هو قانون محكم لمناحي المحسوسات والمعقولات والمدرجات ، في الفرد والجماعة ، فما من شيء إلا وهو يحتاج إلى هذا التوسط لإقامة العدل والقسط في ماهيته " .^(٣)

قال الشاطبي : " الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه الداخل تح ت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل " .^(٤)

^١ . القرضاوي ، يوسف ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص 62 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 3 ، 1414 هـ - 1993 م)

^٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 2 / ص 154

^٣ . الفرغور ، د. محمد عبد اللطيف ، الوسطية في الإسلام ، ص 62 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، (1414 هـ - 1993 م)

^٤ . الشاطبي ، أبو اسحق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي / ت 790 هـ ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 2 ، ص 163 ، عني بضبطه وتفصيله ووضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله الدراز ، دار المعرفة ، بيروت ، د. ط ، د. ت .

كقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ } (١) { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } (٢) وأشبه ذلك

ويتابع " فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته وقوة مرضه وضعفه حتى إذا استقرت صحته هي له طريقا في التدبير وسطا لائقا به في جميع أحواله " .

ويقول في مكان آخر " فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر فطرف التشديد . وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر . يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين ، وطرف التخفيف . وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص . يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد . فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا ومسلك الاعتدال واضحا وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعدل الذي يلجأ إليه " .

وما الخروج عن التوسط إلا علاجا لحالة استثنائية أو طارئة " وعلى هذا إذا رأيت في النقل من المعتبرين في الدين من مال عن التوسط فاعلم أن ذلك مراعاة منه لطرف واقع أو متوقع في الجهة الأخرى ، وعليه يجري النظر في الورع والزهد وأشباههما وما قابلها " . " والتوسط يعرف بالشرع وقد يعرف بالعوائد وما يشهد به معظم العقلاء ، كما في الإسراف والإقتار في النفقات " .

(٣)

^١ . سورة البقرة / آية 215

^٢ . سورة البقرة / آية 219

^٣ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج2، ص167-168

وجاء في موضع آخر بيان آداب المفتي ومراعاته حالة المستفتي في فتياه من غير إفراط أو تفريط في الدين " المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور ، فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال ، والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ، فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط أو تفريط " فإذا خرج عن ذلك من المستفتين خرج عن قصد الشارع ، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين" (١)

ويتابع " فلن الخروج إلى الأطراف خارج عن العدل ولا تقوم به مصلحة الخلق أما في طرف التشديد فإنه مهلكة ، وأما في طرف الانحلال فكذلك أيضا ، لأن المستفتي إذ ذهب به مذهب العنت والحرج بغض إليه الدين ، وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة . وهو مشاهد وأما إذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة ، والشرع إنما جاء بالنهاي عن الهوى ، واتباع الهوى مهلك . والأدلة كثيرة .

" فعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفتيا بإطلاق مضادا للمشي على التوسط ، كما أن الميل إلى التشديد مضاد له أيضا . وربما فهم بعض الناس أن ترك الترخص تشديد ، فلا يجعل بينهما وسطا وهذا غلط ، والوسط هو معظم الشريعة وأم الكتاب . ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء التام عرف ذلك . وأكثر من هذا شأنه من أهل الانتماء إلى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية بحيث يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي ، بناء منه على أن الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وحرج في حقه ، وأن الخلاف إنما كان رحمة لهذا المعنى (٢)

^١ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 4 ، ص 258
^٢ . الشاطبي ، المرجع نفسه ، ص 259-260

وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة .

وقد تقدم أن اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها ، وأن الخلاف إنما هو رحمة من جهة أخرى ، وأن الشريعة حمل على التوسط : لا على مطلق التخفيف ، وإلا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرج ومخالف للهوى ، ولا على مطلق التشديد . فليأخذ الموفق في هذا الموضوع حذره فإنه مزلة قدم على وضوح الأمر فيه .^(١)

وهناك حالات أباح بها الشارع للمجتهد أن يتعبد قدر استطاعته حتى لو كان فوق الوسط ولكن يحذر أن يظهرها للعامة حتى لا يثقل عليهم الاقتداء به ، " قد يسوغ للمجتهد أن يحمل نفسه من التكليف ما هو فوق الوسط بناء على ما تقدم في أحكام الرخص ولما كان مفتيا بقوله وفعله كان له أن يخفي ما لعله يقتدي به فيه ، وربما اقتدى به فيه من لا طاقة له بذلك العمل فينقطع ، وإن اتفق ظهوره للناس نبه عليه ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ؛ إذ كان قد فاق الناس عبادة وخلقا ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة ، فرما اتبع لظهور عمله؛ فكان ينهى عنه في مواضع ؛ كنهيه عن الوصال ومراجعته لعمر بن العاص في سرد الصوم وقد قال تعالى : { وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ }^(٢) وأمر بحل الحبل الممدود

بين الساريتين " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ مَا هَذَا الْحَبْلُ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِرَيْبَبَ فَإِذَا فَتَرْتِ تَعَلَّقْتَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حُلُوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ " .^(٣) ^(٤) وأنكر على الحولاء بنت تويت قيامها الليل " عن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ الْحَوْلَاءَ بِنْتَ تُوَيْتِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ مَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

^١ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 4 ، ص 260

^٢ . سورة الحجرات / آية 7

^٣ . رواه البخاري / ج 1 / التهجد / (18) ما يكره من التشديد في العبادة / 1150 ، ص 492

^٤ . الشاطبي ، المرجع السابق / ج 4 ، ص 260

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ هَذِهِ الْحَوْلَاءُ بِنْتُ نُؤَيْتٍ وَرَعَمُوا أَنَّهَا لَا تَنَامُ اللَّيْلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَنَامُ اللَّيْلَ خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَسْنَأُ اللَّهُ حَتَّى تَسْأَمُوا " . (١) وربما ترك العمل خوفاً أن يعمل به الناس فيفرض عليهم " .

وعليه فإن مما قاله الشاطبي لدليل كاف على أن " الحمل على التوسط هو الموافق لقصد الشارع وهو الذي كان عليه السلف الصالح " . (٢)

" والوسط في حقيقته يتضمن معنى العدل وإنما سمي العدل وسطاً لأنه يميل إلى أحد الخصمين " .

" فالوسط في الأصل : اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول ، كمركز الدائرة ولسان الميزان من العمود ، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفریط " . (٣)

ويقول محمد الفرفور " إن الوسط اصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي ويسوق تعريف العلماء للوسط " أنه حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة وتعصمه عن الميل إلى جانبي الإفراط والتفریط " . (٤) بشرط أن تكون هذه الفطرة غير ملوثة وفي هذا يقول عمر كامل بتعريف شامل للوسطية بأنها : " حالة محمودة يدركها العقل السليم بالفطرة غير ملوثة ، فالإثم يعرفه القلب بأن يحيك في النفس ويتردد في الصدر وتكره الفطرة " . (٥) فالإسلام الدين الوسط جمع بين المادية والروحية وبين سعادة الدنيا والآخرة وهو جامع لمفاخر الوسط دائماً " فالمنبوذ

١ . رواه مسلم / صلاة المسافرين وقصرها / (31) أمر من نعت في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه / 785 ، ص 358

٢ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 4 ، ص 260 - ص 261

٣ . باعبدالله ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص 161 - ص 162

٤ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 27 ، المرصفي ، الكعبة مركز العالم ، ص 59

٥ . كامل ، عمر عبد الله ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً بين الأصوليين والخوارج ، ص 23 ، د . د . ت . د . ط .

دائماً في الأخلاق : التزمت والميوعة ومثال ذلك الكرم وسط بين الإسراف والبخل ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والعفة وسط بين الميوعة والرهبانية .

من أجل هذا نجد الإسلام دائماً وسطاً لا غلو فيه ولا تفريط ، فالمتوسط في الأمور والمواقع هو الذي يمكن أن يقف شاهداً على الطرفين ذات اليمين وذات اليسار والإفراط والتفريط " (١) والشاهد يجب أن يكون في مستوى أعلى ليشرف على طرفيه وهذا المستوى هو الأمان وينحدر من جانبيه الشقاء والعذاب " وطبيعة الصراط المستقيم الممتد بين سبل كثيرة و متاهات شتى متوغلة في الظلمات ، ومنحدرة بسالكها إلى حضيض المهالك وصنوف الضر والشر والفساد والشقاء أن يكون ممثداً على قمة تشبه قمة جبل ، وقد شق عليها وعبد هذا الصراط المستقيم ، وأن تكون السبل المخالفة له مهما زينت منحدرة إلى الحضيض ومتاهات العذاب والشر والشقاء عن يمينه وعن شماله ، فهو بطبيعته وسط بينها ، إلا أنه وسط مرتفع على قمة " (٢) ويستفاد من هذا أن الإسلام يأتي في الوسط الأعلى فلا مجال لمساواته بين طرفي النقيض .

أما ابن عاشور فقال عن التوسط في باب سماحة الأخلاق " السماحة سهولة المعاملة في اعتدال فهي وسط بين التضيق والتساهل ، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط " ويتابع " فقد اتفقوا على أن قوام الصفات الفاضلة هو الاعتدال ، أي التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط " وبعد أن يورد الأدلة في النهي عن اتباع الإفراط أو التفريط في الأخلاق لأنهما من اتباع الهوى يتابع قوله : " فالتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط هو منبع الكمالات " (٣)

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي في حديثه عن الوسطية : " وهذا المنهج هو الذي سماه الله " الصراط المستقيم " وهو منهج يتميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى " غير

١ كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً بين الأصوليين والخوارج ، ص 23
٢ الميداني ، الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة ، الوسطية في الإسلام ، ص 11 ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1416 هـ - 1996 م)
٣ ابن عاشور ، الشيخ محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 184 ، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي ، البصائر للإنتاج العلمي ، ط1 ، (1418 هـ - 1998 م)

المغضوب عليهم " و " الضالين " الذين لا تخلو منا هجهم من غلو أو تفريط ، و " الوسطية " إحدى الخصائص العامة للإسلام وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا وشمالا عن الوسط المستقيم .^(١)

" فالوسط هو مركز الدائرة التي ترجع إليه الأطراف المتباعدة عن يمين وشمال " .^(٢)

ويُعبّر عن الوسطية أحيانا بالتوازن " ونعني بها التوسط أو التعادل ل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ، ويتردد للطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه " ،^(٣) إلا أن هنالك بعض العلماء من رفض أن يجعل الوسطية والتوازن شيئا واحدا " والوسطية غير التوازن ، وذلك أن التوازن يكون بين أمور عديدة لا يطغى الاهتمام بأحدها على بقية الأمور ، بينما الوسطية تقال إلى الأمر الواحد الذي لا يكون حاله متطرفا إلى واحد من الطرفين البعيدين المتقابلين ، فالتوسط يشير إلى الحال الوسطى أو الدرجة الوسطى التي تقع ضمن حدود الدرجات المختلفة زيادة ونقصا في الأمر الواحد " .^(٤)

أما الدكتور الشرقاوي فيقول عن الوسط : " هو سلوك وغاية علم وعمل وانتهاجه هو السبيل الأقوم الذي يصلح للإنسان في حياته الدنيوية إذ هو باب الاستقامة ومفتاح السلامة والخير الفاضل في الدنيا والآخرة " .^(٥)

فمن مزايا الوسطية أنها تعني استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف ، فالمنهج المستقيم هو الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب .^(١)

^١ . القرضاوي ، يوسف ، الصحوّة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 24 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 6 ، (1416 هـ - 1996 م) .

^٢ . القرضاوي ، الصحوّة الإسلامية بين الاختلاف المذموم والتفرق المشروع ، ص 62

^٣ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 119 - ص 123

^٤ . السيد ، د. عزمي طه السيد وآخرون ، الثقافة الإسلامية ، ص 72 ، من منشورات جامعة القدس ، الأردن ، ط 1 ، 1996 م

^٥ . الشرقاوي ، د. حسن ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 77 ، ص 78 ، دار المعارف ، بيروت ، د. ط ، 1979 م

ولا يعتبر الوسط الإسلامي وسطا حسابيا إنما هو الوسط العدل ، " والوسط الإسلامي ليس وسطا حسابيا أو تقريبا إنما وسطا عدلا وميزانا قسطا تم به خلق السماوات والأرض فكل شيء في هذا الكون يسير بميزان قسط فلا ينحرف قيد أنملة عن مساره " . (٢)

ويسوق محمد الفرفور الأمثلة على ذلك : فالخوذة إن نقصت عن دائرة رأس صاحبها لم تصلح إذ لا يدخل الرأس فيها بسبب التفريط في حق الرأس ومقدار دائرته ، وإن زادت على دائرة الرأس لم تصلح إذ لا تثبت على الرأس ، ولا يمسك الرأس بها بسبب الغلو في توسيع بطنها وبعض مفاتيح الأقفال كذلك لا تقبل الزيادة ولا النقص ، بل لا يصلح فيها إلا صورة واحدة كاملة . (٣)

ويسوق مثالا من القرآن في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ } (٤) فيقول في ذلك : إن صكوك العقود والعهود يجب أن تطابق مطابقة كاملة ما تم الإتفاق عليه دون زيادة ولا نقصان . (٥)

وفي هذا القول نستطيع أن نرد على الذين اعتبروا الوسطية كلمة دخيلة على الإسلام من الغرب ، وأن أصل منبعها هو الاختلاف الذي حصل بين الكنيسة والملك ، ولمن تكون السيطرة ، وانتهى الأمر بينهم إلى حل وسط بأن تحكم الكنيسة الشؤون الدينية ، ويحكم الملك الشؤون الدنيوية السياسية والمالية . وعلى هذا اعتبروا هذه التسمية ليست من الإسلام ، وعلى المسلمين أن لا ينجروا وراء الغرب ويدخلون على الإسلام مفاهيم خطيرة كما يقولون عنها . " إن مصطلح الوسطية أو الحل الوسط ، لم يظهر عند المسلمين إلا في العصر الحديث بعد سقوط الخلافة ، وقُصد به الاعتدال وعدم التطرف ، وهو مصطلح دخيل ، في لفظه ومعناه ، مصدره الغرب والمبدأ الرأسمالي ، ذلك المبدأ بنيت عقيدته على الحل الوسط ، الحل الذي نشأ نتيجة الصراع

^١ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 124
^٢ الشرفاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 77 ، ص 78 ،
^٣ الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 47
^٤ . سورة البقرة / آية 282
^٥ . الفرفور ، المرجع السابق ، ص 47

الدموي ، بين الكنيسة والملوك التابعين لها من جهة ، وبين المفكرين والفلاسفة الغربيين من جهة أخرى " . (١)

وليس هذا فحسب إنما وجهت هذه الجماعة اتهاماتها للمسلمين بأنهم لووا أعناق النصوص القرآنية وفسروها بما يتناسب مع هذا المفهوم ، " واستقرأوا النصوص الشرعية ، فلووا أعناقها لتلائم ما ذهبوا إليه ، فقالوا في تفسير قوله تعالى : " **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** " قالوا : إن وسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها ... " وردت الجماعة عليهم " والمعنى الصحيح للآية هو أن الأمة الإسلامية أمة عدل ، والعدل من شروط الشاهد في الإسلام ، وهي ستكون شاهد عدل على الأمم الأخرى على أنها بلغتهم الإسلام ... " . (٢) وقالوا : إن هذه الآية لا تحتمل إلا هذا التفسير وأن الأمة الإسلامية استحققت أن تكون شاهدة على الأمم بموجب هذه الخصيصة وهي العدالة . وهذا ما أقره علماء التفسير بموجب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية ، كما أسلفنا سابقا ، ولكن ما أغفلته هذه الجماعة أن العدل من أهم سمات الوسطية الإسلامية .

وإذا أبت هذه الجماعة الاستدال بهذه الآية فهناك آيات أخرى تبين وسطية الإسلام وسماته ، فالشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني من الذين رفضوا الاستدلال بهذه الآية على وسطية الإسلام ويقول في ذلك : " فهو استشهاد لا يتفق ومفهومه ، لأن هذه الآية تبين عدالة أمة محمد صلى الله عليه وسلم في شهادتها على الناس بتبليغ دين الله لهم ، إذ الأمة الإسلامية أمة مكلفة بتبليغ دين الله للناس ، وهم عدول ، فشهادتهم مقبولة على الأمم يوم القيامة بأنهم بلغوا دين الله

^١ . عبد الله ، محمد حسين ، مفاهيم إسلامية / ج 2 ، ص 39 ، دار البيارق ، بيروت ، ط 1 ، (1417 هـ - 1996 م)
^٢ . عبد الله ، المرجع نفسه ، ص 42

لهم إذا فعلوا ذلك وأدوا ما أوجب الله عليهم من تبليغ " ولكنه يقول : إن بالاستقراء في العديد من الآيات والأحاديث نستطيع أن نستدل على الوسطية . (١)

أما رفضهم الاستدلال بقوله تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (٢) فنرد عليهم : أن الإسلام راعى طرق الإنفاق وقسمها إلى طرق محمودة وطرق

مذمومة ؛ " وقد توصل الشارع إلى تحقيق مقصد العدل في الأموال بمسلكين : الأول طلب الإنفاق المحمود ، والثاني طلب الكف عن الإمساك المذموم ، والنهي عن الإسراف والتبذير . أما الإنفاق المحمود وهو ما أوجبت الشريعة بذله ، وما ندبت الشريعة به كالصدقة المفروضة والنفقة على العيال ، وإكرام الضيف . " وأما الإنفاق المذموم فضريان : الأول : الإفراط : وهو التبذير والإسراف . والثاني : التفريط : وهو التقتير والإمساك ، وكلاهما يراعى فيه الكمية

والكيفية . " (٣) فمن يعطي أكثر مما يحتمله حاله ومن وضع المال في غير موضعه وإن قل كان مبذرا ، أما من أنفق بأقل مما يحتمل حاله ، ومن يمنع من حيث يجب عليه كالزكاة وغيرها كان ممسكا . (٤) وحقيقة الوسط في ذلك أن على الإنسان أن يرقب نفسه فإن غلب عليه التبذير فعليه أن يرجع إلى الإمساك ، وإن غلب عليه الإمساك فعليه أن يرجع إلى البذل " فإن أردت أن تعرف الوسط ، فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور . فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده ، فالغالب عليه ذلك الخلق الموجب له ، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ، ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه . فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل ، فزد من المواظبة على البذل . فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق ،

١ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 9-10

٢ . سورة الفرقان / آية 67

٣ . العالم ، د. يوسف حامد ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص 527 ، دار الحديث للطبع والنشر ، القاهرة / الدار السودانية

للطباعة والنشر ، الخرطوم ، د. ط ، د. ت

٤ . العالم ، المرجع نفسه ، ص 527 - 528 .

فقد غلب عليك التبذير ، فارجع إلى المواظبة على الإمساك . فلا تزال تراقب نفسك ، وتستدل على خلقك بتسيير الأفعال وتعسيرها " .⁽¹⁾

نتبين مما تقدم من أقوال الأصوليين والفقهاء ما يلي :

أن الوسطية في الاصطلاح الشرعي تحتل عدة معاني منها العدل والخيار والاستقامة والصراف المستقيم .

كما أن الوسطية اصطلاحاً تُعرّف : أنها حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة غير الملوثة فتعصمه عن الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط ؛ فالإثم يعرفه القلب بأن يحيك في النفس ويتردد في الصدر وتكره الفطرة .

أن الوسطية هي منهج الإسلام وأي انحراف عنه تكون لضرورة يقررها الشارع ليتسنى العودة للوسط .

أن الوسطية ليست خاصة بجانب دون الآخر وإنما هي شاملة لجميع جوانب الحياة الدينية والدنيوية .

اختلف الفقهاء والأصوليون في تحديد مفهوم الوسطية فهي تحتل عدة معان لغوية . إلا أنهم

متفقون بأن الإسلام دين وسط وهذا ما تؤيده النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وسأكتفي بهذا القدر من أقوال الأصوليين والفقهاء ، الذين ظهر من أقوالهم التمسك بمنهج

الإسلام منهج السلف الصالح ، منهج أهل السنة والجماعة ، منهج الاعتدال والتوسط فهو منهج

الحق ومنهج الخير .

¹ . الغزالي ، حجة الإسلام العلامة محمد أبي حامد، إحياء علوم الدين / ج3، ص190، دار الجيل ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

المبحث الخامس

الوسطية في القواعد الفقهية

هنالك العديد من القواعد الفقهية الكلية والجزئية تقوم على المنهج الوسطي كيف لا وهي مستقاة من روح القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وبما أن المجال لا يتسع لذكرها جميعا فسأعتمد في بحثي على بعض ما جاء في المجلة العدلية التي أصدرت في غزة محرم من عام 1286 هـ في ظل الدولة العثمانية ، لإبراز وسطية القواعد الفقهية الكلية والضوابط التي وضعها العلماء لضبط فروع هذه القواعد .

ومن أهم هذه القواعد التي أوردتها المجلة العدلية التي تظهر فيها سمات الوسطية الإسلامية ما يلي :

اليقين لا يزول بالشك : " اليقين طمأنينة القلب على حقيقة الشيء والشك استواء طرفي الشيء وهو الوقوف بين الشيين بحيث لا يميل القلب على أحدهما وبعبارة أخرى اليقين جزم القلب مع الاستناد إلى الدليل القطعي والشك تجويز الأمرين لا مزية لأحدهما على الآخر ⁽¹⁾.

وهذا يعني أن ما كان ثابتا ومتيقنا بالأصل لا يزول بالشك ودليلها " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخْرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا " ⁽²⁾ وقوله " عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ وَاحِدَةً صَلَّى أَوْ ثِنْتَيْنِ فَلْيُبْنِ عَلَى وَاحِدَةٍ فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَوْ ثَلَاثًا فَلْيُبْنِ عَلَى ثِنْتَيْنِ فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثَلَاثًا صَلَّى

¹ . المجلة العدلية ، المادة الرابعة ، ص16

² . رواه مسلم / الحيض / (26) الدليل على من يتيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك / 362 ، ص 176

أَوْ أَرْبَعًا فَلْيُتَيْنِ عَلَى ثَلَاثٍ وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ " (١) ومن ذلك أيضا من أكل آخر الليل وشك في طلوع الفجر صح صومه ، لأن الأصل بقاء الليل ، ومن أكل آخر النهار بلا اجتهاد وشك في الغروب بطل صومه لأن الأصل بقاء النهار . (٢) وقد أورد السيوطي عدداً من الأحاديث النبوية الدالة على هذه القاعدة وضرورة طرح الشك جانبا إذا حصل اليقين أصلا ثم تابع قوله : " اعلم أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه وأكثر " (٣)

وتعتبر هذه القاعدة أصل شرعي يدعمها العقل والقرآن والسنة : فمن جهة العقل : فاليقين أقوى من الشك لأن اليقين حكم قطعي جازم ، لا ينهدم بالشك ، وأما القرآن فقد ورد قوله تعالى : { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (٤) والحق هنا الحقيقة الواقعة كاليقين ، وأما السنة ، فقد بينا الأحاديث التي تبين صحة صلاة المتيقن من وضوئه ولا عبرة بالشك .

" واستنادا إلى هذا الحكم الشرعي وأمثاله بنيت هذه القاعدة الحاكمة في جميع الأمور ، من عبادات ومعاملات وعقوبات وأفضية ، في سائر الحقوق والالتزامات " (٥) فهذه القاعدة تشتمل عدة سمات للوسطية : التيسير ورفع الحرج ، والحكمة ، والخيرية ، فالمسلم المتيقن لا يجعل لوساوس الشيطان في نفسه سبيل . لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط . . . وتتدرج تحت هذه القاعدة عدة قواعد :

١ . الترمذي / ج2 / الصلاة / ما جاء في الرجل يصلي فيشك في الزيادة والنقصان / 398 ، ص190 تحقيق الذهبي : قال أبو عيسى حديث حسن غريب صحيح . حققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص108 { " ابن ماجه / 1209 " }
٢ . السيوطي ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / المتوفى 911هـ ، الأشباه والنظائر / ج1 ، ص118 ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط1 ، (1419هـ - 1998م)
٣ . السيوطي ، المرجع نفسه ، ص115
٤ . سورة يونس / آية 36
٥ . الزرقاء ، مصطفى ، المدخل الفقهي العام / ج2 ، ص967 ، دار الفكر ، مطابع ألف باء - الأديب ، دمشق ، ط9

منها قولهم " الأصل بقاء ما كان على ما كان " وهذا الأصل يسمى الاستصحاب وهو اعتبار الحالة الثابتة في وقت ما مستمرة في سائر الأوقات حتى يثبت انقطاعها وتبدلها (١) ، ومن أمثلة ذلك " من تيقن الطهارة وشك في الحدث فهو متطهر أو تيقن في الحدث وشك في الطهارة فهو محدث ، ومنها قاعدة " الأصل براءة الذمة " ومنها ما قاله الشافعي " أصل ما انبنى عليه الإقرار أني أعمل اليقين وأطرح الشك ولا أستعمل الغلبة " . (٢)

وفي هذه القاعدة تيسير على المسلمين وبعد عن التتبع في الدين " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْكَ الْمُتَتَّعُونَ (٣) قَالَهَا ثَلَاثًا " . (٤)

الضرورات تبيح المحظورات وزاد عليها السيوطي عبارة بشرط عدم نقصانها عنها ، ولم يعدها السيوطي قاعدة مستقلة بذاتها وإنما أدرجها تحت قاعدة الضرر يزال (٥) ونقصد بها " أن الأشياء الممنوعة تعامل كالأشياء المباحة وقت الضرورة " . (٦)

فأكل الميتة عند المخصصة بقدر ما تسد الحاجة فقط وذلك للمحافظة على النفس من الهلاك ودليلها قوله تعالى : { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } (٧) ، وإساعة اللقمة بالخمير ، وإتلاف المال ، وأخذ مال الممتنع من أداء الدين بغير إذنه ، والتلفظ بكلمة الكفر للإكراه ودليلها " قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } وَقَالَ { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } وَهِيَ تَقِيَّةٌ وَقَالَ { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } إِلَى قَوْلِهِ { عَفْوًا غَفُورًا } وَقَالَ { وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ

١ . الزرقاء ، المدخل الفقهي العام / ج2 ، ص968

٢ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج1 ، ص115

٣ . المتنتعون : الغالون المجاوزون الحدود في الأقوال والأعمال

٤ . رواه مسلم / العلم / (4) هلك المتنتعون / 2670 ، ص1324

٥ . السيوطي ، المرجع السابق ، ص168

٦ . المجلة العدلية ، المادة 21 ، ص24

٧ . سورة البقرة / آية 173

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
نَصِيرًا { فَعَدَّرَ اللَّهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالْمُكْرَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا
مُسْتَضْعَفًا غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْ فِعْلِهِ مَا أُمِرَ بِهِ وَقَالَ الْحَسَنُ النَّفِيُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ " . (١) (٢)

فالمسلم يقدر الضرورة بقدرها فتصبح الأشياء المحرمة بحقه مباحة فإذا زال سبب الإباحة رجع
الحكم على أصله من التحريم فعلى المسلم أن يضبط الضرورة حتى لا يكون هنالك إفراط في
الدين ولا تفريط في حقه . ومن شروط ضبطها أن تكون الضرورة أكثر من المحذور ، وأن
يكون ذلك في نظر الشرع ، قال الإمام " ولا يرتقي إلى التبسط وأكل الملاذ بل يقتصر على قدر
الحاجة " . (٣)

المشقة تجلب التيسير : وتعتبر هذه القاعدة من القواعد الخمس الكبرى التي تعتبر من أسس
الشرعية في جميع المذاهب (٤) ، وتعني أن الصعوبة تصير سببا للتسهيل ويلزم التوسيع في وقت
وقت المضايقة ويتفرع على هذا الأصل كثير من الأحكام الفقهية كالقرض والحوالة والحجر وغير
ذلك وما جوزه الفقهاء من الرخص والتخفيفات في الأحكام الشرعية هو من هذه القاعدة . (٥)
والأصل في هذه القاعدة ما جاء في الآيات القرآنية قال تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ } (٦) وقال تعالى : { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ } (٧) وقال تعالى { لَيْسَ
لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ

١ . رواه البخاري / ج 4 / الإكراه / قول الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ص 459

٢ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج 1 ، ص 169 بتصرف

٣ . السيوطي ، المرجع نفسه ، ص 169

٤ . الزرقا ، المدخل الفقهي العام / ج 2 ، ص 991

٥ . المجلة العدلية ، المادة 17 ، ص 22

٦ . سورة البقرة / آية 185

٧ . سورة المائدة / آية 6

وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { (١) ، وأصلها في الأحاديث الشريفة "

الدين يُسرُّ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ " (٢)

" وحديث أبي هريرة قَالَ قَالَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَّاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ دَعُوهُ وَهَرَيْفُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا

مُعَسِّرِينَ " (وهريقوا أي أراق وصب) . (٣)

ويخرج من هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته فمن ذلك التخفيفات الممنوحة للمكره

والصبيان والنساء وأسباب التخفيف سبعة الأول الإكراه والثاني الجهل والثالث العسر وعموم

البلوى والرابع النسيان والخامس الجهل والسادس السفر والسابع النقص ، والنقص نوع من المشقة

إذ النفوس مجبولة على حب الكمال فناسبه التخفيف في التكاليف ومنها عدم تكليف الصبي أو

المجنون ، ورخص الإفطار للمرأة الحامل والمرضع وغيرها . (٤)

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح

وأصل هذه القاعدة " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ إِنَّمَا

هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ

بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " . (٥)

ووجه الدلالة أن الرسول صلى الله عليه وسلم علق امتثال الأمر بالاستطاعة في حين سد باب

النهي كله فلم يجزه أبدا إلا عند الضرورة التي يخشى منها على النفس والضرورات الخمس فإذا

١ . التوبة / آية 91

٢ . البخاري / ج 1 / الإيمان / (30) الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم " أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة " ، ص 35
٣ . البخاري / ج 1 / الوضوء / (58) صب الماء على البول في المسجد / 220 ، ص 125 ، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم " فاعن
أنس أن أعرابيا بال في المسجد فقام إليه بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهُ وَلَا تَزِرْ مَوَاهُ قَالَ قَلَمًا فَرَعَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ
مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ / الطهارة / (30) وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد / 284 ، ص 151
٤ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج 1 ، ص 157 - 158 ، المجلة العدلية ، المادة 17 ، ص 22

٥ . رواه البخاري / ج 4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / الاقتداء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم / 7288 ، ص 576 ، وفي رواية مسلم
" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكَلْتُ عَامَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوْجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ دَرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ فَإِنَّمَا
هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ " (الحج /
(73) فرض الحج مرة في العمر / (1337) ، ص 638

تعارضت مفسدة ومصالحة قدم دفع المفسدة المساوية أو الراجحة لأن اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ^(١) ومما يتفرع على هذه القاعدة أن الرجل يمنع من التصرف في ملكه إذا كان تصرفه يضر بجاره ضررا فاحشا لأن درء المفسد عن جاره أولى من جلب المنافع لغيره . ^(٢)

الضرر يزال

وأصل هذه القاعدة "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ^(٣) "وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ^(٤)، والضرر المنهي عنه في الحديث إما أن يكون واقعا أو متوقعا .

فإذا كان واقعا فهو غير مشروع الإبقاء فتجب إزالته وإن كان متوقعا وجب دفعه لأن دفع الضرر قبل الوقوع أولى من رفعه وإزالته بعد الوقوع .

ولذا وضع الفقهاء قاعدة "يرفع الضرر بقدر الإمكان" .

وتفرعت عن هذه القاعدة القواعد الآتية : "الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف" ، "إذا تعارضت مفسدتان ارتكب أخفهما لدفع أشدهما" و"درء المفسد مقدم على جلب المصالح" ^(٥) ويتعلق بهذه القاعدة قواعد عدة منها "الضرورات تبيح المحظورات" "ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها" "الضرر لا يزال بالضرر" . ^(٦)

^١ الدريني ، د. فتحي ، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ص 222 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دار البشير ، عمان ، ط2، (1419 هـ 1998 م) ، السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج1، ص188، المجلة العدلية ، المادة 30 ، ص27

^٢ المجلة العدلية ، المادة 30 ، ص27

^٣ رواه ابن ماجه / ج2 / الأحكام / من بنى في حقه ما يضر بجاره / 2341 ، ص333 حقه الذهبي [قال البوصيري في الزوائد وفي إسناده جابر الجعفي وهو متهم

^٤ رواه ابن ماجه / ج2 / الأحكام / من بنى في حقه ما يضر بجاره / 2340 ، ص333 حقه الذهبي [قال البوصيري إسناده رجاله ثقات إلا أنه منقطع لأن اسحق بن الوليد لم يلق عبادة ، أخرجه أحمد في مسنده / 22272

^٥ الدريني ، المرجع السابق ، ص213-214
^٦ السيوطي ، المرجع السابق ، ص165 - 166

ومن أمثلة ذلك : الحجر على السفية والمفلس " فالحجر على المفلس مفسدة في حقه ولكنه ثبت تقديمها لمصلحة الغرماء على مفسدة الحجر " " فالأصل أن الإنسان حر في التصرف بماله لكن إذا أفلس حجر عليه لمصلحة غرمائه ولو بقي الإطلاق لترتب على ذلك ضرر بهم وهذا هو التعسف فمنع درءاً لهذه المفسدة وتقييداً لحقه بما يمنع الإضرار عن غيره محافظة هذا حق هذا الغير . (١)

لا ضرر ولا ضرار

وحديث الرسول الوارد ذكره سابقاً يبين نص هذه القاعدة " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " وجاء في بعض روايات الحديث " عَنْ أَبِي صِرْمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ " (٢) وهذا الحديث وإن كان ظنياً باعتبار سنده إلا أن مضمونه يرقى إلى مرتبة القطعي باستقراء الأحكام الواردة في القرآن والسنة المشهورة (٣)، والمقصود بالضرر هو إلحاق المفسدة بالغير ، والضرار مقابلة الضرر بالضرر ، وقد اعتبر الدكتور الزرقا هذه القاعدة : من أركان الشريعة ، وأساس لمنع الفعل الضار ، وسند لمبدأ الاستصلاح في جلب المصالح ودرء المفسدات ، وعدة الفقهاء وعمدتهم وميزانهم في طريق تقرير الأحكام الشرعية للحوادث . (٤)

ومن ذلك : النهي عن مضارة كل من الوالدين الآخر في أولادهما ودليلها قوله تعالى : { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَالِدِهِ } (٥) والنهي عن وصية الإضرار ولو كانت في حدود الثلث ودليلها ودليلها قوله تعالى : { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

١. الدريني ، التعسف في استعمال الحق ، ص 214 ، ص 215
٢. رواه الترمذي / ج 4/ البر والصلة / ما جاء في الخيانة والغش / 1940 ، ص 106 ، حقه الذهبي : قال أبو عيسى حديث حسن غريب ، وحقه الألباني وقال حديث حسن ، ص 442 - ص 443 { " الإرواء / 896 " }
٣. الدريني ، المرجع السابق ، ص 216
٤. الزرقا ، المدخل الفقهي العام / ج 2 ، ص 978
٥. سورة البقرة ، آية 233

حَلِيمٌ }^(١) . وكذلك النهي عن رجعة الضرر : وهي أن يطلق الرجل امرأته ليراجعها ولكن لا ليعاشرها بالمعروف بل ليطيل عليها العدة بأن يطلقها ثانية فتجب عليها عدة أخرى مبتدأة ، قال تعالى : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا }^(٢)(٣) فيدخل تحت هذه القاعدة دفع الضرر والإضرار مثل قتال الباغي ، ومنه الضرر يزال مثل خيار العيب ، وخيار الشرط والشفعة في الشراء لدفع ضرر جار السوء ، ومنها الضرر لا يزال بمثله أي لا تكون إزالته بضرر مثله ، إلا إذا كان عاما فيزال الضرر الخاص لمنع الضرر العام .^(٤)

يتضح لنا من خلال القواعد الأصولية وما يتفرع عنها من قواعد أن كلا منها يمثل سمة من سمات الوسطية ومنها ما يمثل أكثر من سمة : اليقين لا يزول بالشك تمثل سمة رفع الحرج والتيسير ، والضرورات تبيح المحظورات تمثل الحكمة والبينية (فلا يترك ليهلك ولا يتجاوز فيستبيح المحرم) والتيسير ورفع الحرج ، والضرر يزال تمثل الحكمة والاعتدال والاستقامة والعدل ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح تمثل الخيرية والحكمة والتيسير ورفع الحرج ، ولا ضرر ولا ضرار تمثل العدل والخيرية ، والمشقة تجلب التيسير تمثل الاعتدال والتيسير ورفع الحرج . ويقاس على ذلك سائر القواعد وما يترتب عليها من أعمال .

^١ . سورة النساء ، آية 12
^٢ . سورة البقرة / آية 231
^٣ . الدريني ، التعسف في استعمال الحق ، ص 217
^٤ . كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ص 86

الفصل الثاني

خصائص الثقافة الإسلامية

المبحث الأول : الريانية

المبحث الثاني : الشمولية

المبحث الثالث : الثبات

المبحث الرابع : الواقعية

المبحث الخامس : العالمية

المبحث السادس : الإنسانية

المبحث السابع : الإيجابية

المبحث الثامن : الوضوح

المبحث التاسع : التوازن والوسطية

تمهيد

تعتبر الثقافة الإسلامية من أهم الثقافات العالمية وأفضلها وأعدلها ، فقد نشأت ثقافات عديدة قبل الإسلام وبعده ، كالثقافة اليونانية والبيزنطية ، والثقافة الغربية الحديثة . فلم نجد ثقافة حظيت بالاحترام والتقدير كما حظيت به ثقافتنا الإسلامية ، وهذا ليس تحيزاً وإنما بشهادة علماء ومفكرين غربيين أشادوا بالثقافة والحضارة الإسلامية والأصول الثابتة لهذه الثقافة وذكروا سماتها ومزاياها التي ميزتها عن غيرها من الثقافات (١) ، وقبل أن نتحدث عن هذه الميزات لا بد لنا أن نعرض على مفهوم الثقافة بشكل عام والثقافة الإسلامية بشكل خاص ، ونبين مصادر الثقافة الإسلامية ، لملاحظة نقاط التشابه والاختلاف بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى

فالثقافة لغة : من الفعل ثقّف وثقف صار حاذقاً (٢) خفيفاً ، ثقفاً وثقافة وثقوفة الكلام : حدقه وفهمه بسرعة ، وثقف الرمح : طعنه (٣) ، وثقف الشيء : أقام المعوج منه وسواه ، والإنسان : أدبه وهذبه وعلمه ، والثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحنق فيها . (٤)

والثقافة هي الأسلوب السائد في الحياة لأي مجتمع بشري ، وأهم ما يميز المجتمع الإنساني عن التجمعات الحيوانية . (٥)

وعرفها العلماء الأوروبيون : أنها " مجموعة المعارف والخبرات التي يكتسبها الإنسان والتي

يثيري بها علمه ويحتفظ بها في ذاكرته لتظهر على شكل عقيدة وسلوك وفكر وأخلاق . " (٦)

١ . راجع كتاب الحضارة ، غوستاف لوبون

٢ . الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الأندلسي ، (316هـ - 379 هـ) ، مختصر العين / ج 1 ، ص 566 ، قدم له وحققه د. نور الشاذلي ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط 1 ، (1417 هـ - 1996 م) ، المنجد في اللغة والإعلام ، ص 71 ، دار المشرق ، بيروت ، باب ثقّف

٣ . المنجد في اللغة والإعلام ، ص 71

٤ . أنيس ، د. إبراهيم ، وآخرون ، المعجم الوسيط / ج 1 ، ص 98 ، أشرف على الطباعة حسن عطية ومحمد أمين ، القاهرة ، ط 2 ، دبت ، باب ثقّف

٥ . الموسوعة العربية الميسرة ، ص 581 ، دار النهضة ، بيروت ، (1406 هـ - 1986 م)

٦ . الشرفاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 17

أما الثقافة الإسلامية فتعني : " مجموعة من المعارف والتصورات التي تدور في فلك المصدرين الرئيسيين وهما الكتاب والسنة المطهرة لتتبع عنها فكرة شاملة عن الكون والإنسان والحياة والتي تؤثر في الفرد والمجتمع فتعطيه طابعا خاصا " .^(١)

وهكذا نرى أن الثقافة الإسلامية تختلف عن الثقافات الأخرى بأمر جوهري وأساسي وهو المصدر، وأول مصادر الثقافة الإسلامية القرآن الكريم وهو أهم مصادرها وعليه تعتمد جميع المصادر الأخرى ، وتأتي السنة المطهرة في المرتبة الثانية لمصادر الثقافة الإسلامية ويأتي بعدها الإجماع والقياس ، وتأتي المصادر الأخرى كالمصالح المرسلة ، واجتهاد الصحابة ، وسد الذرائع، والعرف وغيرها في مراتب متفاوتة عند جمهور العلماء من حيث الأخذ أو الرد .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } ^(٢)

إن الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى جوهري من حيث المصدر ، ففرق بين من يكون مصدره الله علام الغيوب ، خالق ومبدع الكون والإنسان ، وبين من يكون مصدره بشرا عاجزا حتى يهب لنفسه النعيم والسعادة الدائمة .

ومن أهم الفروق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الوضعية : أن الثقافات الوضعية لا تخضع لضوابط ثابتة معينة ، ولكنها تستند في أسباب وجودها إلى اعتبارات شتى غير منضبطة بينما الثقافة الإسلامية تدور في فلك الإسلام بتعاليمه وقيمه وأصوله وقواعده .^(٣)

إن الثقافة الوضعية مهما بلغ أتباعها من الذكاء إلا أنهم عاجزون عن وضع نظام شامل متكامل ثابت للبشر في أنحاء العالم فلم نسمع عن ثقافة سادت أنحاء العالم أو ثقافة صالحة

^١ . عبد العزيز ، د. أمير ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 16-17 ، الناشر مطبعة الخليل الإسلامية ، ط 3 ، (1403 هـ -1983 م)

^٢ . سورة النساء / آية 59

^٣ . عبد العزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 17.

لجميع البشر على اختلاف طبقاتهم ، أما الثقافة الإسلامية فكانت شاملة فليس لها وقت محدد وليس لها شعب محدد ، وليس لها مجال محدد وإنما جاءت شاملة في الزمن فهي باقية إلى يوم الدين ، وهي شاملة لجميع البشر في كل زمان ومكان ، وهي شاملة لجميع جوانب البشر المادية والروحية ولجميع جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية وغيرها .

والثقافة الوضعية عجزت أن تحقق الأمن والطمأنينة لأتباعها فعاش أصحابها في اضطراب لا يدرون ما يصلح لهم وما لا يصلح ولا يدرون الحق من الباطل بينما الثقافة الإسلامية جاءت موافقة للفطرة الإنسانية سواء من حاجتهم إلى القدرة الغيبية وحاجتهم إلى الأمور المشاهدة فجاءت كل شرائعها واضحة ومتوازنة ومتكاملة فتحقق للمسلم الأمن والسعادة التي يحتاجها حتى يكون إيجابيا مثمرا في حياته .

وبما أن الوسطية من خصائص الثقافة الإسلامية ، وهي شعار الإسلام وأهله ، سنتحدث عن خصائص الثقافة الإسلامية بشكل عام مع التركيز على خصيصة الوسطية .

قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِدًا } (١)

١. سورة البقرة / آية 143.

المبحث الأول

الريانية

تعتبر الريانية الخصيصة الأولى من خصائص الثقافة الإسلامية ، وعليها ترتكز باقي الخصائص ، حيث تعتمد على المصدر الرياني وهو القرآن الكريم الموحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى والسنة المطهرة الموحى بها أيضا من عند الله ولكن بالمعنى دون اللفظ ، فالإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافا جوهريا عن جميع الشرائع الوضعية .^(١)

إن المصدر في الثقافة الإسلامية هو الله سبحانه وتعالى وليس للبشر يد في ذلك ويتوقف دورهم على التطور والتغير ضمن النظام الثابت الذي وضعه علام الغيوب ، فالحقائق عن الإنسان والكون المحيط به والأمور الغيبية كحقيقة وجود الخالق والملائكة واليوم الآخر جميعها أمور ثابتة على الإنسان أن يتطور ويبدع ويتغير من خلالها^(٢) . " والريانية في ثقافتنا لا تعني التجميد أو تعني إعاقة البشر عن العمل أو تخلفهم عن مجريات التقدم العلمي بل هي على العكس حافز قوي إلى ذلك " .^(٣)

وهكذا اكتسبت الثقافة الإسلامية صفة الريانية ، فمصدرها هو رب الإنسان وخالقه ومنزل الكتاب على نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ }^(٤)

^١ زيدان ، عبد الكريم ، أصول الدعوة ، ص45 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط6 ، (1417 هـ - 1997 م).
^٢ قطب ، سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص47 ، دار الشروق ، بيروت ، د. ط ، د. ت.
^٣ هندي ، د. صالح ذياب ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص26 ، جمعية عمال المطابع العالمية ، عمان ، ط3 ، (1402 هـ - 1982 م)
^٤ سورة الزمر / آية 2

المطلب الأول

اختلاف الثقافة الإسلامية عن الثقافات الأخرى :

وتميّزت الثقافة الإسلامية عن الثقافات الأخرى : . الإلهية المحرفة منها والبشرية . بأنها حافظت على أصولها الربانية ولم تعبت بها الأيدي البشرية ، مما أكسبها صفة الكمال والشمول والتوازن فمصدرها هو الله المتصف بكمال الصفات والأفعال ، أما الثقافات الأخرى فإن مصدرها البشر بما يعترهم من جهل وقصور وتناقض واتباع الأهواء والشهوات ومنها على سبيل المثال لا الحصر : الثقافة اليونانية والتي تعتمد على الفكر الفلسفي اليوناني والذي وضعه البشر وفقا لمصالحهم الدنيوية وأهوائهم وكذلك الثقافة الرومانية ومصدرها القانون الروماني الذي وضعه أيضا البشر ، أما الثقافة اليهودية والنصرانية فقد عبثت بها أيدي البشر بالتبديل والتحريف واقتراء الكذب على الله فقد داخلها كثير من الشروح والتفسيرات والتصورات وأدمجت في صلبها فبدلت طبيعتها الربانية لتصبح أقرب إلى الأنظمة البشرية الوضعية التي تتناسب والأهواء والشهوات^(١) ، وهذا ما بينه الله في آياته فأنزل فيهم آيات تفصح فعلتهم واقترائهم الكذب ، قال تعالى: { مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ { (٢) وقال تعالى : { فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ { (٣) . وقال تعالى: { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا { (٤) لذلك لم يكتب لهذه الرسالات الإلهية المحرفة الحفظ من الله كما كتب للثقافة الإسلامية من الحفظ

^١ أبو عجمية ، د. محمود أحمد ، وآخرون ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، ص 88 ، المكتبة الجامعية للنشر ، نابلس ، د. ط ، 1994 م . قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 51

^٢ سورة النساء / آية 46

^٣ سورة المائدة / آية 13

^٤ سورة المائدة / آية 41

والرعاية ، قال تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }^(١) ، وفي العصر الحديث

ظهرت الفلسفة الغربية التي تقوم على اعتبار الطبيعة والواقع والحس مصادر مستقلة وفريدة للمعرفة اليقينية أو المعرفة الحقة بل إنها تعتبر أن الطبيعة هي التي تنتقش الحقيقة في عقل الإنسان وهي التي توحى بها وترسم معالمها الواضحة وأن الإنسان لا يتلقى أية معرفة إلا ما يتلقاه من الطبيعة .

وأما ما كان يسمى بالثقافة الماركسية فإنها كانت تعتبر الحالة الاقتصادية أصلاً لكل الأعمال الإنسانية وهذا التصور يورث الإنسان الاضطراب في الفكر والنفسية والاضطراب في تصوره عن الكون وخالقه ، هذا الكون البديع بصنعه الدقيق بحركاته .^(٢)

ولهذا يتعجب علماءنا المسلمون من أولئك الذين ينجرون وراء الفلسفات البشرية وما فيها من تناقض ونقص واتباع للهوى ومن هذه الأقوال : " إن صفة الريانية في ثقافتنا يقابلها صفة المادية والبشرية في الثقافات الأخرى ومنها الثقافة الأوروبية وقد وضع أسسها بشر إمكانياتهم محدودة وأهواؤهم عديدة ولا يملكون من الرصيد الروحي شيئاً " .^(٣)

ويظهر الفرق بين الثقافتين الريانية والبشرية من خلال تأثير كل منهما على فكر الإنسان نفسه " ومفروق الطريق بين التصور الفلسفي والتصور الاعتقادي . بصفة عامة . أن التصور الفلسفي ينشأ في فكر البشر . من صنع هذا الفكر . لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به ولكنه يبقى في حدود المعرفة الفكرية الباردة ، فأما التصور الاعتقادي . في عمومه . فهو تصور ينبثق في

^١ . سورة الحجر / آية 9

^٢ . الخالدي ، د. محمود ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية / ج 1 ، ص 363 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، (1403هـ -

1983م) .

^٣ . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص26

الضمير ويتفاعل مع المشاعر ويتلبس بالحياة فهو وشيخة حية بين الإنسان والوجود أو بين الإنسان وخالق الوجود " . (١)

المطلب الثاني

تعريف الريانية :

الرب : اسم الله تعالى " ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة " . والمالك والسيد والقيم والمربي والمنعم والمدبر ، والمصلح ، وجمعها أرباب أو ربوب . والرياني الذي يعبد الرب ، والكامل العلم والعمل . (٢)

الريانية لغة : " من الفعل الثلاثي رب ، والربُّ هو الله عز وجل وهو رب كل شيء أي مالكة وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له هو رب الأرباب ومالك الملوك ، وعلم ربوبي : منسوب إلى الرب على غير قياس " والريانية : مصدر صناعي منسوب إلى الرب زيدت فيه الألف والنون على غير قياس ومعناه الانتساب إلى الله سبحانه وتعالى والرياني بفتح الراء تطلق على الإنسان إذا كان وثيق الصلة بالله عالما بدينه وكتابه معلما له " . (٣)

والمقصود بالريانية عند أهل الاصطلاح أمران : " ريانية الغاية والوجهة ، وريانية المصدر والمنهج " . (٤)

الفرع الأول

ريانية الغاية والوجهة :

١ . قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 52
٢ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 1 ، ص 321
٣ . ابن منظور ، لسان العرب / م 1 ، ص 399 - ص 401
٤ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 7

إن الغاية التي هدفها الإسلام من عقائده وشرائعه وعبادته ليست غاية دنيوية فحسب وليست غاية تلبي المطالب الجسدية فحسب ، وإنما هي غاية تجمع بين الحياة الدنيا ونعيمها من الغايات الإنسانية والاجتماعية وبين طاعة الله و الفوز برضى الله و بجنان النعيم في الآخرة والنجاة من عذاب النار ، إذا فالغاية السامية التي حددها وهدف إليها الإسلام هي مرضاة الله تعالى والغايات الأخرى لا تتنافى مع الغاية الأصلية السامية وإنما تخدمها ، فكل ما جاء في الإسلام من تشريع أو إرشاد أو توجيه جميعها موجهة لإعداد الإنسان ليكون عبدا خالصا لله وحده بعيدا عن كل ما يؤدي إلى الشرك بالله اعتقادا أو عملا أو قولا وهذا يؤكد حقيقة توحيد الخالق سبحانه وتعالى ، قال تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ " (1)(2) ، وهذا ما تضمنته حقيقة الوسطية في الإسلام .

ومن رحمة الله بعباده أن بين لهم حقيقة الكون والحياة وحقيقة الألوهية وأجاب على تساؤلات الإنسان : عن أصله وغاية وجوده وعلاقته بخالقه وبالكون حوله ونهايته في اليوم الآخر، وشكل له نظامه وتشريعه وقوانينه وكلها تقتضي علما كاملا شاملا لا يستطيع الإنسان بطاقته المحدودة أن يحصل على ذلك بمفرده لذلك كفاه الله عناء تبديد الطاقة بالبحث عن هذه الحقائق ووجه طاقته لإدراك هذه الحقائق التي بينها الله له والتكيف معها، لذا فإن من مقتضيات الإيمان أن يؤمن المسلم بحقيقة أنه مخلوق لله تعالى وأن هذا الكون أيضا مخلوق لله تعالى وأن الله أبداع ما في الكون ليتفكر الإنسان به : فتعاقب الليل والنهار ورفع السماوات بغير عمد والتفكر في خلق الله جميعها آيات دالة على وجود الله وعظمته ، وعليه أيضا أن يؤمن أن ما في الكون مسخر لخدمته وأن غاية وجوده في الكون هو القيام بمهام الخلافة للوصول إلى الغاية السامية وهي رضى الله والفوز بجنة النعيم في اليوم العظيم ، أما مهام الخلافة : فعبادة الله تعالى وعمارته

¹ . سورة الذاريات / آية 56 - 57
² . القضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص7، بتصرف

الكون بما شرع الله ، ^(١) والمسلم يدرك هذه الحقيقة لذا فهو يسعى أن تكون أعماله الدنيوية والدينية مقرونة بنية كسب مرضاة الله والتقرب إليه سبحانه ، والمسلم يعلن هذه الغاية السامية في كل صلاة وفي كل دعاء، قال تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ^(٢)، وهناك حقيقة يجب أن لا نغفل عنها . وهي أن الإسلام دعا إلى الإيمان ووضع للمسلم حقائق عليه أن يسير من خلالها لكن هذا لا يعني تجميد العقل ، ولا يعني أن الدين ضد العلم والتقدم والإبداع ، " فالدين ليس بديلا عن العلم والحضارة وإنما هو إطار ومنهج لهما في حدود إطاره الذي يحكم شؤون الحياة ولا يمكننا أن نتحدث عن المنهج العلمي بعيدا عن المنهج الإلهي لأنهما لا ينفصلان وإن شقاء الإنسانية في انفصال العلم عن الإيمان واختلاف الغايات مما أدى إلى التفكك وصراع النفس بين الغايات المادية والروحية " ^(٣). والقرآن الكريم في أكثر من موضع دعا إلى استخدام العقل والتفكير في الكون ، قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا } ^(٤) ومدح أولي الألباب ، ودم من لا يعمل عقله في رؤية الحق ويتبع هواه .

الفرع الثاني

ربانية المصدر والمنهج :

ونقصد به الطريق الموصل إلى الغايات والأهداف وهو طريق وحيد لا غنى عنه وندعو الله أن يرشدنا له في كل وقت وفي كل صلاة ، قال تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } ^(٥) ومصدره وحي من الله إلى رسوله

^١ . قطب ، خصائص التصور الإسلامي، ص66-67.

^٢ . سورة الفاتحة / آية 5

^٣ . عثمان ، د. عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص 87 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1402هـ - 1982م)

^٤ . سورة سبأ / آية 46

^٥ . سورة الفاتحة / آية 6، 7

صلى الله عليه وسلم ^(١) ، لذا فإن هذا المصدر يتسم بسمة الخلود والصدق والصحة ^(٢) فالمشرع هو الله العظيم الرحيم الحكيم ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا } ^(٣) ، وما الرسول صلى الله عليه وسلم إلا مبلغاً عن ربه إما باللفظ والمعنى وهو كتاب الله تعالى وإما بالمعنى دون اللفظ وهي سنته المطهرة صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فإننا لا نستطيع أن نخرج الرسول عن كونه نبي الله وخاتم الأنبياء والمرسلين فدوره مجرد النقل الدقيق عن خالقه والتبليغ الأمين ^(٤) ، حتى أنه صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه أن يطروه ^(٥) كما أظرت النصرى عيسى عليه السلام .

والمنهج الإسلامي هو المنهج الوحيد الذي يوافق الفطرة الإنسانية ويلبي حاجاتها لأن مصدرها هو الله عز وجل ^(٦) خالق البشرية علام الغيوب يعلم ما يصلح للبشرية وما لا يصلح لها ، قال تعالى: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } ^(٧)

والمنهج الإسلامي هو المنهج السماوي الوحيد الذي سلم من التحريف والتبديل لأن الله تكفل بحفظه ، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } ^(٨) ، هذه الخصيصة هي التي جعلت من أمة الإسلام أمة واحدة متماسكة مشرعها واحد هو الله تعالى ، ونبياها واحد ، ودستورها واحد ، وقبلتها واحدة .

المطلب الثالث

الإسلام منهج رباني خالص

^١ .القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص33-ص35.
^٢ .الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية / ج1، ص361.
^٣ .سورة النساء / آية 174
^٤ .القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص36 ، أبو عجمية ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، ص88
^٥ . يطروه : المبالغة في الثناء عليه ، المعجم الوسيط / ج1، ص556
^٦ .قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص53.
^٧ .سورة تبارك / آية 14
^٨ .سورة الحجر / آية 9

يترتب على كون الإسلام من عند الله عدة أمور منها : كمال هذا المنهج وخلوه من النقائص والجهل والهوى والظلم فيما أن الله له صفة الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله فيستحيل في حقه خلاف ذلك فإن أثر الكمال يظهر في تشريعاته وأحكامه وقواعده ^(١) ، " فهو وحده مناط الثقة في التصور المبرأ من النقص ، المبرأ من الجهل ، المبرأ من الهوى " ^(٢) ، ومنها أنه يظفر بقدر كبير من الاحترام والهيبة عند جميع المؤمنين مهما اختلفت طبقاتهم ومراكزهم وأموالهم فهذه السلطات المالية أو الدينية أو السياسية لا تخرج عن الخضوع لله تعالى والحاجة له وشكره على نعمه ، وهذه الطاعة يختارها المسلم بمحض إرادته لأنه يعلم ما ينتظره من النعم في اليوم الآخر ، ومنها ضمان عظيم لحسن تطبيق القانون الإسلامي وعدم الخروج عليه .^(٣)

وهذا ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي حيث قال : " إن الإسلام منهج رباني مائة في المائة " فجميع ما يتضمنه الإسلام رباني سواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملات أو الأخلاق أو الفكر فجميعها تعود إلى أصل واحد هو الأصل الرباني وجميعها غايتها واحدة نيل رضا الله تعالى .^(٤)

(٤).

المطلب الرابع

آثار الربانية في سلوك المسلم :

ومن أهم ما يميز هذه الخصيصة أنها تقيم العلاقة بين العبد وربه وهي علاقة واضحة يتوجه فيها العبد مباشرة لربه في الطلب والرجاء والدعاء دون وساطة أو شفاعاة ، وجميع الخلق عند الله لا يتميزون إلا بمقدار طاعتهم لله وإخلاصهم له ^(٥).

^١ زيدان ، أصول الدعوة ، ص 47

^٢ قطب ، المرجع السابق ، ص 58-59.

^٣ زيدان ، عبد الكريم ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ص 49 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 6 ، (1401هـ - 1981 م) ، والخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 362 .

^٤ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 36.

^٥ هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 64

وللربانية آثار متعددة في سلوك المسلم منها :

1. معرفة غاية الوجود الإنساني : فالعقيدة تجيب عن تساؤلات الإنسان ومنها غاية وجوده ومن

إلهه ؟ ومن أين جاء ؟ وإلى أين نهاية مسيره ؟ وتبين للإنسان وجهته في الحياة فتجعل لحياته هدفا ولعيشه طعما .

2. الاهتداء للفطرة السليمة والتي تطلب من الإنسان الإيمان بالله تعالى ، فطرة الله التي خلق الناس عليها .

3. سلامة النفس من الصراع والتمزق .

4. التحرر من العبودية للشهوات من المال والجاه والسلطان وتوجيه الإنسان إلى من يستحق

العبادة وهو الله تعالى .⁽¹⁾ وتدفع المسلم إلى حسن السلوك لأنه يعلم أن الله يراقب أعماله في السر والعلن .

¹ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص43 ، ص10- ص25.

المبحث الثاني

الشمولية

وهي الخصيصة الثانية من خصائص الثقافة الإسلامية ، وقد رأيت أن أضعها مباشرة بعد الربانية لأن الربانية مصدرها الله سبحانه وتعالى الموصوف بكمال الجلال وعظيم الصفات العالم ما يصلح للبشر من مولدهم وحتى انتهاء آجالهم ، ويعلم ضعف الإنسان وقصور تفكيره وعجزه عن إنشاء نظام صالح له في كل زمان ومكان ، لذا أنشأ له نظاما كاملا شاملا لجميع شؤون حياته وما على الإنسان إلا التكيف مع هذا النظام . (١)

فالإسلام آخر الأديان السماوية ومحمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والقرآن آخر الكتب المنزلة على البشرية لذا اتصف بهذه الصفة . الشمولية . (٢)

المطلب الأول

مفهوم الشمولية

يرى العلماء أن الثقافة اتصفت بالشمولية لأنها تعني عدة أمور منها : أنها قدمت للبشرية تصورا اعتقاديا كاملا ومنهجيا للحياة الواقعية شاملا لجوانبها كافة وهو منهج صالح في كل زمان وفي كل مكان . (٣)

وقال آخرون : إن من معاني الشمول في الإسلام أنه رسالة للإنسان في كل مجالات الحياة وفي كل ميادين النشاط البشري فلا يدع جانبا من جوانب الإنسان إلا كان له فيه موقف قد يتمثل في

١ . قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 109

٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 99 - ص 100

٣ . الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 373 . العمري ، نادية ، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص 30 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، (1401هـ - 1981م)

الإقرار والتأييد أو في التصحيح والتعديل أو في الإتمام والتكميل .^(١) فالإسلام كل متحد مترابط متناسق لا يتجزأ.^(٢)

فالشمولية إذن تعني : أن الإسلام ينظر إلى الكون والحياة والإنسان ويوازن العلاقة بينها دون أن يطغى جانب على الآخر أو يحدث تناقضا في جوانبها أو داخل الجانب الواحد ، وهو دين يلبي حاجات الجسد والروح ، والحاجات الفردية والجماعية ، الذكورة والأنوثة ، والحاجات الدنيوية والأخروية ، وحالات السلم والحرب ، والشدة والرخاوة ، ومراحل الطفولة والشباب والكهولة ، وحالات الصحة والمرض ، وهكذا قدم للبشرية تصورا اعتقاديا كاملا شاملا ومنهجا للحياة صالحا لكل زمان ومكان . وهذا أيضا مما تتضمنه حقيقة الوسطية في الإسلام .

فرسالة الإسلام شاملة بزمانها : لأنها رسالة خالدة إلى يوم الدين وليست محددة بزمن

كباقي الرسالات الإلهية التي تنتهي بوفاة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام .

وهي شاملة بعقيدتها فلم تترك الإنسان يتخبط في الأرض يبحث عن إله يعبده وإنما بينت له الإله الحق وبينت له الطريق الموصل إلى الله بالتفكر في خلق السماوات والأرض .^(٣)

قال تعالى : { أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ }^(٤)

وأرشدته إلى غاية وجوده ، وحددت له علاقته مع خالقه وكيفية عبادته لله تعالى وشكره على نعمه ، وعلاقته بالكون حوله وأن ما في الكون مسخر له فيجب أن يقود الكون ولا يقاد منه . وهي رسالة لجميع الشعوب فلا تختص بفتنة ولا بقبيلة ولا بشعب ولا بطبقة ، فدين الله للجميع

^١ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 104

^٢ . الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص 76

^٣ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 100

^٤ . سورة الروم / آية 8

وليس كما يدعي اليهود من أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه قال تعالى: { وَقَالَتِ

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } (١)

وهي شاملة لجميع أطوار الإنسان فقد وردت تشريعات لكل طور من هذه الأطوار تنظيماً لحياة الإنسان كي لا تضطرب نفسيته ، ويهدر وقته وينتهي أجله قبل أن يعبد الله حق عبادته وهي شاملة لجميع جوانب الإنسان (العقل والجسم والروح) بشكل متوازن دون أن يطغى جانب على آخر. (٢) وأخيراً هي شاملة للأخلاق فدعت إلى الأخلاق الحميدة وحذرت من اتباع الأخلاق السيئة .

فدين الإسلام شامل في كل جانب من جوانبه العقدية والعبادية والتشريعية والأخلاقية .

المطلب الثاني

ثمرات الشمولية في نفس المسلم

١ . فمن ثمراتها أن جعلت المسلم يعيش لآخرته وهو في دنياه ويعمل لله وهو يعمل لمعاشه .

٢ . أنها منحت العقل والقلب والراحة والطمأنينة لاتصاله المباشر مع الله فلا يبقى

الإنسان حائراً وحيداً ، (٣) وهكذا حمت عقله من التفكير في أمور خارقة لتصل

به إلى بر الأمان ، وأجابت على تساؤلات الإنسان بما يناسب حدود عقله

واستيعابه .

١ . سورة المائدة / آية 18

٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 100

٣ . الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 374

٣. أنها تشعر العبد برقابة الله تبارك وتعالى له في كل تصرفاته فهو يخلص في عبادته وفي عمله ولا يتجاوز دائرة الحل ولا يتعداها إلى المحرمات (١) ، إن هذه الصفة للشيء في الحل والحرمة تبقى لاصقة بالفعل فلا يحل للمسلم تحريم الحلال أو فعل الحرام . (٢)
٤. أنها تعصم الإنسان من الالتجاء إلى غير الله كما تعصمه من أن يستمد التشريعات والأنظمة من غير منهج الله . (٣)
٥. أنها هيأت للثقافة الإسلامية صمودا كبيرا أمام التحديات الفكرية الأخرى كالشيوعية والديموقراطية الحديثة وغيرها .

^١ العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 30 ، 31
^٢ زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ص 55
^٣ الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 375

المبحث الثالث

الثبات

وهي الخصيصة الثالثة للثقافة الإسلامية ، ونقصد بها ثبات المصدر فكل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وحقيقة الألوهية وعلاقة الإنسان بخالقه وبالكون من حوله كلها حقائق ثابتة ^(١) على الإنسان أن يسلم بهذه الحقائق ويتلقاها كما نزلت . دون زيادة أو نقصان أو تحريف أو تبديل . ويتكيف معها . ^(٢)

وهذه الحقائق السابقة الذكر لا تتغير ولا تتطور ولكن الذي يتغير ويتطور هو حركة الحياة ، هذه الحركة التي تتطور وتتغير من خلال الحقائق الثابتة ولا تتعدها بأي حال من الأحوال وهذا بطبيعة الحال لا يعني تجميد حركة الفكر والحياة وإنما يعني الحركة داخل النظام الثابت . ^(٣)

المطلب الأول

الحقائق الثابتة التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية

ومن الحقائق الثابتة التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية: حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى ، وحقيقة خلق الإنسان لعبادة الله وعمارة الكون، وأن الكون مخلوق أيضا من مخلوقات الله وكل ما فيه مسخر لخدمة الإنسان، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ تُشْجَرُونَ } ^(٤)

^١ . العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص22. الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص364

^٢ . أبو عجمية ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ص89

^٣ قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص85-90 . نوفل ، أحمد ، وآخرون ، في الثقافة الإسلامية ، ص37-38 ، جمعية أعمال المطابع التعاونية ، عمان ، دار عمار للنشر ، عمان ، ط 2 ، (1411هـ - 1990م) . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص65 ، العمري ، المرجع السابق ، ص22 . الخالدي ، المرجع السابق ، ص365.

^٤ . سورة الملك / آية 15

وحقيقة أن الإيمان شرط لصحة الأعمال ، وأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، والآخرة دار جزاء وحساب ، وإن الناس خلقوا من أصل واحد (١)

وأن درجة التفاضل بين الناس هي التقوى ، " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ " . (٢)

وبهذه الخصيصة تميّزت الثقافة الإسلامية عن باقي الثقافات البشرية التي تبعد كل البعد عن منهج الإسلام المنهج الرباني ، فصنع البشر قاصر عن إعطاء البشرية نظاما شاملا لجميع جوانب حياتهم لأن أهواء البشر ومشاعرهم تتدخل بشكل أساسي في صنع الثقافة لذلك فهي غير صالحة لكل زمان ومكان وهي بحاجة وبشكل دائم إلى التطوير والتغيير لتتلاءم مع واقع حياتهم . (٣)

وقد رسمت الثقافة الإسلامية صورة متميزة للإنسان السوي " ذلك الإنسان العاقل المفكر المتزن الذي يلبي أشواقه الروحية وتطلعاته العاطفية ويشبع غريزته الفطرية في حدود ما شرع الله وما أباح " . وتبرز وسطية الواقعية أو ما يسمى (الواقعية المثالية) في أنها تمتاز بالاعتدال والتعقل والحكمة في التصرف والسلوك والاعتقاد ، وأي إنسان خرج عن اتزانه وتعقله وحكمته فهو خارج عن الفطرة السليمة والشرع القويم . (٤)

وللاطلاع على أهمية هذه الخصيصة لا بد لنا أن نعرف وضع الإنسان في ظل الأنظمة الوضعية القائمة على الحركة والتطور : فقد جعلت هذه الأنظمة الإنسان مضطربا تائها تتشابه

١ . قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 85-90 . نوفل ، في الثقافة الإسلامية ، ص 37-38 . العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 22 . الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 365 .

٢ . رواه مسلم / البر والصلة والآداب / (10) تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله / جزء من حديث 2564 ، ص 1275

٣ . أبو عجمية ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ص 89-90 .

٤ . العمري ، المرجع السابق ، ص 40-41

عليه الأمور ، فلم يعد يرى الحق حقا ولا الباطل باطلا فتخبط في الحياة تخبطا عشوائيا يظلم ويعش ويرتكب ما حرم الله فاختلفت لديه الموازين ^(١) وانقلبت مفاهيم الخير والشر في قاموس حياته .

ولقد وازن الإسلام بمصدره القرآن الكريم والسنة المطهرة بين الثبات والمرونة ووضع كلا منهما في موضعه: الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى ، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير أو يتطور ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر : الثبات في المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع من كتاب الله وسنة رسوله كقوله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَةٌ وَلِحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } ^(٢) فهذا تحريم قطعي ثابت لا مجال للمجادلة فيه أو تغييره ، في حين تأتي آيات يدخل فيها الاجتهاد ، وتتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها ، كقوله تعالى : { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } ^(٣) (٤)

المطلب الثاني

آثار الثبات في نفس المسلم :

١. شعور المسلم بالتميز على غيره " إن الشعور بالتميز يصون في الأمة مقومات وجودها ، فينشئ لها كيانا راسخا صلبا لا يعتريه التصدع أو ينفذ إليه الخلل ما دام هذا الشعور مستندا إلى الخير والحق ومنبتقا من جوهر العقيدة " ^(٥)
٢. ضبط حركة الإنسان وتقييد تصرفاته ضمن إطار محدد فلا يخرج عن جادة الهدى

ولا يحيد عن مبادئ الأخلاق .

^١. العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص23. الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص365

^٢ سورة المائدة / آية 3

^٣ سورة البقرة / آية 173

^٤ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام، ص203 - ص228

^٥ الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص79 .

٣. ضبط الفكر الإنساني فلا يتأرجح مع الشهوات ولا يندفع وراء حب أو كره عارض ولا

يتأثر بقول صاحب سلطان . قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ }^(١)

٤. يطلق يد الإنسان للعمل وعقله للتفكير ومواهبه للإبداع وطاقاته للإنتاج ونشاطه

للإثمار .

٥. يعطي الفكر والمجتمع الإسلامي الحصانة القوية والمنيعة ضد دعوات الضلال

كالفكر الشيوعي الملحد الذي ابتعد بفكره عن القيم السامية .

٦. يبث الطمأنينة في حياة الفرد والجماعة فلا تتصادم المصالح ولا تختلف الرغبات

فكل فرد يشعر بسلام داخلي إذا عمل مع الجماعة في إطار واحد واتجاه واحد .

٧. الثبات في الموازين والمعايير التي توزن أفعال الناس فلا محاباة ولا تفاضل ولا

مداهنة ، فالعظيم وغير العظيم أمام شرع الله سواء^(٢) ، فالحلال ما أحله الشرع

والحرام ما حرمه الشرع والتاريخ الإسلامي فيه الكثير من الحوادث التي تدل على

تطبيق شرع الله تعالى على الحاكم والمحكوم والغني والفقير.

^١ سورة النساء ، آية 135

^٢ العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 22 - ص 27 . الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 365 - ص 369

المبحث الرابع

الواقعية

تتسم الثقافة الإسلامية بالواقعية لأنها تقوم أساسا على تصور اعتقادي يمتاز بالوضوح والصحة والصدق ويفسر الحقائق الوجودية والآثار الإيجابية تفسيراً صادقاً واقعياً لا غموض فيه ولا خيال ولا لبس (١) .

المطلب الأول

حقيقة الواقعية

الفرع الأول : تعريف الواقعية اصطلاحاً

ونقصد بالواقعية : نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة نظرة واقعية وليست من نسج الخيال والأوهام والأساطير ، وهي نظرة توافق الفطرة وتلبي حاجاتها .

والواقعية لا تعني أن نرضى بالواقع الفاسد ونتعاشى معه بل يجب أن نغيره ، ولو كان معنى الواقعية التعايش مع الواقع الموجود لما غير النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما كان عليه قومه .

الفرع الثاني : بعض الأمور الواقعية التي يؤمن بوجودها الإنسان

ومن الأمور الواقعية التي يؤمن بها المسلم ويسلم بوجودها واقع الكون من حيث هو مخلوق لله تعالى وأن هذا الكون يحتوي على السماوات والأرض ، هذا الكون الذي يحتوي على النجوم والكواكب والشهب والنيازك ، هذا الكون الذي يحتوي على السهول والجبال والأنهار وما فيها من الكائنات الحية البرية والبحرية . (٢)

^١ العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 39

^٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 149 . قطب ، خصائص التصور الإسلامي، ص 199-200

هذا الكون الذي يدركه الإنسان ويوجه إليه عقله وقلبه ليدله على خالقه . (١)

ومن الأمور الواقعية مراعاة واقع الحياة من حيث هي دار ابتلاء وامتحان مرحلة مؤقتة تنتهي بالموت وتبدأ مرحلة الثواب والعقاب .

كما يؤمن المسلم بواقع الإنسان من حيث هو مخلوق من مخلوقات الله ميّزه الله بالعقل وكرمه على جميع المخلوقات ليكون قادرا على حمل الأمانة في الأرض .

قال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (٢)

هذا الإنسان الواقعي ممثلا ببني البشر كما هم من لحم ودم وأعصاب وعقل وروح ونوازع ومشاعر (٣) ، وتلبية جميع مطالب البشر من غذاء روحي ممثلا بالعبادة أو غذاء جسدي ممثلا بالطعام والشهوات دون أن يطغى جانب على آخر .

يقول عبد الكريم زيدان : لا توجد ديانة أولت الإنسان هذا الاهتمام مثل الإسلام فقد راعى طبيعة الناس وتفاوت قدراتهم في ممارسة شعائر العبادة وغيرها من أمور الدين ، لذلك وضع لهم حدا أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه لأنه ضروري لإقامة الدين ، وتمييز المسلم عن غيره . (٤)

ومن جهة أخرى وضعت الشريعة مستوى أرفع وأعلى من المستوى السابق ولكنها لم تلزم المسلم القيام به وإنما جاء ذلك من باب الاستحباب لرفع الحرج والمشقة عن المسلمين لأن الحرج والمشقة وإعنات الناس ليس من الدين في شيء ، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (٥)

١. القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 149 . قطب ، خصائص التصور الإسلامي، ص 199-200

٢. سورة الأحزاب ، آية 72

٣. قطب ، المرجع السابق ، ص 204. العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 40

٤. زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ص 74 ، بتصرف

٥. سورة البقرة / آية 185

ولا تقف واقعية الإسلام على بيان الحد الأدنى والأعلى في العبادة وإنما تتعداه إلى إيجاد
المخارج للمسلمين في أوقات الشدة والضييق ^(١) ومثال ذلك: أباح الإسلام الإفطار للمسافر في
رمضان إذا خشي على نفسه ، وكذلك أباح الإفطار للمرأة الحامل أو المرضع إذا خشيت على
نفسها أو على طفلها ، قال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ } ^(٢)

وبهذا نرى أن الثقافة الإسلامية إيجابية لأنها تلزم الإنسان بالعمل حسب طاقته وإمكاناته ،
فتعطي المسلم الأمل ليكون له تأثير فاعل إيجابي في الكون ، يؤثر فيمن حوله حسب طاقته
فيكون " إيجابيا في عقيدته متفاعلا معها مدركا لمعانيها ... فيجسده واقعا يرقى به الأكمل
والأفضل دائما " وهذا من سمات الوسطية " فليس المسلم في عرف الثقافة ذلك الإنسان السلبي
الذي يعيش بعيدا عن أحداث الحياة وقضاياها المعاصرة لا يهتم في دنيا المسلمين أمر ولا يهزه
خطب ولا يثيره حدث .

إن المسلم لا يهدأ له بال ولا يرتاح له ضمير حتى يرى شرع الله أقيم في الأرض ، وعندما يسود
هذا الشعور في قلب كل مسلم غيور على الدين وعلى الإسلام عندها نستبشر بفرح الله تعالى ،
وعندها يفرح المسلمون بنصر الله . ^(٣)

آثار الواقعية في نفس المسلم

^١ زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ص 74 - ص 76

^٢ سورة البقرة / آية 286 .

^٣ العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 36

١. أن المسلم إذا علم أن العقيدة خالدة فإنها تغذي في نفسه الرغبة في طول البقاء لإقامة

شرع الله حتى نهاية أجله فأجله ينتهي والعقيدة لا تنتهي، فالله تكفل بحماية دينه حتى

يوم الدين، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } .^(١)

٢. وفي معرفة المسلم أن هنالك يوماً آخر فيه ثواب وعقاب يغذي في المسلم الإحساس

الفطري الأصيل بضرورة القصاص من الظالم والمثوبة لمن فعل الخير وعدم التسوية

بين الأخيار والأشرار .

٣. وفي معرفة المسلم بوجود الجنة والنار آثار معنوية وحسية مطابقة لواقع الإنسان من

حيث هو جسم وروح لكل منهما مطالبه وحاجاته .^(٢)

" إن الإسلام دين للواقع ، دين للحياة ، دين للحركة ، دين للعمل والنتاج والنماء ، دين تطابق

تكاليفه للإنسان فطرة هذا الإنسان بحيث تعمل جميع الطاقات الإنسانية عملها التي خلقت من

أجله وفي الوقت ذاته يبلغ الإنسان أقصى كماله المقدر له " .^(٣)

^١ . سورة الحجر / آية 9

^٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص154

^٣ . قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 112

المبحث الخامس

الإنسانية

المطلب الأول

حقيقة الإنسانية

الإنسانية معنى واسع تشمل المسلم وغير المسلم ونعني بها أن يرد الناس إلى أصل واحد فلا تمييز بين عربي وأعجمي وبين أسود وأبيض وبين جنس وآخر ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (١) (٢) ، فجعل معيار التفاضل بين الناس التقوى وليس العرق أو اللون أو الجنس أو القبيلة ، وقد وردت العديد من الآيات وخاصة المكية تخاطب الناس كافة لدعوتهم إلى توحيد الله ، ودعوتهم للتفكر في خلق الله وإخبارهم بأهوال يوم القيامة وغيرها .

فالإسلام رسالة سماوية جاءت عامة لجميع البشر في جميع أنحاء العالم فلا تختص بشعب دون الآخر ولا بأمة دون أمة وخير دليل على ذلك أن مصدرها رباني والمخاطب بها هو جنس الإنسان دون تحديد جنسه أو قومه أو عصره ، (٣) وقد خص الله رسالة الإسلام دون غيرها بهذه الميزة لأن الرسائل السابقة جاءت بمهمة محددة هي ترك الأعمال المحرمة . من تطفيف الميزان أو الفساد في الأرض أو عمل المنكر أو الشرك بالله . وأمرهم بعبادة الله وحده واتباع شرعه وقد جاء كل نبي إلى قومه في بيئة محددة فلم تكن تعاليمها شاملة للزمان أو للمكان .

فعندما جاءت رسالة الإسلام حباها الله بهذه الشمولية سواء بتعاليمها الشاملة لجوانب الحياة أو بتعاليمها الموافقة للفطرة البشرية واحتياجاتها أو بشمولها لجميع البشر في كل زمان ومكان .

^١ سورة الحجرات / آية 13

^٢ الشعراوي ، محمد متولي ، الإسلام حدثاً وحضارة ، ص145 ، دار العودة ، بيروت ، د.ط ، 1982

^٣ عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص120

ولقد كان عنصر الإنسان هو غاية كل ثقافة فكل يعمل به ومن أجله ، فجميع الأنظمة السابقة والحديثة تردد شعارات الإنسانية واحترام حقوق الإنسان ورفي البشرية^(١)، إلا أننا نرى أن كل هذه عبارات طنانة للالتفاف حول ثقافتهم فماذا عملت الشيوعية للإنسان إنها حرمته من أبسط حقوقه وهي الملكية وجعل كل ما في الدولة ملكا عاما فشعر الإنسان بالإحباط وقل لديه الإبداع والحرص على العمل فانهار بذلك المعسكر الشرقي . وأما الرأسمالية فقد اهتمت بالفرد على حساب الجماعة وجعلت منه بنكا ليس في تفكيره إلا جمع الأموال وبأي طريق فماتت لديه القيم الأخلاقية وتقوى الله .

وهذا لا نراه في ديننا الحنيف الذي كرم الإنسان وجعله وسطا في حياته كلها فأعطاه حقه في التملك وفي العمل والإبداع ولكن من غير أن يطغى أو يظلم أو ينحرف في سلوكه . وهناك نظرة أخرى للإنسان بين مؤله له ومنزل إياه إلى مرتبة الحيوان فالإسلام وازن بين هذه النظرة فلم يرفع الإنسان إلى درجة الألوهية كما فعل الفراعنة سابقا من تأليه لفرعون ولم ينحدر بالإنسان إلى درجة الحيوان كما فعلت الدارونية التي أرجعت أصل الإنسان إلى الحيوانية ثم ارتقى حتى أصبح على هيئته الحالية .

فالإنسان في الإسلام مخلوق مكرم ميّزه الله على سائر المخلوقات وحمله أمانة عمارة الكون وعبادة الله قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^(٢) وجاءت التشريعات السماوية بما يتلاءم وطبيعة هذا المخلوق ونظرت إليه كوحدة واحدة متماسكة فاهتمت بعقله وروحه وجسده دون أن يطغى جانب على آخر وقد بينا ذلك في حديثنا عن الشمولية .^(٣)

^١ . نوفل ، الثقافة الإسلامية ، ص 42 . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 54 - ص 56 بتصريف

^٢ . سورة الذاريات / آية 56

^٣ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 68 - ص 69

ومن مظاهر تكريم الله للإنسان استخلافه في الأرض وتميزه عن سائر خلقه ، خلقه الله في أحسن صورة ، ونفخ فيه من روحه ، وسخر له ما في الكون لخدمته (١) .

المطلب الثاني

آثار الإنسانية في نفس المسلم

١. تحقق العدل والرحمة والمصالح البشرية . (٢)
٢. تنادي بالإخاء والمساواة والحرية . (٣)
٣. استطاعت أن تلبي حاجات الإنسان بوضعه في المكان المناسب له في الكون وتكريمه من غير تأليه أو إهانة له .
٤. وازنت في طبيعته فلم يطغى جانب على آخر فاهتمت بروحه وعقله وجسمه وبذلك أخرجته من حالة التخبط الذي سيشعر به .

^١ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 68 - ص 72 .
^٢ . الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص 99 .
^٣ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 84 .

المبحث السادس

العالمية

رسالة الإسلام خالدة إلى يوم الدين ، ليس بعدها رسالة لذلك جاءت عامة لجميع الأمم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبلدانهم، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }^(١) ^(٢) وتعتبر هذه الميزة من آثار الربانية التي اقتصت بها الثقافة الإسلامية فالله خالق البشر جعل رسالة الإسلام آخر الرسالات المنزلة وحفظها من التحريف والتغيير وجعلها شاملة بعقيدتها وتشريعاتها صالحة لكل زمان ومكان على اختلاف العصور .

(٣)

وجعل من العقيدة الإسلامية أقوى الروابط بين بني البشر جميعا فلا تقاس الروابط بمقاييس البشر المعروفة^(٤) كرابطة الدم أو النسب أو الحزب أو القبيلة، قال تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }^(٥)

وتعتبر هذه الخصيصة من أهم الخصائص التي امتازت بها الثقافة الإسلامية على غيرها من الثقافات فهي ثقافة عالمية مفتوحة غير متعصبة ولا تعتمد على تعاليم سرية مغلقة وإنما تنطلق من وحي يعتمد على التوحيد وعبادة رب العالمين وليس ربا للمسلمين وحدهم أو للعرب وحدهم فالناس كلهم عبيد لله لا يتفاضلون إلا بالتقوى، قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }^(٦)

١ . سورة سبأ / آية 28
٢ . زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ص 57
٣ . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 82
٤ . عبد العزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 26
٥ . سورة المجادلة/ آية 22
٦ . سورة الحجرات/ آية 13

فإذا نظرنا إلى الثقافة الغربية وخاصة الأوروبية فإننا نراها مع ادعائها التقدم والحضارة ومبادئها بالعوامة وأن يكون العالم مفتوحا على بعضه في جميع المجالات ، إلا أنها تميّز العنصر الأوروبي على غيره ومما جاء في ذلك : " جنس واحد بلد السادة والأبطال هو الجنس الأوروبي فإذا نزلت بهذا الجنس مستوى الحضائر التي يعمل بها الزوج والصينيون فإنه يثور " ويعزو سبب ثورة الأوروبي بأنه لا يرضى بالأعمال التي لا تتفق مع جنسه مع أن غيرهم من الزوج والصينيون يسعدون بها .^(١) أما الإسلام فقد كرم الإنسان مهما كان عمله ولونه وجعل ميزان التفاضل بينهم التقوى .

ومما يؤكد على عالمية رسالة الإسلام أن أوائل الذين دخلوا بالإسلام من غير العرب كصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وبلال بن رباح الحبشي جميعهم كانت لهم يد بيضاء على الدعوة الإسلامية ، ومما يؤكد ذلك أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ، وجيش الجيوش لنشر رسالة الإسلام وأرسل الرسل لملوك الحبشة والفرس والروم يدعوهم إلى رسالة التوحيد .^(٢)

^١ . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 28
^٢ . الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها 1 ، ص 14 ، برنامج التعليم المفتوح ، القدس ، 1992

المبحث السابع

الإيجابية

المطلب الأول

حقيقة الإيجابية

ونعني بالإيجابية عكس السلبية ، الإيجابية الفاعلة في علاقة الله بالكون والإنسان والحياة وإيجابية الإنسان ذاته وعلاقته داخل المجال الإنساني . (١) وقد اتصفت الثقافة بهذه الخصيصة لأن مبادئ الإسلام لا تتمثل في مجرد مجموعة قوانين وقيود وقواعد جامدة وإنما هي في صميمها قوة بناء وحركة دافعة على النمو فالعمل والحركة من أهم ما يميز الثقافة الإسلامية (٢) ولكن ضمن ضوابط تساعد على اتباع المنهج بفاعلية تامة . وإيجابية الثقافة الإسلامية تتمثل أيضا في عبودية الإنسان لخالقه ، فالإنسان في الثقافة الإسلامية يعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد المدبر المهيم السميع البصير الفعال لما يريد بيده الأمر كله إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون ، أسماؤه وصفاته سبحانه كاملة الإيجابية والفاعلية . (٣)

قال تعالى : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } {26} تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } . (٤)

١. أبو عجمية ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ص 93. عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص 90. نوفل ، في الثقافة الإسلامية ، ص 45 قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص 172
٢. عثمان ، المرجع نفسه ، ص 90
٣. أبو عجمية ، المرجع السابق ، ص 93 . العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 35 ، الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 379
٤. سورة آل عمران / آية 26 - 27

لذلك فإن الثقافة الإسلامية تنبذ السلبية والانكماش والتفوق وتحذر من التواكل والتخاذل والتكاسل (١) . وتعتبر هذه من ثمرات الإيمان في حياة المسلم فإيمانه بأي صفة من صفات الله له أثر في نفسه فاعتقاده أن الله هو الخالق القادر يدفعه أن يتوكل عليه ويلجأ إليه في كل حين والدعاء والتقرب إلى الله خير دليل على ذلك . (٢)

فالمسلم في حركة دائمة يعمل حسب طاقته وإمكاناته ومواهبه يتفاعل مع الكون وحركات الكون فيتأثر به ويؤثر فيه ، ويتفاعل المسلم مع العقيدة ويستشعر كل ركن من أركانها . (٣) ويتمثله في سلوكه وأخلاقه وينشر العقيدة بين أرجاء العالم . ومن مظاهر الإيجابية في حياة المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله ويكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه ومن أمه وأبيه ، ويقبل على العبادات دون تردد أو تباطؤ (٤) .

المطلب الثاني

آثار الإيجابية في نفس المسلم :

للإيجابية في نفس المسلم آثار كثيرة :

١ . تشعر المسلم بأهميته في الكون وأن وجوده على الأرض يتطلب منه حركة وعملا إيجابيا

في ذات نفسه وفي الآخرين من حوله ، ويستشعر ضخامة الأمانة التي يحملها وأنه لن

يبلغ شكر الله على نعمة الوجود ونعمة الإيمان إلا إذا أدى دوره الإيجابي في خلافة

الأرض وفق شرع الله ومنهجه . (٥)

١ . العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص 36. الخالدي ، المرجع السابق ، ص 380 ، عبد العزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص30

٢ . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص68 .

٣ . العمري ، المرجع السابق ، ص36

٤ . عبد العزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص30

٥ . قطب ، خصائص الثقافة الإسلامية ، ص190 - ص191

٢. ترفع من شأن المسلم أمام نفسه وغيره وترفع من اهتماماته وغاياته وأهدافه .^(١)
٣. تبسط أمام العقل آفاقا واسعة وتدعوه إلى النظر في الكون والتفكر فيه والتفاعل معه .

(٢)

٤. تعزز ثقة المسلم بنفسه ، فهو يعلم أن الله معه أينما كان يجاهد في سبيل الله ويقبل على الشهادة ، ويجادل الكفر وأهله دون خوف أو تخاذل أو تقاعس .

^١. العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص38. الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص382

^٢. عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص91

المبحث الثامن

الوضوح

المطلب الأول

حقيقة الوضوح

تعتبر هذه الخصيصة من خصائص الثقافة الإسلامية وتشمل وضوح المصدر والأهداف والغايات والوسائل وتتجلى هذه الخصيصة في كل مظهر من مظاهر الإسلام كما الشمولية والإيجابية .

فالعقيدة الإسلامية مصدرها الله سبحانه وتعالى لا شريك له في الملك ، بيده مقاليد الحكم ، وهو أعلم بالبشر ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم لذلك وضع لهم من التشريع ما يوافق فطرتهم ويوافق أوضاعهم بكافة أشكالها . ومن هذه المصادر القرآن الكريم وهو كلام الله المنزل على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم السنة المطهرة : " عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَاءِ يَخْطُبُ فَمَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي" .⁽¹⁾ وينبثق عن هذا المصدر مصادر أخرى وضحتها الشريعة الإسلامية لرفع الحرج عن المسلمين ، ومن مظاهر وضوح العقيدة أن المسلم يتجه إلى ربه في عبادته ودعائه ورجائه وخوفه لان العقيدة بينت له أن الله إلهه الحق وعليه أن يتوجه له وحده وأن غاية وجوده عبادة الله على الأرض بما شرع له .

¹ . رواه الترمذي/ ج 5 / المناقب / (32) مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم / 3786 / ، ص 478 ، حققه الذهبي: قال حديث حسن غريب ، وحققه الألباني وقال حديث صحيح . ص 855 ، { " المشكاة / 6143 / التحقيق الثاني " } ، وفي رواية ابن ماجه ، جزء من حديث " وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَمْ تَضِلُّوا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ مَسْتَوِلُونَ عَلَيَّ فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكَبُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " / ج 3 / المناسك / (84) حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم / 3074 ، ص 80 - ص 84 ، حققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 520 - ص 521 ، { " حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، الإرواء / 1120 ، صحيح أبي داود / 1663 " }

وأن الدنيا هي دار ابتلاء وعمل وأن الآخرة دار القرار .

قال تعالى : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (١)

ومن مظاهر الوضوح في الشعائر التعبدية أن بين لنا كيفية أداء العبادة : كالصلاة والصوم والحج والزكاة بشكل واضح ميسر لا يختلف على فهمه الأمي والمتعلم .

وفي باب الأخلاق والآداب والشرائع المختلفة تجلى وضوح الثقافة في أحسن صورته فكل ما فيه خير للمسلم حث على التمسك به ، وحث على تجنب كل ما فيه ضرر له .

المطلب الثاني

آثار الوضوح في حياة المسلم

أنها جعلت المسلم متزناً في نفسه وفي تصرفاته مقبلاً على الحياة لأنه لا يجد شيئاً مبهماً عليه أو معقداً فكل شيء واضح لأن العقيدة أجابت على كل تساؤلاته .

" إن الارتفاع إلى مستوى الرسالة ، والإخلاص في العمل ، ووضوح الغاية ، وسلامة القصد يزود المؤمن بطاقة عظيمة تحركه للقيام بالواجب ، وتهون عليه ما يلقي من المتاعب وقدوة

المسلم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم " . (٢)

^١ . سورة الزلزلة / آية 7 - 8
^٢ . الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص 88

المبحث التاسع

الوسطية والتوازن

اتخذت الثقافة الإسلامية من الوسطية والتوازن شعارا لها فهي من أهم الخصائص التي اتصفت بها ثقافتنا . فحري بآخر الأديان السماوية أن يأتي بتشريعات تتصف بالتوازن والشمولية والتكامل في جميع جوانب الحياة إلى يوم الدين . (١)

المطلب الأول

حقيقة الوسطية والتوازن

ونعني بالتوازن في الثقافة الإسلامية أنها توازن بين جميع جوانب الإنسان فلا يعتمد على جانب دون جانب ولا يركز على مطلب في الإنسان دون غيره ، ولكنه يوزع اهتمامه وحرصه على الجوانب كلها في آن واحد من غير محاباة أو تمييز مثلما فعلت الأنظمة الوضعية التي وضعها البشر والتي تعتمد على المطالب الشهوانية والمصالح الدنيوية . (٢) فالله خلق البشر وفي فطرتهم الميل نحو التوازن في أمور حياتهم ولكن قد تطرأ على حياتهم متغيرات تبعدهم عن فطرتهم وعن توازنهم وتميل نحو الانحراف عن هذا التوازن فيبعث الله الرسل ليعيدهم إلى رشدهم وتوازنهم ، فبعد الضلال هدى . فيعود البشر إلى توازنهم . (٣)

وتعني الوسطية : " التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ومثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة : الروحية والمادية ، والفردية والجماعية ، والمثالية والواقعية . ويعبر عنها أحيانا بالتوازن " (٤) إلا أننا بيّنا سابقا أن بعض العلماء رفض هذا الربط بين المفهومين فالتوازن يمثل أحد سمات الوسطية .

١. نوفل ، في الثقافة الإسلامية ، ص36

٢. عبد العزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص28 - ص29

٣. نوفل ، المرجع السابق ، ص36

٤. القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص119

وذكر القرضاوي معاني أخرى للوسطية واعتبرها من مزاياها .:

ومنها : أنها تعني العدل ، والاستقامة ، والخيرية وسيأتي توضيح هذه المعاني في باب سمات وملامح الوسطية ، ومن أهم مزاياها أيضا : أنها تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر. فالأطراف عادة تتعرض للخطر بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله ، وأنها دليل قوة فالوسط مركز القوة ، فالشباب يمثل مرحلة القوة وسطا بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ومثال ذلك الشمس في وسط النهار أقوى منها في أوله وآخره ، وأنها دليل الوحدة فالوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي ففي الوقت الذي يكون فيه تعدد الأطراف تعدادا لا يتناهى يبقى الوسط واحدا يمكن للجميع أن يلتقي عنده ⁽¹⁾ وهذا واضح في الجانب الفكري والمعنوي .

المطلب الثاني

مظاهر التوازن

يظهر التوازن في مجالات مختلفة في الكون كتعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة والماء واليابس ، ونسبة الأوكسجين في الهواء وغيرها الكثير قال تعالى : { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } ⁽²⁾ وكذلك التوازن في نفس الإنسان من حركات الشهيق والزفير ، والتوازن أيضا بين الفكر والشعور ، و بين مكنونات النفس والكون والحياة ، وبين المطالب الفردية والجماعية ، وبين ضرورات العمل وواجبات العبادة ، وبين حب النفس وحب الآخرين ، ⁽³⁾ وبين الفرد والمجتمع و بين المادة والروح ، وبين الحياة الدنيا والآخرة وما أساس هذا التوازن إلا الخالق العظيم والمنهج الإسلامي الذي هو أصح تفسير لطبيعة الوجود

¹ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 117 ، 122 - 127 ، بتصريف ، د. سعد المرصفي ، الكعبة مركز العالم ، ص 61 ص 65 ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، (1421 هـ - 2000 م)

² سورة يس / آية 40

³ القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 120 - 121 .

وحياة الإنسان ودوره في الكون ^(١) ، ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله ويعطي حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم ، بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير ، وقد أعلن القرآن هذا التوازن وبنى عليه فلسفة الحياة ومنهجها ، وأعلن تميز الأمة الإسلامية بهذه الخصيصة الكبيرة "وسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها فهو منهج وسط لأمة وسط ، منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط ...". ^(٢)

ومن هنا نرى أن طبيعة الإسلام هي التوازن ، فلا هي مادية بحتة كمادية الجاهلية المعاصرة ولا روحية بحتة كالجاهليات التي تظهر الروح بكبت الجسد وتحقيره وإهمال الدنيا ومتاعها وإنما هي أمة تأخذ بجانب من المادة وجانب من الروح بطريقة متوازنة بحيث لا يطغى جانب على الآخر ^(٣)

ولا بد من إشارة هامة هي أن الحقائق في الإسلام لا يمكن أن تأتي متناقضة ولا ناقصة فقد أعطى الإسلام للبشرية كل ما تحتاجه من الحقائق وأرسى لديها دعامة الوحدة الروحية والفكرية على قاعدة منهج الله وهدم الخرافات ^(٤). وبهذا تجد الفطرة البشرية في التصور الإسلامي ما يلبي أشواقها كلها من معلوم ومجهول ، ومن غيب لا تحيط به الأفهام ولا تراه الأبصار ومكتشف تجول فيه العقول وتتدبره القلوب .

وهذا يمثل قمة التوازن فإله لم يخلق للبشر شهواتهم وقوتهم في الكون عبثاً إنما خلقهم على هذه الصورة من تنوع الغرائز والمشاعر من أجل السيطرة عليها وتوجيهها إلى المثل العليا ، فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة والمادية المغالية أمر تستدعيه حياة البشر ولا يوجد من راعى

^١ هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 27

^٢ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 119 ، ص 122

^٣ نوفل ، في الثقافة الإسلامية ، ص 35

^٤ الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص 76

ذلك غير الإسلام . (١) فالإسلام لم يكلف الإنسان فوق طاقته قال تعالى : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (٢)

المطلب الثالث

مظاهر الوسطية

الفرع الأول : في الجانب الاعتقادي

فقد أقامت العقيدة توازنا رائعا بين مكونات النفس والكون والحياة ووازنت بين المادة والروح وبين الدين والدنيا وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وبين مطالب النفس ومطالب الجماعة ، (٣) فالعقيدة الإسلامية وسطا بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط خانقين صوت الفطرة في صدورهم وبين الذين يعددون الآلهة . ووسط بين الذين يؤلهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية . ووسط بين الذين يقسسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية وبين الذين كذبوهم واتهموهم وقاتلوهم . (٤) والإسلام يدعو إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد وكل من عداه وما عداه من مخلوقات لا تملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا (٥)

الفرع الثاني : التوسط في جانب العبادات والشعائر

فالإسلام يقف وسطا بين الذين يشددون على أنفسهم بالعبادة ويحملونها أكثر من طاقتها وبين من يقصر بالعبادة لله فيقصر بالفرائض أو السنن ...

١ . طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، روح الدين الإسلامي ، ص165 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط21 ، دت

٢ . سورة البقرة / آية 286

٣ . هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص69

٤ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص127-129

٥ . القرضاوي ، المرجع نفسه ، ص127 ، المصرفي ، الكعبة مركز العالم ، ص67

الفرع الثالث : التوسط في جانب الأخلاق

يقول محمد أبو عجمية " إن الأخلاق الإسلامية تأخذ طابعا معتدلا لا إفراط ولا تفريط فأخلاق الإسلام وسط بين المثالية والخيالية والواقعية المرتكسة إلى الأرض وليس الإنسان الذي تصدر عنه هذه الأخلاق ملاكا ولا حيوانا بل هو بشر ركب فيه العقل والشهوة وربما خضع لمقتضى أحدهما حيناً ولسلطان الثاني حيناً .^(١) وكذلك التوسط بين المادية والروحية ، والإسلام وسط أيضاً في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي فهو وسط في التحليل والتحرير بين اليهودية التي أسرفت في الإباحة والمسيحية التي أسرفت في التحريم والوسطية بين الفردية والجماعية فقد صان الإسلام حرية الفرد وجعل لها قيوداً وضوابط وكذلك اهتم بمصلحة الجماعة .^(٢)

المطلب الرابع

آثار الوسطية والتوازن في شخصية المسلم

- ١ . خلو العقيدة من الانفصال والخصام والتناحر الموجود في العقائد الأخرى التي وضعها البشر واتصاف هذه العقيدة بالبقاء والخلود والمرونة بحيث تطاوع حياة الإنسان في أزمان مختلفة ...^(٣)
- ٢ . يحقق الإنسان العبودية لله وحده ويطرفع ويتحصن من أن يخضع لعبد مثله ، وبذلك لا يحني جبهته إلا لله ولا يستكبر ولا يفسد في الأرض .
- ٣ . تتجلى المساواة في مقام العبودية إذ الناس كلهم متساوون في هذه الخاصية وهم كلهم إخوة على صعيد واحد وأمام خالق واحد ويتلقون عقيدة واحدة ومنهج واحد على سطح

^١ أبو عجمية ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ص 126
^٢ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 129 - ص 148
^٣ هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 69

الأرض من اله واحد هو الله سبحانه وتعالى تجلت قوته ، قال تعالى : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } . (١) (٢)

٤ . معرفة المسلم صفات الله من خلال تلاوته للقرآن الكريم والسنة المطهرة فيمتلئ قلبه

طمأنينة وروحه أنسا وقربا ونفسه رجا وأملا . (٣)

٥ . اتصافها بالبقاء والخلود والمرونة بحيث تتلاءم مع حياة الناس في أزمان مختلفة وجعل

الحياة تسير في خط مستقيم لا انحراف فيه ولا شذوذ . (٤)

وجود الخصائص السابقة في الثقافة الإسلامية هيأها أن تتصف بالوسطية ، فالوسطية تعني

الأعدل والأفضل والأحسن ، والثقافة التي تحرص من داخلها على احتواء الإنسان بكل احتياجاته

المادية : الجسمية والعقلية ، والروحية : النفسية ، وتهتم بالإنسان الفرد والإنسان المجتمع ،

وتهتم به طفلا وشابا وكهلا ، وتهتم به ذكرا أو أنثى ، حاكما أو محكوما غنيا أو فقيرا ... دون

محاباة أو ظلم تستحق أن تكون أفضل الثقافات التي مرت على تاريخ البشرية .

^١ سورة الأنعام / آية 18

^٢ الخالدي ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ص 377

^٣ أبو عجمية ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ص 92

^٤ هندي ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص 69

الباب الثاني

المنهج الديني منهج وسط لا إفراط فيه ولا تفريط

الفصل الأول : الإفراط والغلو

المعنى اللغوي والاصطلاحي للإفراط ومدلولاته

الأدلة الشرعية في ذم الإفراط

مظاهر الغلو والإفراط

علاج الغلو والإفراط

الفصل الثاني : التفريط والجفاء

المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفريط والجفاء ومدلولاته

الأدلة الشرعية التي حذرت من التفريط

بواعث التفريط

مظاهر التفريط والجفاء

علاج التفريط والجفاء

الفصل الثالث : الصراط المستقيم

المعنى اللغوي والاصطلاحي للصراط المستقيم

الأدلة الشرعية التي دعت إلى اتباع الصراط المستقيم

الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم

تمهيد

المنهج الديني منهج وسط لا إفراط فيه ولا تفريط لذا كان هذا المبحث من الأهمية لإظهار وسطية الإسلام والمنهج الذي يسير عليه ، والأخطار التي ستنتج بالابتعاد عن وسطية الإسلام ، وقد بين ابن القيم هذا المنهج فقال : " فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين ، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا ، وهي الخيار والعدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط والآفات إنما تنتظر إلى الأطراف ، والأوساط محمية بأطرافها فخير الأمور أوساطها " .^(١)

وعقيدة المسلم تعتمد على الحق فمن أخذ ببدايات حدود الحق فعليه أن يستمر داخل الحدود حتى يستغرق مساحة الحق ، وعليه أن يكون حذرا من التجاوز ، وهو يظن أنه يستوفي مساحة الحق ، فإذا تجاوز الحدود سقط في الباطل وكان ذلك منه غلو ، وعليه أن يكون أيضا على حذر من إخراج بعض مساحة الحق واعتبارها مساحة خارجة منه فإن فعل شيئا من ذلك سقط في الباطل وكان ذلك منه تفريطا .^(٢)

وسأقتصر في هذا الباب على تعريف الغلو والإفراط لغة واصطلاحا ، والإشارة إلى تحذير النصوص الشرعية من هذا المنهج بالتعبير عنه : بالغلو تارة ، والتنتعق تارة ثانية والتشديد تارة ثالثة ، والإفراط تارة رابعة والبطر والإسراف تارة وأخيرا بالتطرف ، ثم نتناول أسباب الغلو ، ومظاهره ، وآثاره على الإسلام والمسلمين ، وكيف يمكن علاج هذه الظاهرة في المجتمع المسلم ، ثم نعرض على الطرف الآخر الجفاء والتفريط ونوضح المقصود منه وتحذير الشريعة منه ،

^١ . الجوزية ، ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ص 188 ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، الأزهر ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، د . ط . د . ت .
^٢ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 87 ، الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 82 - 83

وأسبابه ومظاهره ، ثم نبين مخاطر كلا الطرفين وأيها أشد خطرا ، لنقف بعدها على الصراط
المستقيم فنصل بذلك إلى غايتنا من معرفة الدين الحق دين الهداية والرشاد .

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للإفراط ومرادفاته :

المطلب الأول

الغلو لغة : تجاوز الحد ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء وإذا كان في القدر والمنزلة غلو ، وفي السهم وأفعالها جميعا غلا يغلو ^(١) وغلا في الأمر والدين : تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط . ^(٢) وغلا غلوا : زاد وارتفع ، والسهم : ارتفع في ذهابه وجاوز المدى ، وبالدين شدد وتصلب حتى جاوز الحد . وغالى غلاء ومغالاة في الأمر : بالغ . ^(٣)

أما **التطرف** فيعرف لغة : من الفعل طرّف أي أتى الطرف ، والشيء صار طرفا جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط ، ومنه تطرف في آرائه فهو متطرف أي جاوز حد الاعتدال فيها. ^(٤) ومن لوازمه أنه أقرب إلى المهلكة والخطر وأبعد عن الحماية والأمان وفي هذا قال الشاعر : كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا . ^(٥)

الإفراط : من الفعل فرط : يقال إياك والفرط في الأمر أي مجاوزة الحد ، والفرط بضمّتين الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد وكان أمره فرطا وقيل إسرافا وتضييعا. ^(٦) وفرطا عليه في القول : أسرف ، وعلى فلان : آذاه ، فرط : مدحه أو هجاه حتى تجاوز الحد أفرط : جاوز الحد من جانب الزيادة والكمال ، والفرط الإسراف ، الظلم والاعتداء ، والأمر الفرط : المجاوز فيه الحد . ^(٧) وأفرط إفراطا : أسرف وجاوز الحد . ^(٨)

^١ الزين ، سميح عاطف ، مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 638 ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع ، ط3 (1414 هـ - 1994 م)
^٢ أنيس ، المعجم الوسيط / ج 2 ، ص 660 ، باب غلا
^٣ أنيس ، المرجع نفسه ، ص 660 ، المنجد في اللغة والأعلام ، ص 558 ، الرازي ، مختار الصحاح ، ص 480
^٤ أنيس ، المرجع نفسه ، ص 555 ، باب طرف ، المنجد في اللغة ، باب طرّف ، ص 464
^٥ القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 24
^٦ الزين ، المرجع السابق ، ص 656 ، الشرتوني ، أقرب الموارد / ج 2 ، ص 917 - 918
^٧ المنجد في اللغة ، باب فرط ، ص 578
^٨ الرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي / ت 770 هـ ، المصباح المنير / ج 2 ، ص 469 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د . ط ، د . ت

التنطع :من الفعل نطع : المتشدقون في كلامهم ، وتنطع في الكلام تعمق فيه وغالى وتأنق

وعبارة الأساس وتنطع في كلامه تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه إلى نطع الفم . (١)

البطر : هو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير

وجهها (بطرا ورتاء الناس) (بطرت معيشتها) . (٢)

الإسراف : تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان وإن كان بالإتفاق أشهر " والذين إذا أنفقوا لم

يسرفوا ولم يفتروا " " ولا تأكلوها إسرافا وبدارا " ويقال تارة اعتبارا بالقدر وتارة بالكيفية ولهذا كان

سفيان يقول : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلا ، قال تعالى " فلا تسرف

في القتل " ففي القصاص أن لا يتجاوز القتل إلى غيره أو يعدل عنه إلى من هو أشرف منه .

(٣) ، " وأسرف إسرافا : جاوز القصد والسرف بفتحيتين اسم منه وسرف سرفا من باب تعب جهل

أوغفل فهو سرف وطلبتهم فسرفتهم بمعنى أخطأت أو جهلت . (٤)

ويكون الإسراف إما نتيجة اندفاع أو نتيجة جهل تفرضه ظروف مؤقتة أو طارئة تستثير في

النفس الإعجاب أو الكراهية فيأتي صاحبها في سذاجة بأقوال وأفعال فيها طيش وسفه يعبر بها

عن موقفه الجانح عن الصواب وإما أن يكون الإسراف غلوا مقصودا ومدبرا كثمرة نتجت

للإحساس باليأس والقنوط ، أو نتيجة للمكابرة والاستعلاء والتمرد على القيم وفي جميع هذه

الأحوال يكون الغلو جنوحا عن الحق وابتعادا عن الوسط . (٥)

ومن خلال ما سبق يتضح جليا أن تعريف الغلو والتنطع والإفراط يصدق عليهم تجاوز

الحد وأن كلا منها يحمل معنى أبلغ من الآخر في بعض ما يستعمل عليه فمثلا من يشدد على

نفسه في تحريم الطبيبات فوصف الغلو ألصق به والذي يعاقب من اعتدى عليه عقوبة تعدى بها

١ . الشرتوني ، أقرب الموارد / ج 2 ، ص 1314

٢ . الزين ، مجمع البيان الحديث ، ص 131

٣ . الزين ، المرجع نفسه ، ص 417

٤ . الرافعي ، المرجع السابق ، ص 274

٥ . الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 78

حدود تلك العقوبة فوصف الإفراط ألصق به ^(١) ومن مال عن الوسط زيادة أو نقصان فوصف التطرف ألصق به " وأن أفاظ التطرف ، التشدد ، التمتع ، الإسراف ، العنف مقربة للفظة الغلو : بوجه من الوجوه الآتية : إما أنها مرادفة لها ، أو بينها وبين لفظة الغلو في عموم وخصوص ، أو أنها تمثل أوصافا ومظاهر للغلو . ^(٢) والذي يعيننا في هذا المبحث أن كلا من المصطلحات السابقة هي خروج عن الوسطية فكل أمر استحق وصف الغلو أو الإفراط أو التطرف فليس من الوسطية في شيء .

المطلب الثاني

الغلو اصطلاحا

الغلو اصطلاحا : تحميل الأقوال ، أو الكلمات والأعمال فوق ما تحتل . ^(٣) والغلو مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق . ^(٤)

" ويكون الغلو في العقائد وفي المفاهيم الدينية بمجاوزة حد الحق فيها بدافع المبالغة الزائدة عما ينبغي للأخذ بها والتحمس لها ومناصرتها . وهذا التجاوز لا يكون إلا خروجا إلى الباطل بمقدار نسبة التجاوز ، إنه ليس بعد حدود الحق من خارج دائرة مفاهيمه أو مساحتها أو أرضها إلا الباطل وإلا الضلال " . ^(٥) فالغلو إذا هو إسراف ومبالغة في معالجة الأمور المادية والعقلية والروحية وهو يشكل تطرف يتجاوز حدود ما هو معقول إلى ما هو مرفوض . ^(٦)

^١ العمر ، الوسطية في القرآن ، ص63

^٢ اللويحق ، عبد الرحمن بن معل ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، ص 529 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، (1412هـ - 1992م)

^٣ نوح ، د. السيد محمد ، آفات على الطريق / ج3 ، ص194 ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ط13 ، (1415هـ - 1994م)
^٤ ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن عبد السلام / ت 728 هـ ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / ج 1 ، ص328 ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط 8 ، (1421هـ - 2000م)

^٥ الفرפור ، الوسطية في الإسلام ، ص91

^٦ الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص78

المبحث الثاني

النصوص الشرعية التي تشير إلى الغلو والتنطع والتشديد والإفراط

المطلب الأول

الآيات القرآنية التي تحذر من الإفراط

لمّا كان أهل الكتاب أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف ، جاء بحقهم النهي عن الغلو في أكثر من موضع في القرآن الكريم :

قال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } . (١)

" أي يا أهل الإنجيل لا تجاوزوا الحق في دينكم فنفرتوا فيه ولا تقولوا في عيسى غير الحق " . (٢)

ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآية : " فهو الغلو إذن وتجاوز الحد والحق ، هو ما يدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق ، فيزعمون له ولدا ، ويزعمون أن الله الواحد ثلاثة . (٣)

وقال تعالى : { فِيمَا نَقُضِهِمْ مِّثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } (٤)

^١ . سورة النساء / آية 171
^٢ . الطبري ، جامع البيان / م4 ، ص372
^٣ . قطب ، في ظلال القرآن / ج2 ، ص816
^٤ . سورة المائدة / آية 13

قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ

قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ {77} لُعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ

دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } (١)

وقال تعالى: { قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى } (٢)

قال الضحاك: "يفرط" يعجل. قال: و "يطغى" يعتدي. النحاس: التقدير نخاف أن يفرط علينا

منه أمر، قال الفراء: فرط منه أمر أي بدر؛ قال: وأفرط أسرف. (٣)

قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } {31} يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (٤)

وقال تعالى: { وَرَهَبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

{ (٥)

من خلال الآيات السابقة نرى أن الخطاب موجه لأهل الكتاب من النصارى واليهود وفي هذا

تحذير للمسلمين أن يسيروا على نهجهم فيحدثوا في الدين ما ليس منه .

١ . سورة المائدة / آية 77 - 78

٢ . سورة طه / آية 45

٣ . القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / ج 11، ص 201

٤ . سورة التوبة / آية 31

٥ . سورة الحديد / آية 27

المطلب الثاني

الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في النهي عن الإفراط والغلو :

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " . (١)

"وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم

وأفطر وفم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك

صيام الدهر كله فشددت فشددت علي فقلت يا رسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام قال نصف الدهر

فكان عبد الله يقول بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم " . (٢)

"وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به " (٣)

"وقال ابن عباس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبه وهو على راحلته هات

القط لي فلقطت له حصيات هُنَّ حصى الخذف^(٤) فلما وضعتهن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " (٥) وهذا قول عام في جميع أنواع

الغلو في الاعتقاد والأعمال . (١)

١ . رواه البخاري / ج 2 / أحاديث الأنبياء / (48) قول الله " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها / 3445 ، ص 694
٢ . رواه البخاري / ج 3 / الصوم / حق الجسم في الصوم ، ص 51 ، ورواه مسلم برواية أخرى / الصيام / (35) النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا / 1159 ، ص 535
٣ . رواه الإمام أحمد / ج 24 / مسند المكيين / زيادة في حديث عبد الرحمن بن شبل / 155529 ، ص 288 ، حققه الأرنؤوط وقال: حديث صحيح .

٤ . الخذف : الحصى الصغيرة نحو حب الباقلاء
٥ . النسائي / مناسك الحج / (219) النقاط الحصى / 3059 ، ص 427 ، حققه الألباني وقال : حديث صحيح ، ورواه ابن ماجه برواية أخرى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبه وهو على ناقته القط لي حصى فلقطت له سبع حصيات هُنَّ

"وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا " (٢)

والضابط لذلك الغلو كما أوضحت الأدلة الشرعية هو تعدي ما أمر الله به والطغيان الذي نهى

الله عنه . (٣)

والأحاديث السابقة ترشدنا إلى أن الغلو خروج عن المنهج وتعدي للحد وعمل ما لم يأذن به الله

ورسوله صلى الله عليه وسلم .

حَصَى الْخُدْفُفَ فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفُ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ / المناسك/ (63) قدر حصى الرمي / 3029 ، ص 513 ، حققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 513 . { " الصحيحة 1283 ، ظلال الجنة / 98 " }

^١ ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج1 ، ص 329

^٢ حديث صحيح سبق تخريجه ، ص 31

^٣ الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 57

المبحث الثالث

مظاهر الغلو

هنالك مظاهر عديدة للغلو والتطرف في مجتمعاتنا الإسلامية بعضها يعود لشدة التعلق بالدين والحرص على العبادة ، وبعضها يعود لشدة كره الإسلام وأهله ، والمجال لا يتسع لذكر المظاهر جميعها لذا سأذكر أهمها وأكثرها انتشارا .

الفرع الأول : كثرة الافتراضات والسؤالات عما لم يقع ، أو عما عفا الله تعالى عنه .^(١) وهذا ما

أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتطوع في الدين ، وقد علمنا رسولنا الكريم أن لا نتكلف بالعبادة ، قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم } ^(٢) وقد

نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل : كمسألة ابن حذيفة من أبوه ، ومسألة سائله إذ قال إن الله فرض عليكم الحج في كل عام . ^(٣) فعن ابن

عبّاس رضي الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل نضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية كلها . ^(٤)

الفرع الثاني : المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل ، أو تضييع الواجب ^(٥)

ويعتبر هذا من أخطر مظاهر الغلو لأنه يؤدي إلى أمور جميعها منهي عنه : كمن سهر طول الليل في صلاة ودعاء حتى إذا قرب الفجر غلبه النعاس فلم يصل الفريضة ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . ^(٦) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل النبي

^١ . نوح ، أقات على الطرق / 3 ، ص 197

^٢ . سورة المائدة / آية 101

^٣ الطبري ، جامع البيان / م 5 ، ص 81 - ص 85

^٤ . رواه البخاري / ج 3 / الدعوات / إن تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم / 4622 ، ص 370

^٥ . نوح ، المرجع السابق ، ص 197

^٦ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 208

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ مَا هَذَا الْحَبْلُ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِرَبِّنَبِّ فَإِذَا
فَنَزَرْتُ تَعَلَّقْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حُلُوهَ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ " (١)

الفرع الثالث : التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر

ومن ذلك ما يعتقد بعض المريدين في أشياخهم من النزاهة والعصمة فيرون أعمال شيوخهم
وتصرفاتهم هي الحجة على النصوص الشرعية ، ويتفرع من هذا الاعتقاد الباطل ألوان وأنواع
من المعتقدات والبدع الباطلة التي لا تستظل ببرهان وإنما هو الغلو (٢) يقول الشيخ عبد الرحمن
حبنكة الميداني " وهذا التعصب للشيوخ أفسد أحوال الشيوخ والتلاميذ معا ، فجعل التلاميذ يعمون
عن عيوب شيوخهم حتى يروهم قديسين ويكرهون نظراءهم أو من هم أفضل منهم ، حتى أحسوا
بمنافستهم لهم في المجتمع ، وجعل الشيوخ يستغلون ثقة تلاميذهم بهم ثقة عمياء وقد ينحرفون
بهم عن مرضي الله إلى تحقيق مصالح أنفسهم " (٣)

الفرع الرابع : التزام التشديد دائما مع قيام موجبات التيسير

فبعض المسلمين يقومون بالتشديد في العبادة ويلزمون الآخرين به مع وجود موجبات التيسير ، إذ
لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل ، تورعا واحتياطا (٤) . كما بينا سابقا في
حديثنا عن المفتي (٥) ولكنه لا ينبغي أن يكون هذا ديدنه دائما وفي كل حال ولا يقبل منه إلزام
الناس بذلك .

الفرع الخامس : الغلظة في المعاملة

١ . حديث سبق تخريجه ص 21
٢ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 93
٣ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 186
٤ . القرضاوي ، الصحة الإسلامية بين الجود والتطرف ، ص 41
٥ . راجع مبحث أقوال الأصوليون والفقهاء في الوسطية

تعتبر الغلظة في المعاملة والخشونة في الأسلوب خلافاً لهدى الله تعالى من أهم مظاهر الغلو والتطرف . قال تعالى في كتابه العزيز : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (١) (٢)

الفرع السادس : سوء الظن بالناس

إن من أبرز مظاهر الغلو والتطرف سوء الظن بالآخرين فلا يلتصقون المعاذير للآخرين بل يفتشون عن العيوب ويحوموا حولها ، وإذا كان للقول وجهان خير وشر رجحوا احتمال الشر على الخير ، وإذا خالفهم أحداً بالرأي اتهموه بدينه وأنه لا يحترم السنة ولا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه بعض المظاهر التي يمسك بها المتطرفون بدعوى حب الله ورسوله وخوفهم على دين الله . (٣)

^١ سورة النحل / آية 125

^٢ القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف ، ص 45- ص 46

^٣ نصر ، د. محمد موسى ، الإسلام وقضايا العصر ، ص 63 - 64 ، دار المناهج للتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1997

المبحث الرابع

علاج الإفراط والغلو في الدين :

إن بيان الإفراط والغلو وتحديد المراد بهما على علم وبصيرة هو الخطوة الأولى للعلاج ، ولا قيمة لأي بيان أو حكم ما لم يستند إلى المفاهيم الإسلامية الأصلية وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة .^(١)

وقد حمل العلماء مسؤولية علاج الإفراط والغلو والتنطع لثلاث جهات: فهناك مسؤولية على ولاة الأمور ، وأخرى على الشباب، وثالثة على المجتمع ، فيجب تضافر الجهود على جميع المستويات لمواجهة الغلو والتنطع .

من أهم ما يجب أن تقوم به الأمة مجتمعة تطبيق حكم الله وشرعه في الأرض عقيدة وعبادة وأخلاقاً ونظماً ، فالإسلام منهج متكامل للحياة يصبغها بصبغته الربانية ويوجهها بوجهته الأخلاقية ، ويضع لها الإطار والمعالم والحدود ، ويربطها بغاياتها ، ويقمّم لها الانحراف عن الجادة أو السقوط في الانحراف .^(٢)

وعلى حكام المسلمين أن يرجعوا إلى شرع الله تعالى ويحكموا بما أنزل الله فعلاج الغلو يكمن بالعودة إلى الإسلام الحق فيكون منهج حياة ونجاة ، فلا استقرار للشعوب ولا خلاص لهم مما هم فيه من ذل وضعف إلا بالإسلام .

إلا أننا وللأسف الشديد نجد أغلب حكام المسلمين يأخذون من الدين ما يروق لهم ويتماشى مع مصالحهم ويدعون كل ما يعارض مصالحهم الدنيوية ، ويستوردون من الغرب القوانين والأفكار

^١ . القرضاوي ، الصحوّة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، ص33
^٢ . خليل ، مصطفى عبد الرحمن محمد ، الغلو دوافعه - أسبابه - سبل العلاج ، راجعه الشيخ محمد صفوت نور الدين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1419 هـ - 1999م ، ص 461

التي ما أنزل الله بها من سلطان بدعوى حرصهم على تقدم شعوبهم وتنمية مجتمعاتهم دون مراعاة تناسب هذه الأفكار مع تعاليم الإسلام ونسوا أو تناسوا أنهم يحكمون مجتمعا مسلما (١) ويجب على الشباب والمجتمع أن يصححوا نظرتهم ويقوموا أفكارهم حتى يعرفوا دينهم على بصيرة ، ويتم ذلك بتلقي علمهم الشرعي على أيدي كبار العلماء والفقهاء ، ويعتزلوا أشباه العلماء الذين يتصدون للفتوى بغير علم . (٢)

^١ . خليل ، الغلو ، ص 463 - ص 466 ، القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف ، ص 133 - ص 134
^٢ . خليل ، المرجع نفسه ، ص 469 وما بعدها ، القرضاوي ، المرجع نفسه ، ص 150 وكل من يريد التصدي لهذه الظاهرة فليرجع إلى كتاب (مشكلة الغلو في الدين د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق) (والصحوة الإسلامية للشيخ يوسف القرضاوي) (وآفات على الطريق د. السيد محمد نوح) ، (والغلو دوافعه - أسبابه - سبل العلاج للشيخ مصطفى خليل) .

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفريط والجفاء

فرط : التفريط أن يقصر في الفرط يقال ما فرطت في كذا أي ما قصرت ^(١). والتفريط : من

الفعل فرط تفريطاً : وتعني قصر فيه وضيعه . ^(٢) و فرط في الأمر : قصر فيه وضيعه حتى

فات ، فرط في الشيء : قصر وأظهر العجز فيه . ^(٣)

وفي اصطلاح العلماء والدعاة : فالتفريط هو التقصير أو التضييع للوظائف العبادية التي ينبغي

للمسلم المحافظة عليها كالنوم عن الصلاة المكتوبة ، أو صلاة الضحى أو التخلف عن صلاة

الجماعة وغيرها من الطاعات أو العبادات . ^(٤)

وقيل هو التقصير في أحكامه وتضييع حقوقه وإظهار العجز عن القيام بواجباته . ^(٥)

ويكون التفريط في الدين بتقليص حدود الله ، والنقص من مساحة حقوق الدين ، وعدم القيام بحق

ما من هذه الحقوق ، ويكون بمجافاة هذه الحدود ، وعدم المحافظة على حدود الله . ^(٦)

قال تعالى : { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا } ^(٧) وقال تعالى { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } ^(٨)

ويكون التفريط أيضا بالخروج عن الوسط العدل والخير الفاضل " فكذلك الأمر في التقدير

والبخل والشح والتقصير والسلبية والانعزالية خروج عن الوسط العدل والخير الفاضل " . ^(٩)

^١ . الزين ، معجم بيان الحديث ، ص 657

^٢ . الزاقي ، المصباح المنير / ج 2 ، ص 469

^٣ . المنجد في اللغة ، باب فرط ، ص 577

^٤ . نوح ، أقات على الطريق / ج 2 ، ص 168

^٥ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 53

^٦ . الميداني ، الوسيطية في الإسلام ، ص 73

^٧ . سورة البقرة / آية 178

^٨ . سورة البقرة / آية 229

^٩ . الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 79

المبحث الثاني

الأدلة الشرعية التي حذرت من التفريط

المطلب الأول

الآيات القرآنية التي ذكرت فيها فرط صريحة

ورد في القرآن الكريم ذكر فرط في سبعة مواضع وتأتي بمعنى التقصير والتضييع وتقديم العجز .

قال تعالى : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ } (١) وفرطنا بمعنى ضيعنا . (٢)

وقال تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمُّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (٣)

وقال تعالى : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } (٤) أي لا يضيعون ولا يقصرون ، أي يطيعون أمر الله وأصله من التقدم كما تقدم بمعنى فرط قدم العجز . (٥)

وقال تعالى : { وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ } (٦)

وقال تعالى : { وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } (٧)

١. سورة الأنعام / آية 31
٢. الطبري ، جامع البيان / م 5 ، ص 177 ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن/ ج 6 ، ص 411 " قال القرطبي : " فقولهم : فرطنا أي قدمنا العجز "

٣. سورة الأنعام / آية 38

٤. سورة الأنعام / آية 61

٥. القرطبي ، المرجع السابق / ج 7 ، ص 6

٦. سورة يوسف / آية 80

٧. سورة الكهف / آية 28

وقال تعالى : { قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَى } (١)

وقال تعالى : { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ

{ (٢)

قيل هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان .

المطلب الثاني

الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في بيان المقصود بالتفريط

" عن ابن عمر أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ فَقَالَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ

عَلَيْنَا فَصَدَّقْتُ يَعْنِي عَائِشَةَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ فَقَالَ

ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيضَ كَثِيرَةٍ (فَرَطْتُ) ضَيَّعْتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " . (٣)

" وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ

عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطُكُمْ (٤) وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ إِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى

حَوْضِي الْأَنْ وَنَائِي قَدْ أُعْطِيتُ خَرَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنْ

أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا " . (٥)

" وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْمَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ فِي

النَّوْمِ تَقْرِيطٌ إِنَّمَا التَّقْرِيطُ فِي الْيَقِظَةِ فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا " . (٦)

المبحث الثالث

١ . سورة طه / آية 45

٢ . سورة الزمر / آية 56

٣ . رواه البخاري / ج 2 / الجنائز / فضل إتباع الجنائز ، ص 110 ، رواه مسلم / الجنائز / (17) فضل الصلاة على الجنائز وإتباعها / 945 ، ص 430 برواية أخرى ، رواه ابن حبان / ج 7 / 13 / 5985 ، ص 3198

٤ . الفرط : السابق والمتقدم ، المعجم الوسيط / ج 2 ، ص 683

٥ . البخاري / ج 4 / المناقب / علامات النبوة في الإسلام / ص 240 ، ورواه البخاري في الجنائز برواية أخرى / ج 2 / الصلاة على

الشهيد ، ص 114 - 115

٦ . جزء من حديث للإمام مسلم / المساجد ومواضع الصلاة / قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها / 681 ، ص 311 ، رواه الترمذي / ج 1 / الصلاة / النوم في الصلاة / 177 ، ص 346 ، حقه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن صحيح ، وحقه الألباني وقال

حديث صحيح ، ص 53 ، ورواه النسائي / المواقيت / (53) فيمن نام عن الصلاة / 615 ، حقه الألباني وقال حديث صحيح ، { " ابن ماجه 698 " } ، ص 103

بواعث التفريط

المطلب الأول : الكسل

فالمقصر يميل إلى الارتخاء والكسل والاستسلام للراحة والخلود إلى الأرض ويمني نفسه الأمانى ويقعد عن أداء الأعمال ويفرط في عدم المداومة عليها وهذا ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم " فعن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله " قال ومعنى قوله من دان نفسه يقول حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة ويروى عن عمر بن الخطاب قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " (١) .

ونتيجة لهذا التفكير المحدود والسلوك القاصر يبدأ الكسول بالتفلسف من أحكام الدين ويتهاون بأداء الواجبات ويتهرب من الالتزام بالدين

المطلب الثاني : اتباع الشهوات

إن الإنسان جسم وروح وإن التدين فطرة في النفوس وإن النفس البشرية ذات نزعة مادية وتتركب من عدد من الغرائز والشهوات ويقوم العقل بتحقيق توازن بين الجانب الروحي والجانب المادي ، ويعمل الدين على توجيه الطاقات نحو الأهداف السامية وتلبية الغرائز بالطرق السليمة فإن قصر العقل أو تخلف عمله أو تغلب عليه الهوى وظهر التفلسف والتفريط في الشرع ترجح جانب المادة وتحركت الشهوات والغرائز بالاتجاه المنحرف وهذا الداء بينه القرآن قال تعالى : { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

^١ الترمذي / ج 4 / صفة القيامة والرفائق والورع / (10) ما جاء في الشفاعة / 2459 ، ص356 ، حققه الذهبي : قال أبو عيسى حديث حسن ، وحققه الألباني وقال: حديث ضعيف { " ابن ماجه / 4260 " } ، ص554

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ { (١) وقرر القرآن وجوب

التوازن بين الجانبين وأن الجانب الروحي والعمل للأخرة أسمى وأبقى وأثنى قال تعالى : { الْمَالُ

وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } (٢) (٣)

المطلب الثالث : ضعف الإيمان

فمتى تعرض الإيمان للوهن والضعف في القلوب وتحركت النزعة المادية للإغراق في الشهوات

وممارسة الفتن يهمل الجانب الروحي من قلبه ويلغيه من حياته ويتهرب من واجباته ويتلاعب

بأحكام الدين (٤) فيصبح المسلم غير محترس من المعصية وخاصة الصغائر ، تلك التي يستهين

بها الناس ولا يولونها أهمية ، فحينئذ لا بد من العقاب ويكون العقاب بأمر كثيرة من بينها

التفريط في عمل اليوم والليلة . (٥)

قال تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } . (٦)

المطلب الرابع : وساوس الشيطان

فالشيطان يوسوس في النفوس الضعيفة ويدفعها إلى التقصير في الدين والتفريط في

أحكامه بالتحايل والتهرب ، ويشير الفتن في النفوس لبيعتها عن مرضاة الله ويوقعها في

المهالك . (٧)

وفي هذا يقول ابن القيم " إن الله سبحانه جعل الشيطان عدوا للإنسان يقعد له الصراط

المستقيم ويأتيه من كل جهة وسبيل ... " (٨) ويقول في موضع آخر " ولا ريب أن

١ . سورة آل عمران / 14

٢ . سورة الكهف / آية 46

٣ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 55-60

٤ . الزحيلي ، المرجع نفسه ، ص 61

٥ . نوح ، آفات على الطريق / ج2، ص 169

٦ . سورة الشورى / آية 30

٧ . الزحيلي ، المرجع السابق ، ص 62

٨ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 141

الشيطان هو الداعي إلى الوسواس ، فأهله قد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبعوا أمره ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو اغتسل كاغتساله ، لم يطهر ولم يرتفع حدثه . ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول " . ثم تابع " فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده " . (١)

المطلب الخامس : دعاة الشر والفساد

إن كثيرا من أعداء الإسلام ينفثون في نفوس الناس من تشكيك وتضليل ، وما يقذفونه من افتراء وشبهات بقصد إبعاد الناس عن دين الله وصراطه المستقيم .

المطلب السادس : الجهل بالدين

وينقسم الجهل بالدين إلى قسمين : إما جهل كلي وإما جهل جزئي ، وقد جاء في حديث علي بن أبي طالب " لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا " فيدخل في ذلك الفهم الخاطيء في الدين والتأثر بما دخل عليه والتطبيق الخاطيء (٢) لأحكام الدين والغفلة عن عن مقاصد الشريعة وما تقدمه من خير ومنافع لأهلها وما تدفعه من مفسد وآثام .

المطلب السابع : التوسع في المباحات

^١ . الجوزية ، المرجع نفسه ، ص 135
^٢ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 64 - 65 ، الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 84

فالتوسع في المباحات في الطعام والشراب واللباس ونحوها هو السبب في تفريط عمل
اليوم والليلة ذلك أن هذا التوسع يورث الركون والنوم والراحة مما يؤدي إلى التفريط .^(١)

^١. نوح ، أفات على الطريق/ ج2، ص 171

المبحث الرابع

صور التفريط في الدين وأشكاله

المطلب الأول : التفريط في العقائد أو في المفاهيم الدينية الأساسية

ويكون التفريط بالتهاون في القضايا التي تدخل في هذه المجالات والتسامح في عدم الأخذ بها وهذا التهاون من شأنه أن يفسد هذه العقائد والمفاهيم ويجعلها عرضة للتحريف أو الابتداع وهكذا يدخل على العقيدة ما ليس منها وتكون تبعا لعبث العابثين وتلاعب الشياطين وأصحاب المصالح الخاصة وأهل الأهواء .^(١)

قال تعالى : { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ^(٢)

ويكون أيضا التفريط في العقيدة بتوسيع حدودها أو تقليصها أو تغيير مواضعها أو بتغيير صفاتها أو شروطها أو أركانها تهائونا ، وقلة مبالاة بالتزام حدود الحق .^(٣)

كما لا يجوز التهاون في عقيدة ثابتة عقلا وشرعا بصفة قطعية كالإيمان بالله وصفاته وكمالاته وأسمائه الحسنى والإيمان بالملائكة والجن ، والإيمان بسائر الغيبيات ...^(٤)

وهناك العديد من صور التفريط في العقيدة لا يسع المجال لذكرها .

المطلب الثاني : التفريط في الأحكام الشرعية

يكون ذلك بإباحة فعل ما حرم الله ، أو باستباحة ترك ما أوجبه الله...ومن أمثلة التفريط بالأحكام الشرعية التلاعب بدلالات النصوص للتخفيف من درجة الحكم التشريعي التي يستفاد منها ، والحكم بغير ما أنزل الله .

^١. الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 87 ، ص 88

^٢. سورة البقرة / آية 75

^٣. الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 83

^٤. الفرفور ، المرجع السابق ، ص 88 ، الميداني ، المرجع السابق ، ص 84

ومنها إنزال مرتبة المحرمات الكبائر إلى مرتبة المحرمات الصغائر... وإنزال مرتبة الفرائض التي أوجبها الله والتي هي من أركان الإسلام إلى الواجبات العادية .

ومنها أيضا تتبع الآراء الاجتهادية الضعيفة التي تخالف اجتهاد الجمهور والتمسك به .
ومنها تتبع الرخص في المذاهب أو تتبع أسهل الآراء فيها لمجرد التثاقل من التكاليف وقد حذر الله تعالى من التفريط والتهاون في الأحكام الشرعية قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا

شَعَائِرَ اللَّهِ } (١) (٢)

المطلب الثالث : التفريط والتقصير في السنن والنوافل

كأن يؤدي المسلم جميع الواجبات والفرائض ويجتنب جميع المحرمات ، ولكنه يترك المندوبات والسنن المؤكدة والنوافل كلها أو بعضها فهذا الشخص قصر فيما ترفع درجته عند ربه.(٣)

المطلب الرابع : التفريط بالواجبات والفرائض

فمن المسلمين من يفرط في حقوق الله كمن لا يؤدي حق الله في الصلاة أو الزكاة أو سواها من الأركان والفرائض .

المطلب الخامس : التهاون في المفاهيم الدينية

يكون ذلك بالتهاون في المفاهيم الدينية المبينة في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة كمفاهيم سنن الله التكوينية أو الجزائية أو التكليفية وكمفاهيم الموصولة بالعقائد الأخلاقية والتشريعية العامة وغير ذلك .(٤)

المطلب السادس : التفريط في حفظ النصوص

١ . سورة المائدة / آية 2
٢ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 118 ص 120
٣ . الزحيلي ، الاعتدال في الدين ، ص 66
٤ . الفرفور ، المرجع السابق ، ص 88

ويكون ذلك بالتفريط في حفظ مفاهيمها ، والتقصير في تبليغها ونقلها إلى الأجيال من سلف إلى خلف . (١)

المطلب السابع : التفريط في الولاء

وللتفريط في الولاء صور عديدة كالتفريط بالانتصار لدين الله خوفا أو تهاونا أو تكاسلا ، والتفريط في نصرة المستضعفين من المسلمين، ومنها مودة أعداء الله ونصرتهم وهذا ما نلمسه من واقع أمتنا من موالاتة لدول الشرك والكفر .

ويظهر لنا من خلال ما سبق أن كلا الإفراط والتفريط انحراف عن جادة الحق إلا أن الإفراط تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال ، والتفريط تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير . (٢)

وما يجب أن نعرفه هو أن الأصل في السلوك الديني الاتباع لا الابتداع وكمال ذلك يكون بالاتباع الأمثل لأحكام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فما نقص عن درجة الكمال كان تقصيرا وزهدا في مرتبة البر والإحسان وما نقص عن التقوى كان تفريطا وتهاونا وما زاد على الاتباع الأمثل كان غلوا وتجاوزا لحدود كمال السنة . (٣)

^١ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 88
^٢ . الشرتوني ، أقرب الموارد ، ص 917
^٣ . الفرфор ، المرجع السابق ، ص 122

المبحث الأول

تعريف الصراط المستقيم لغة وشرعا

المطلب الأول

حقيقة الصراط المستقيم

الإسلام منهج وسط في كل شيء ، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع وهذا المنهج سماه الله الصراط المستقيم .^(١)

والصراط بالكسر السبيل الواضح لأن الذهاب يغيب غيبة الطعام المسترط والصراط بالصاد أعلى ، والصراط : الطريق وعند المسلمين جسر ممدود على متن جهنم^(٢) وعرف المستقيم : بمعنى المعتدل .

وبينه ابن تيمية بأنه : " إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب : من اعتقادات ، وإرادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال أو أفعال ...^(٣)

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تبين الصراط المستقيم

وباستقراء آيات القرآن الكريم نجد عشرات الآيات التي تشير إلى لفظ الصراط المستقيم ففي سورة الفاتحة { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } . أجمع المفسرون على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، ومعنى اهدنا الصراط المستقيم أي وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووقفت له ممن أنعمت عليه من عبادك من قول أو عمل ، وبين الطبري في تفسيره اختلاف

^١ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 24
^٢ . الشرتوني ، أقرب الموارد / ج 1 ، ص 511 ، وجاء في المصباح المنير : السراط : الطريق ، وأبدلت السين صاد ، ج 1 ، ص 274
^٣ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 92

المفسرين في قوله تعالى : الصراط المستقيم وخلاصة أقوالهم أن الصراط المستقيم : القرآن
ومنهم من قال أنه الإسلام ، أو الطريق أو الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحباة وقد أشار
النبي صلى الله عليه وسلم أن الصراط المستقيم هو الإسلام " عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفِي
الصِّرَاطِ زُرَّانٍ لهُمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ
يَدْعُو فَوْقَهُ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالْأَبْوَابُ الَّتِي
عَلَى كَنَفِي الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يُكْشَفَ السُّتْرُ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ
فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ " (1) فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم
الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط : كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب
كل مسلم .

ويتابع الطبري : ولا تعارض بين الأقوال السابقة ولا منافاة ، فالصراط هو الإسلام كما صرح
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن التزم بالإسلام فقد التزم بالقرآن وسار في
الطريق إلى الله ، مقتديا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، والإسلام
الصراط المستقيم لأنه كله صواب لا خطأ فيه . (2) وجاء في تفسير القرطبي : هو دين الله
الذي لا يقبل من العباد غيره وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباة ، وقيل
أصل الصراط في كلام العرب هو الطريق ، والمستقيم صفة للصراط وهو الذي لا اعوجاج
فيه ولا انحراف (3) .

1 . الترمذي / ج 4 / الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / (76) مثل الله لعباده / 2859 ، ص 554 ، حققه الذهبي : قال أبو
عيسى حديث حسن غريب ، وحققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 638-639 ، { " المشكاة / 191 و 192 " } ،

2 . الطبري ، جامع البيان / م 1 ، ص 84 - 85

3 . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 1 ، ص 149 - 150

وقال محمد رشيد رضا : إن المقصود بالصراط هو الطريق ، والمستقيم وهو ضد المعوج والمراد به كل ما فيه انحراف عن الغاية التي يجب أن تنتهي بسالكه إليها ، والمستقيم في عرف الهندسة أقرب موصل بين طرفين ، ويتابع " وقد قالوا إن المراد بالصراط المستقيم الدين أو الحق أو العدل أو الحدود ، ونحن نقول إنه جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم " (١) وقال سيد قطب في تفسير هذه الآية " وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل ، وفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته ... فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته ... فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين . (٢)

ويقول د. محمد السيد الطنطاوي : والصراط : الجادة والطريق من سراط الشيء ء إذا ابتلعه والمستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ، ويتابع الطنطاوي " والذي نراه أن أجمع الأقوال في ذلك أن المراد بالصراط المستقيم هو ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام وتوصل الناس متى اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة . (٣)

" إن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته " (٤) وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبيل الجائرة ... " فمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم وهو ممن يحبه الله

١. رضا ، السيد الإمام محمد رشيد (1865هـ - 1935م) ، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار / ج 1 ، ص 58 - ص 59 ، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، (1420هـ - 1999م)

٢. قطب ، في ظلال القرآن / ج 1 ، ص 26

٣. طنطاوي ، د. محمد السيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم / م 1 ، ص 28-31 ، دار الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 3 ، (1407هـ - 1987)

٤. الجوزية ، ابن القيم ، الفوائد ، ص 28 - 29 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د. ط ، د. ت

ويغفر له ذنوبه ومن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان " . (١)

والوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض ، فمن استطاع أن يجتازه في الدنيا ، جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة . " ولما ينفك العبد من ميل عن الصراط المستقيم ، أعني الوسط ، حتى لا يميل إلى أحد الجانبين ، فيكون قلبه متعلق بالجانب الذي مال إليه . لذلك لا ينفك من عذاب ما ، واجتيازه على النار ، وإن كان مثل البرق " . ولأجل عسر الاستقامة ، وجب على العبد أن يدعو الله تعالى سبع عشرة مرة ، في قولنا اهدنا الصراط المستقيم . (٢)

وتعتبر هذه الآية صريحة في تحديد منهج الوسطية وذلك أنها بينت أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم . وبهذا نرى أن سورة الفاتحة وضعت القاعدة والمنطلق ورسمت المنهج وحددت معالمه ثم جاءت الآيات الأخرى مقررّة لذلك وداعية له . (٣)

وقال تعالى : { يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٤) وقال تعالى : { وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٥)

وقال تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (٦)

وقال تعالى : { لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } (٧)

١ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 139 - ص 141
٢ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 190
٣ . الصلابي ، الوسطية في القرآن ، ص 247
٤ . سورة البقرة / آية 142
٥ . سورة البقرة / آية 213
٦ . سورة الأنعام / آية 153
٧ . سورة الفتح / آية 2

وهذه الآيات التي أوردتها على سبيل المثال لا الحصر ، وقد جاءت جميعها بتفسير واحد هو طريق الله وشرعه .

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين حقيقة الصراط المستقيم

وأما الأحاديث التي بينت الطريق المستقيم ، طريق الحق والخير، الذي لا اعوجاج ولا انحراف فيه . فمنها :

١. فعن أنسٍ قالَ لَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } قَالَ الْمُسْلِمُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هِنِينًا لَكَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ فَمَا لَنَا فَتَحْنَا فَتَحْنَا

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا } (١)

٢. "وعن معاوية بن أبي سفيان قال سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ

خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ

السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ " . (٢)

٣. " وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطِّينِ

عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطِّينِ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ تَلَا

هَذِهِ الْآيَةَ (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (٣)

١. الإمام أحمد / ج19 / باقي مسند المكثرين / مسند أنس بن مالك / 12226 ، ص257 ، حققه الأرنؤوط وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين

٢. البخاري / ج4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / قول الرسول ما تزال طائفة من أمتي ظاهرين / 7312 ، ص585 ، ورواية أخرى للبخاري " عن معاوية قال سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ " / ج1 / العلم / من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين / ص27 - ص28

٣. ابن ماجه / المقدمة / (1) اتباع سنة رسول الله / 11 ، حققه الألباني وقال حديث صحيح { " ظلال الجنة / 16 " } ، ص14

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حبنكة الميداني في الاستدلال على الوسطية في الإسلام " ويدل على وسطية الإسلام أخذاً من فحوى بعض النصوص كونه هو الصراط المستقيم الموصل إلى الغاية الحميدة المسعدة لمن سلكه في الدنيا والآخرة " ويواصل حديثه في وصف الصراط المستقيم : وطبيعة الصراط المستقيم الممتد بين سبل كثيرة ومتاهات شتى متوغلة في الظلمات ومنحدره بسالكها إلى حضيض المهالك وصنوف الضر والشر والفساد والشقاء ، أن يكون ممتداً على قمة تشبه قمة جبل ، فهو وسط بين هذه السبل إلا أنه وسط مرتفع على قمة ، ثم يبين حقيقة مهمة تبين لنا صلة الصراط المستقيم بالوسطية ذلك أنه اعتبر صراط الله المستقيم هو الإسلام الشامل لقضايا الأيمان المختلفة " وصراط الله المستقيم الذي هو الإسلام الشامل لقضايا الأيمان وأسس المعرفة والمبادئ... صراط معبد واضح مضيء ليس فيه عوج ولا التواء ولا أمت " أي ليس فيه ارتفاعات ولا انخفاضات وحفر ومعائر " (١)

^١ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 10 - ص 12

المبحث الثاني

طبيعة العلاقة بين الوسطية الإسلامية والصراف المستقيم

- ٠٠١ . إن الصراف المستقيم يمثل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها .
- ٠٠٢ . إن الوسطية تعني الخيرية سواء أكانت خير الخيرين أو خيرا بين شرين أو خيرا بين أمرين متفاوتين .
- ٠٠٣ . إن المقياس لتحديد الخيرية هو الشرع وليس هوى الناس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه فالوسطية لا تعني كما يعتقد كثير من الناس التنازل أو التساهل^(١)، وإنما تعني الخيرية والبينية كما حددها الشارع وضبطها .
- ٠٠٤ . " وخلص الأمر : أنه يجب عند النظر في أي أمر من الأمور لتحديد علاقته بالوسطية ومدى قربه أو بعده منها دقة النظر والاعتبار في حقيقة هذا الأمر دون الاقتصار على ظاهره فقط ، ثم إلى أي هذه الأسس هو أقرب ، فإذا اتضح قربه في حقيقته ومآله إلى الصراف المستقيم فهو داخل في الوسطية التي نتحدث عنها ، أما إذا كان إلى الغلو أو الجفاء أو الإفراط أو التفريط أقرب حقيقة ومآلا فليس من الوسطية في شيء وإن حسبه الناس كذلك ، و قد زلت في هذه المسألة عقول وأقدام^(٢) وابتعدت عن جادة الصواب جهلا أو انصياعا لأهوائهم وشهواتهم أو تغريرا بالإسلام والمسلمين لإبعادهم عن طريق الحق والنور .
- وقد كان الصراف المستقيم منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية ، لتثبيت المفاهيم الصحيحة في نفوس الأتباع ولتكون عادة مستحكمة .

ومن مزايا هذا الطريق :

^١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 79 ص 81 ، الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 80 - ص 82

^٢ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 82

- إن التطرف والغلو منفر لا تتحمله طبيعة البشر العادية ولا تصبر عليه وإن صبر عليه قليل منهم ، ولم يصبر عليه جمهورهم ، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم التشدد والأخذ بالعزم الدائم سببا في هلاك الفرد .
- كما أن هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من استمرار المرء على الاستقامة والسلوك الحسن ، لأن التشدد والغلو قصير العمر والاستمرار عليه غير متيسر فالإنسان بطبعه ملول وطاقته محدودة .
- إن التطرف والغلو في جانب دون جانب ، من شأنه أن يعطل بعض النواحي المهمة ، فالاهتمام مثلا بالجانب الروحي فقط يعطل الجانب العملي من العلم والعمل والجهاد وغيرها⁽¹⁾ بعد استعراضنا لما عليه الغلو والإفراط من جهة والجفاء والتفريط من جهة أخرى نرى أن كليهما بُعد عن دين الله الحق ويقدر البعد بقدر الابتعاد عن الصراط المستقيم .

¹ . العاني ، أساليب الدعوة والتربية ، ص 308 - ص 310

الباب الثالث

ضوابط الوسطية وسماتها

الفصل الأول ضوابط الوسطية

الفصل الثاني : سمات الوسطية

السمة الأولى : اليسر ورفع الحرج

السمة الثانية : العدل

السمة الثالثة : الاعتدال والتوازن

السمة الرابعة : الاقتصاد

السمة الخامسة : الحكمة

السمة السادسة : الاستقامة

السمة السابعة : الخيرية

السمة الثامنة : البيئية

تمهيد

الضابط عند العلماء حكم كلي ينطبق على جزئياته ، وضبطه : ضبطا حفظه بالحزم حفظا بليغا وأحكمه وأتقنه ، والكتاب ونحوه : أصلح خله أو صححه . (١)

المطلب الأول

الضوابط العامة للوسطية الإسلامية

الفرع الأول :

التوسط في التشريع الإسلامي هو الأصل والميل إلى جانبي الزيادة أو النقص في حكم شرعي حالة استثنائية اقتضتها الضرورة لها أسبابها ، وتزول بزوال هذه الأسباب ، (٢) " فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف ، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه " ويقول الشاطبي في مكان آخر : " فطرف التشديد . وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزرع . يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين ، وطرف التخفيف . وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص . يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد ، فإذا لم يكن لا هذا ولا ذلك رأيت التوسط لائحا ومسلك الاعتدال واضحا " ويتابع " والتوسط يعرف بالشرع ، وقد يعرف بالعوائد وما يشهد به العقلاء ، كما في الإسراف والإقتار في النفقات " . (٣)

الفرع الثاني : إن الإسلام منهج وسط في كل شيء والالتزام به يجب أن يكون منهاجا وسطا في

الأحكام والسلوك والولاء . (٤)

^١ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 1 ، ص 533

^٢ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 164

^٣ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 2 ، ص 163 ، ص 167-168

^٤ . الفرفور ، المرجع السابق ، ص 164

الفرع الثالث : إن بعض المسلمين ^(١) قد رفضوا هذه الكلمة واعتبروها دخيلة على الإسلام من

الغرب فأبين لهم أن الوسطية أو أحد معانيها تمثل جوهر الإسلام وروحه ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذا الشأن واضحة صريحة ، فلا يشغلنا اللفظ . فلسنا في معركة الألفاظ والكلمات . وإنما يشغلنا الوصول إلى الحق الذي ارتضاه الله لنا فنبسره على الصراط المستقيم ، منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه الكرام .

المطلب الثاني

ضوابط الحل الوسط في الفقه الإسلامي ومستثنياته

الفرع الأول : ضوابط الحل الوسط في الفقه الإسلامي

تعتبر الوسطية الإسلامية من الخصائص فهي مميّزة للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم لذلك لا نجد لها ضوابط إلا ما بيناه سابقا من البينية والخيرية ، وأما الحل الوسط في الفقه الإسلامي فيحتاج إلى ضوابط لأنه متعلق بأفعال المكلفين فإذا كان الحكم ثابتا بالوجوب أو التحريم فيجب التقيد بالحكم الشرعي دون اعتبار إلى الحل الوسط ، وإذا كان الحكم قابلا للاجتهاد ، فالحل الوسط له ضوابط .

١٠٠ . " **الضابط الأول :** كون الحكم بالتوسط داخلا تحت أصل من أصول الدين أو كلي من

كلياته بحيث لا يخرج عن جوهر الإسلام وروحه ومبادئه العامة بحال من الأحوال . " ^(٢)
وأصول الدين خمسة عشر أصلا ، كل أصل فيها مقسم إلى خمسة عشر مسألة ^(٣) ، فلو تناولنا مثلا الأصل التاسع المتعلق بأركان الإسلام الخمسة لوجدنا أن الأصل مستمد من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة ، وإيتاء

^١ . ذكرت الجماعة المعارضة لهذا المفهوم في مبحث الوسطية عند الأصوليين والفقهاء

^٢ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 99

^٣ . البيغادي ، الإمام الأستاذ أبي عبد القاهر بن طاهر التميمي / ت 429 أصول الدين ، ص 2 - ص 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، (1400 هـ - 1980 م)

الزكاة وصوم رمضان وحج البيت " .^(١) فهذا أصل لا يوجد به حل وسط لأنها أحكام ثابتة ،
ولكن بداخل كل منها قضايا فرعية يستطيع الفقيه أن يجتهد بها دون التعدي على الأصول
الثابتة .

٠٢ . الضابط الثاني " كون الحكم بالتوسط لا يعارض ما هو معلوم من الدين بالضرورة وإلا
كان خارجا عن ثوابت الإسلام الكبرى " ^(٢) ومما هو معلوم بالدين بالضرورة " أن يقال : الأمور
السمعية التي يقال إن العقل عارضها كإثبات الصفات والمعاد ونحو ذلك هي مما علم
بالاضطرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها ، وما كان معلوما بالاضطرار في دين
الإسلام امتنع أن يكون باطلا كون الرسول صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا ، فمن قدح في
ذلك وادعى أن الرسول لم يجئ به كون قوله معلوم الفساد بالضرورة في دين المسلمين " .^(٣)

٠٣ . الضابط الثالث " كون الحكم بالتوسط فيما لم يقف منه الإسلام موقف الزيادة أو النقص
لمصلحة معتبرة شرعا كالتشديد في إثبات الزنى بأربعة شهود والتساهل في إثبات ما لا يطلع
عليه النساء من الأمور بامرأة واحدة .

٠٤ . الضابط الرابع " كون التوسط المجتهد به من الفقيه في غير المنصوص عليه بصحيح
المنقول أو صريح المعقول ، وإلا حكمنا بالنص بلا التفات إلى قضية التوسط التي تراعى من
قبل الشارع غالبا " ^(٤) فإذا وجد نص قطعي أو إجماع فلا اعتداد بالمصلحة حينئذ لأنها مصلحة
موهومة نشأت من ضلال الفكر أو نزعة الهوى أو غلبة الشهوة أو التأثير بحال عارضة غير
دائمة ، أو منفعة عاجلة سريعة الزوال ، أو منفعة مشكوك في وجودها " ^(٥) " ومعنى هذا أنهم

١ . البغدادي ، أصول الدين ، ص 186

٢ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 99

٣ . ابن تيمية ، أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الرحيم ، درء تعارض العقل والنقل/ ج 2 ، ص 195 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع
على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، (1399هـ - 1979م)

٤ . الفرفور ، المرجع السابق ، ص 99-100

٥ . البري ، زكريا ، أصول الفقه الإسلامي/ ج 1 ، ص 160 - 161 ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، دار النهضة العربية
للنشر ، القاهرة ، ط 3 ، د . ت

فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه ، لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق ... فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفرعي فيهم فكان فتح باب للأمة للدخول إلى الرحمة " (1) والتيسير ورفع الحرج ، وهذا من سمات الوسطية ومقتضياتها .

٥٠٥ . الضابط الخامس " كون الحكم بالتوسط لا يؤدي لمفسدة أكبر أو خطر أعظم ، وإلا ترك التوسط إلى ما يدفع المفسدة ويدراً الخطر المحيق سدا للذريعة الفاسدة " .

٥٠٦ . الضابط السادس : " كون التوسط في معالجة الشؤون المصلحية على وجه الديمومة والاستمرار لا معالجة الشؤون الآنية التي تتطلب إفراطاً أو تفريطاً ، تشديداً أو تساهلاً مؤقتين لمصلحة معتبرة من الشارع أو من الفقيه " كالنهي عن مصافحة غير المحارم من النساء من طرف الرجال حسماً لمادة الفساد ، والخروج من المعتكف بالنسبة للمعتكف فإذا تزوج الرجل المرأة أو خرج المعتكف من معتكفه حل ما كان ممنوعاً قبله طبقاً للقاعدة الفقهية (إذا زال المانع عاد الممنوع) (2) .

الفرع الثاني : مستثنيات الحل الوسط في الفقه الإسلامي

لكل قاعدة مستثنيات :

الاستثناء الأول : فالشارع يمكن أن يترك جانب التوسط أحياناً إلى شيء من الإفراط لمداواة شيء من التفريط ، أو إلى شيء من التفريط لمداواة شيء من الإفراط لا جهلاً واندفاعاً وراء الهوى وإنما عن حكمة بالغة .

الاستثناء الثاني : ربما نظر الشرع إلى المسألة نظرة تغليب لمصلحة أهم على مصلحة مهمة ومن الأمثلة على ذلك "من المعروف لدى الفقهاء أن زخرفة المساجد وتذهيبها أمر غير مرغوب فيه في الإسلام ، لأنه دين البساطة فيجب البساطة في كل شيء من متاع الدنيا ، ولكن الأمر

^١ . الشاطبي ، الاعتصام / ج2، ص120 وما بعدها
^٢ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص100

حين يدور حول نقطة رفع مستوى الإسلام والمسلمين في أعين الأعداء من الكفار لا سيّما أصحاب الحضارات الكبرى العريقة فينظرون إلى المسلمين على أنهم أمة متحضرة ذات مدنية راقية لا جماعة من البدو الرحل ، فيجوز لولي الأمر أن يأذن ببناء مسجد عظيم مزخرف أو أن يأذن ببقائه على زخرفته إغاطة للكفار

الاستثناء الثالث : وهو ما أطلق عليه وجوب الإفراط في التزام الأساس والباعث: فمن المعروف أن من أساس الدين الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما يتفرع عن الإيمان من حب لله وحب لرسوله وطاعة لله ولرسوله ، وجهاد في سبيل الله ، فالإفراط هنا محمّدة وليس مذمة فمهما بالغ المرء في هذا النوع من الإيمان والحب والطاعة كان أفضل وأكرم ، إلا أن حب الله والإيمان به وطاعته مطلقة لا حد لها ، والأيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وحبه وطاعته يجب أن تكون بعد الإيمان بالله تعالى حفاظا على جوهر التوحيد ونفيا لمادة الشرك والوثنية .^(١)

الاستثناء الرابع : أنه قد يسوغ للفقيه الذي بلغ الذروة في الفقه أن يحمل نفسه من التكليف ما هو فوق الوسط تورعا وخشية وعبودية ، ولما كان مفتيا بقوله وفعله كان له أن يخفي ما لعله يقتدى فيه ، فرما اقتدى فيه من لا طاقة له بذلك العمل فينقطع أو ينفرد وإن اتفق ظهوره للناس نبه عليه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) " إذ كان قد فاق الناس عبادة وخلقا ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة " ، فرما اتبع لظهور عمله أمام الناس لذلك كان ينهي عنه في مواضع^(٣) كنهيه عن صوم الوصال ، ومراجعته لعمرو بن العاص في سرد الصيام ... وربما ترك العمل خوفا من أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ، ولهذا . والله أعلم أخفى السلف الصالح أعمالهم حتى لا يتخذوا قدوة^(٤) فتشقق العبادة على العامة فينفروا من الدين .

^١ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 101-103

^٢ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 4 ، ص 260 ، الفرфор ، المرجع نفسه ، ص 103 ، ص 104

^٣ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / ج 4 ، ص 260

^٤ . الشاطبي ، المرجع نفسه / ج 4 ، ص 260 ، الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 103 ، ص 104

تمهيد

بيننا في فصل سابق : إن للثقافة الإسلامية خصائص ميزتها عن غيرها من الشرائع وأن من خصائصها الوسطية التي تدخل في صلبها وتتماشى مع تشريعاتها ، كما أنها . الوسطية . شعار الأمة الإسلامية بين الأمم "وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ، لذلك جاءت الوسطية الإسلامية بخصائص ميزتها عن خصائص الإسلام الأخرى أو ممن يدعون أنهم ينادون بالمنهج الوسط من الثقافات الأخرى . ومن سمات الوسطية : الخيرية . الاستقامة . اليسر ورفع الحرج . البيئية . العدل والحكمة . وتعتبر هذه السمات بمثابة ضابط للوسطية " وأحسب أن هذه الملامح بمجموعها تصلح ضابطا لتحديد الوسطية ومعرفتها بما يجيب عن السؤال الذي لا بد أن يرد في أذهان الكثيرين ، أين ضابط الوسطية ؟ وكيف نميزها على غيرها ؟ " " إن هذه الملامح بجموعها لا بأحاديها كانت مميزة للوسطية " . (١)

وقال آخرون أن من ملامح الوسطية وسماتها التي تحف بها وتميزها على غيرها : الخيرية . العدل . اليسر ورفع الحرج . الحكمة . الاستقامة . البيئية . وقالوا أن هذه السمات لها أهمية في تحديد ملامح الوسطية " حتى لا تكون الوسطية مجالا لأرباب الشهوات وأصحاب الأهواء ذلك أن الوسطية مرتبة عزيزة المنال غالية الثمن كيف لا وهي سمة هذه الأمة ومحور تميزها عن الأمم " . (٢)

وباطلاعي على الكتب التي اهتمت بالوسطية في الإسلام وجدت أننا يجب أن لا نخلط الضوابط مع السمات لذا قمت بإفراد مبحث منفصل للضوابط ، وأضفت ملامح أخرى للوسطية " الاقتصاد ، الاعتدال "

^١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 85
^٢ . العمر ، المرجع نفسه ، ص 85 ، الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 83

السمة الأولى

التيسير ورفع الحرج

اليسر من أبرز خصائص الوسطية التي هي من أبرز خصائص الشريعة الإسلامية السمحة ويظهر يسرها في باب العقيدة والعبادات والتشريع ، وفي مرونتها وموافقتها لكل زمان ومكان . وما انتشارها إلا دليلا على ذلك ، كما يظهر يسرها في تعدد المذاهب الفقهية واختلاف العلماء على مدى العصور المختلفة ، وهذا الاختلاف لا يعني التساهل أو التلاعب في تعاليم الدين كما يعتقد بعض الناس من أن الدين يسر فيخضعوه لرغباتهم وأهوائهم ، من هنا وجب علينا أن نبين للناس مقصد الشريعة من اليسر ورفع الحرج في أحكامها وتشريعاتها ، وآراء العلماء في ذلك ، وليعلم الناس أن قضية التيسير ورفع المشقة والعنت منهج متكامل شامل ولا يختص بجزئية دون الأخرى^(١).

وقبل الخوض في هذا الموضوع لا بد لنا من معرفة المقصود بكل من التيسير ورفع الحرج كما لا بد لنا من معرفة الأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

المطلب الأول

تعريف اليسر ورفع الحرج

اليسر : بضم السين وسكونها ضد العسر وفي التنزيل " إن مع العسر يسرا " فطابق بينهما و" يسر " الشيء مثل قرب قل فهو " يسير " ، ويسر الأمر ييسر يسرا أي سهل .^(٢)

واليسر : يسر الشيء يسر وخف . وقل فهو يسير ويسر الشيء سهل أمكن ، وتيسر أي

تساهل وفي الحديث تيسروا في الصداق .^(٣)

^١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 101

^٢ . الرافي ، المصباح المنير / ج 2 ، ص 680

^٣ . أنيس ، المعجم الوسيط/ ج 2، باب يسر ، ص 1064

ومنها الميسرة اليسر أو السهولة والغنى واليسر ضد العسر . ومنه " الدين يسر " أي سهل
سمح قليل التشديد . (١)

وأما رفع الحرج : رفع الشيء حمله ونقله ، ويده عن الشيء : كف (٢) ، والحرج : حرج
الصدر : ضاق وأحرج فلانا أوقعه في الحرج أي الإثم ، والحرج الشديد الضيق وفي التنزيل
يجعل صدره ضيقا حرجا " . (٣)

" الحرج : صدره حرجا من باب تعب ضاق ، وحرج الرجل : أثم ، وصدر حرج : ضيق
ورجل حرج : أثم " (٤)

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تحت على التيسير ورفع الحرج

جاء في القرآن الكريم ما يدل على ضرورة مراعاة التيسير ، والنهي عن كل ما يؤذي النفس
ويلحق بها المشقة والحرج ، والدعوة إلى أخذ الرخص التي هي من أبواب التيسير:
وسأورد بعض الآيات التي تبين وتدلل على التيسير ، ورفع الحرج ، ودفع المشقة والاصار عن
الأمة الإسلامية .

منها قوله تعالى في باب الصوم : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (٥) " وفيها إعطاء الرخصة بالإفطار في شهر

١ . أنيس ، المعجم الوسيط/ ج2، باب يسر ، ص1064- ص1065

٢ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج1 ، باب رفع ، ص360

٣ . أنيس ، المرجع نفسه / ج1 ، باب حرج ، ص164

٤ . الرافعي ، المصباح المنير / ج1 ، ص127

٥ . سورة البقرة / آية 185

رمضان للمريض والمسافر ، قال مجاهد والضحاك : " اليسر " الفطر في السفر ، " والعسر "

الصوم في السفر . والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين " .^(١)

وهذه الآية هي القاعدة التي تقوم عليها التكاليف " إنها القاعدة الكبرى التي تقوم عليها

التكاليف في العقيدة فهي ميسرة لا عسر فيها ولا تكلف ولا تعقيد " ^(٢)

وفي باب النفقات قال تعالى : { وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ } ^(٣)

وفي باب الدعاء دعا سيدنا موسى عليه السلام أن يسهل الله أمره في الدعوة ، وبهيء له سبل

التيسير ، قال تعالى : { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } ^{25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ^{26} وَأَخْلِلْ عُنُقَهُ

مَنْ لِسَانِي ^{27} يَفْقَهُوا قَوْلِي ^{28} وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ^{29} هَارُونَ أَخِي ^{30} اشْدُدْ بِهِ

أُزْرِي ^{31} وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ^{4}

وقال تعالى : { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ

اللَّهِ يَسِيرٌ } ^(٥)

وجاءت آيات أخرى بصيغة عدم تكليف النفس إلا بحدود طاقاتها وقد ذكرها الله تعالى في

أكثر من موضع في القرآن سواء في باب العبادات أو النفقة قال تعالى : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } " ^(٦) وقال تعالى : { لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ^(٧).

وفي الأخذ بالرخص قال تعالى : { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ } ^(٨)

^١ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج2، ص 301

^٢ . قطب ، في ظلال القرآن / ج 1 ، ص 172

^٣ . سورة البقرة / آية 280

^٤ . سورة طه / آية 25 - 32

^٥ . سورة الحج / آية 70

^٦ . سورة البقرة / آية 286

^٧ . سورة البقرة / آية 233

^٨ . سورة البقرة / آية 173

وقال تعالى : { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ } (١) وقال تعالى : { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } (٢)

وفي ما جاء من رفع الحرج أن لا يحملنا فوق طاقتنا قال تعالى : { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ

لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (٣)

وما جاء في رفع التشديد والآصار التي كانت على الأمم السابقة قال تعالى : { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } (٤)

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية التي تبين اليسر ورفع الحرج

وفي بيان ما جاء في المنهج النبوي من اتباعه التيسير وردت عدة أحاديث بصيغ مختلفة منها

: ما جاء صريحا مباشرا " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ

وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ

الدُّجَّةِ " . (٥)

" وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا "

(٦) وفي رواية " وسكنوا ولا تنفروا " . (٧)

^١ .سورة المائدة / آية 6

^٢ . سورة الحج / 78

^٣ . سورة البقرة / آية 286

^٤ . سورة البقرة / آية 286

^٥ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / الدين يسر ، ص 16 ، وفي رواية مسلم " عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَأَعْلَمُوا أَنْ أَحَبَّ الْعَمَلُ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ " صفة القيامة والجنة والنار / لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة من الله تعالى / 2818 ، ص 1397

^٦ . رواه البخاري / ج 1 / العلم / (11) ما كان النبي يتخولهم بالموعة والعلم كي لا ينفروا / 68 ، ص 55

^٧ . رواه البخاري / ج 4 / الأدب / قول الرسول صلى الله عليه وسلم " يسروا ولا تعسروا " / 6125 ، ص 182 ، رواه مسلم / الجهاد والسير / (3) الأمر بالتيسير وترك التنفير / 1732 ، ص 876 .

وَعَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الدِّينَ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ دِينٌ يَسِرٌ وَسَمَّاهُ (١) " فَعَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الدِّيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَنِيفِيَّةُ

السَّمْحَةُ (٢) وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ" (٣) " فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي الْعَقِيدَةِ

سَمْحَةٌ فِي التَّكْلِيفِ وَالْأَحْكَامِ" (٤) ، أَمَا ابْنُ الْقَيْمِ فَقَالَ " فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ ، سَمْحَةٌ فِي

الْعَمَلِ " فَجَمَعَ بَيْنَ كَوْنِهَا حَنِيفِيَّةً وَسَمْحَةً (٥) وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِحَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ

الْمُجَاشِعِيِّ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي

أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا . كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ . وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي

حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ . وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ . وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ .

وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا " (٦) وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ هُوَ الْحَنِيفِيَّةُ .

. أَيُّ الْإِسْلَامِ . وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ ابْتَعَدَتْ بِهِمْ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِمَّا لِلْإِفْرَاطِ أَوْ التَّقْرِيطِ .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرٌ قَدْوَةً لَنَا فِي الْيَسْرِ فَلَمْ يَخِيرْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ، "

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا

أَحَدٌ أَيْسَرُهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تَنْتَهَكَ حُرْمَةَ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا" (٧)

كما جاء في المنهج النبوي الحث على العمل القليل المتواصل وأنه خير من القليل المنقطع حتى

لا تقتر الأجسام ، ومظنة أن تلحقها المشقة ، ومن المعلوم أن أحب العمل إلى الله ما داوم عليه

١ . القرضاوي ، د . يوسف القرضاوي ، العبادات في الإسلام ، ص 195 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 15 ، (1405 هـ - 1985 م)
٢ . الشيباني ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، كتاب الزهد ، حققه وخرج أحاديثه عصام الحرساني ، محمد الزغلي ، دار
الجيل ، بيروت ، ط 1 ، (1414 هـ - 1994 م) ، حديث 1681 ، ص 424 ، (ورواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي
الدين أفضل قال الحنيفية السمحة)

٣ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / (30) إن الدين يسر / 39 ، ص 36

٤ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 195

٥ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 166

٦ . رواه مسلم / الجنة ونعيمها / (16) الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار / 2865 ، ص 1414

٧ . رواه البخاري / ج 4 / المناقب / صفة النبي ، ص 230 ، مسلم / الفضائل / (20) مباحثه للأثم واختياره من المباح أسهله /
2327 وزاد عليه " وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل " ص 1168 .

صاحبه وإن قل " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ وَكَانَ يَقُولُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيفُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ يَقُولُ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ " (١)

"وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ . (٢) وجاء أيضا " عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَتْ فَلَانَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيفُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (٣) " وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيرٌ وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَتَأْبُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيفُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَتَيْتُوهُ " . (٤)

وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم المنتطعين " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك المنتطعون قالها ثلاثا " (٥)، كما نهى عن التشدد على المسلمين وأمر بأخذ الرأفة بهم . وهذا ما لمسناه في حديث النهي عن إطالة الصلاة عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاد رضي الله عنه " أفتان أنت يا معاذ " ، ونهيه عن صوم الوصال ، " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إياكم والوصال مرتين قيل إنك تواصل قال إني أبيت

١ . رواه مسلم / صحيح مسلم / الصيام / (34) صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان واستحباب أن لا يخلى شهرا عن صوم / 177 ، ص 534

٢ . رواه البخاري / ج 4 / الرقاق / القصد والمداومة على العمل / 6464 ، ص 298 وفي رواية أخرى في نفس الباب 6465 ، ص 298 " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ وَقَالَ أَكَلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيفُونَ .

٣ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / أحب الدين إلى الله أدومه ، ص 17

٤ . رواه مسلم / صلاة المسافرين / (30) فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره / 728 ، ص 357

٥ . حديث صحيح سبق تخريجه ص 31

يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَأَكْلُفُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ".^(١) وتأديبه من خالف أمره من المتشددين

، حيث جاء العلاج النبوي التربوي من جنس عملهم فواصل معهم صلى الله عليه وسلم الصيام

يوما ويوما حتى رأوا هلال شوال "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا

تُؤَاصِلُوا قَالُوا إِنَّكَ تُؤَاصِلُ قَالَ إِنَّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ

الْوَصَالِ قَالَ فَوَاصِلَ بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ ثُمَّ رَأُوا الْهَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَأَخَّرَ الْهَالَ لَزِدْتُمْ كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ " ^(٢)

وكذلك في حادثة الأعرابي عندما تشدد الصحابة وغضبوا عليه من بوله في المسجد فبين لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الدين ويسره " فعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ

مَسْعُودٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ

تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ^(٣) وبهذا يعلمهم عليه الصلاة والسلام أن يبتعدوا عن التعسير إذا جاء في

الدين اليسر. ^(٤) " ونهيه عن التشديد شهير في الشريعة ، بحيث صار أصلا فيها قطعيا " .

(٥)

^١ . رواه البخاري / ج 2 / الصوم / التنكيل لمن أكثر الوصال / 1965 ، ص 80 ، وحديث 1966 ، ص 81 ، ورواه مسلم في صحيحه " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُمْ تَأْصِلُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَأَكْلُفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ " / / الصوم / (11) النهي عن الوصال في الصوم / 58 ، ص 508

^٢ . رواه البخاري / ج 4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / (5) ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين / 7299 ، ص 580 ، ورواه البخاري بروايات متعددة في هذا الباب ، ورواه البخاري / ج 3 / الصوم / التنكيل لمن أكثر الوصال ، ص 49 ، ورواه مسلم برواية أخرى / الصوم / (11) النهي عن الوصال في الصوم / 1103 ، ص 508 " عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوَصَالِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْصِلُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ وَاصِلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأُوا الْهَالَ فَقَالَ لَوْ تَأَخَّرَ الْهَالَ لَزِدْتُمْ كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ جِبْنَ أَبْوَا أَنْ يَنْتَهُوا "

^٣ . رواه البخاري / ج 1 / الوضوء / صب الماء على البول في المسجد ، ص 65

^٤ . الزحيلي ، الاعتدال في الدين ، ص 213

^٥ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م 2 ، ص 133

ومما جاء في يسره صلى الله عليه وسلم ما قام به من ترك الفعل مخافة أن يشق على الناس "

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى

أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ . (١)

" وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّنِي

لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ فِيهَا فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَّجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ

أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ . (٢)

وفي تحذيره من الحرج وضرورة رفعه : " عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا أَعْلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا فَقَالَ لَهُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَضَع

اللَّهُ الْحَرْجَ إِلَّا مَنْ افْتَرَضَ مِنْ عَرَضِ أَخِيهِ شَيْئًا فَذَلِكَ الَّذِي حَرَجَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَيْنَا

جُنَاحٌ أَنْ لَا نَتَدَاوَى قَالَ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا

الْهَرَمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ قَالَ خُلُقٌ حَسَنٌ . (٣)

فرفع الحرج والمشقة في التكاليف والأحكام من أهم المبادئ التي راعتها الشريعة الإسلامية

وما المشقة التي تدخل في باب العبادات إلا من أنواع المشقة المعتادة والتي تدخل في طاقة

الناس ، كما أنها لا تكون مقصودة لذاتها وإنما تكون من أجل تحقيق مصالح مترتبة عليها أو

دفع مفسد متوقعة منها للحفاظ على مقاصد الشريعة الضرورية والحاجية والتحسينية (٤)

فالمشقة مثلا التي يشعر بها الصائم ضرورة لحكم جمة قدرها رب العباد ومنها : أن يشعر

الصائم مع إخوانه المحتاجين ، ويهذب نفسه ويقومها ويعودها النظام والانضباط وغيرها (٥)

وفي الوقت الذي يرى المشرع فيه الصائم غير قادر على المشقة المعتادة وضع له أحكاما

١ . رواه البخاري / ج 2 / الجمعة / السواك يوم الجمعة ، ص 5

٢ . رواه البخاري / ج 1 / الأذان / من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ، ص 181

٣ . رواه ابن ماجه / الطب / (1) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء / 3436 ، حقه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 575 ، { " غاية المرام / 292 ، الصحيحة / 433 ، المشكاة / 4542 و 5079 " }

٤ . الشاطبي ، المرجع السابق / م 2 ، ص 123 ، الزحيلي ، المرجع السابق ، ص 214

٥ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 214

استثنائية تحت باب الرخص كالسفر والمرض وغيره بما يرفع عنه المشقة والحرَج " إزالة المشقة في إلزامه ، فقد أباح تأخيره لمن يشق عليه من المسافرين والمرضى ، فهو سبحانه قد راعى في فريضة الصيام هذه الوجوه من الرحمة " (١) وهذه الرخصة تزول بمجرد زوال السبب فإن المريض الذي برء من مرضه والمسافر الذي عاد إلى بلده وجب بحقهم الصيام ، وكذلك سائر العبادات (٢) " لذلك قرر العلماء بأن الحرَج مرفوع عن المكلف باتفاق وأن الشارع لم يقصد في التكليف المشقة والإعنات وأن الإجماع على عدم وقوعه وجوداً في التكليف وأن الشريعة موضوعة بقصد الرفق والتيسير " ولهذا فإن من أراد أن يشدد على الأمة في أمر من الأمور يكون قد خالف روح الإسلام وإجماع العلماء . (٣)

المطلب الرابع

أقوال العلماء في أهمية اليسر للشريعة الإسلامية :

إن الشريعة لم تقصد من التكليف المشقة والدليل على ذلك ما جاء في نصوص القرآن والسنة " فلو كان قاصداً للمشقة لما كان مريداً لليسر والتخفيف وكان مريداً للحرَج والعسر " (٤) ، وما ثبت من مشروعية الرخص ، هو أمر مقطوع به ، " ومما علم من دين الأمة ضرورة ، كرخص القصر ، والفطرة والجمع ، وتناول المحرمات في الاضطرار فإن هذا نمط يدل قطعاً على مطلق رفع الحرَج والمشقة " (٥)

وقد اعتبرها ابن عاشور أحد المسلكين الأساسيين لتطبيق الأحكام الشرعية: " المسلك الثاني

: مسلك التيسير والرحمة بقدر لا يفضي إلى انخراط مقاصد الشريعة " . (٦)

١ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 85

٢ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م 1 ، ص 303

٣ . الشاطبي ، المرجع نفسه / م 2 من ص 120 - ص 125 ، الزحيلي ، المرجع السابق ، ص 215 ، القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 196

٤ . هكذا هي عبارة الشاطبي

٥ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م 2 ، ص 121 ، ص 122

٦ . ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 269

واعتبرها الشيخ محمد الزحيلي من دعائم الاقتصاد والاعتدال في الإسلام مستندا للنصوص الشرعية من القرآن والسنة . (١)

ويعتبر اليسر ورفع الحرج من خصائص العبادة في الإسلام "يسر العبادات في الإسلام وسهولتها وكونها لا حرج فيها" . (٢) ومن المبادئ التي راعاها الإسلام في أمر العبادة (٣) "واليسر ورفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط وبين التقريط وبين التشدد والتنعج وبين الإهمال والتضييع" . (٤)

المطلب الخامس

مظاهر التيسير وصوره :

وقد جاءت صور التيسير بألفاظ وأشكال متعددة :

• أن أحكامها مبنية على التيسير ، (٥) فالرسول صلى الله لم يخير بين أمرين إلا إختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، والآيات التي وردت سابقا تدل بشكل قطعي على مراعاة التيسير في الأحوال كلها .

• وقد جاء التكليف الإلهي في الأحكام بحسب الطاقة البشرية (٦) ففي باب العبادات قال تعالى

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } (٧) وفي باب النفقة قال تعالى : { لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (٨)

(٨)

وحديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أوردناه سابقا "خذوا من الأعمال ما تطيقون" . (٩)

١ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 211

٢ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 34

٣ . القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 196

٤ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 101

٥ . ابن عاشور ، المرجع السابق، ص 271

٦ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 213

٧ . سورة التغابن/ آية 16

٨ . سورة البقرة/ آية 233

٩ . حديث صحيح سبق تخريجه ، ص 22

• أن الأحكام تتغير في الحالات الاستثنائية فتنتقل من الصعوبة إلى السهولة ولذلك كان من الأصول الفقهية " المشقة تجلب التيسير " (١) وقد ورد تفصيل لهذه القاعدة في مبحث سابق ، وعلى هذا تطلق الرخصة على ما كان من المشروعات في التوسعة على العباد ، وأخذ حظوظهم فالرخص حظ العباد من لطف الله . (٢)

• رفع التكاليف الغليظة والأحكام الشاقة (٣) كالتي كانت مفروضة على الأمم السابقة وهذه ميزة خصها الله لأمة الإسلام .

• لم تترك للمخاطبين بها عذرا على التقصير في العمل لأنها بنيت على أصول الحكمة والتعليل والضبط والتحديد ، (٤) فنجد مثلا في باب الوضوء من لم يجد ماء أو يلحقه الأذى من الماء رخص له الشارع بالتييم ، وفي باب الصلاة من لم يستطع أن يصلي قائما فيصلي جالسا أو نائما أو بتحريك عينيه ، وفي باب الصيام أباح الإفطار للمريض الذي يخاف على نفسه الهلاك ، وللشيخ الكبير والمسافر والمرأة الحامل والمرضع ، وبهذا نرى أن الشارع وضع حدودا وضوابط لكل حالة خاصة وبالرجوع إلى كتب الفقه نجد ذلك واضحا .

• الحرص على العبادة ودوامها وإن قلت : فقد فضل الإسلام القليل المستمر على الكثير المنقطع ، لأن العبد بدوام العمل القليل تدوم طاعته لربه فيزيد أجره ، أما المكثر المنقطع فيصير إلى قلة في العمل وبالتالي قلة في الأجر . (٥)

• معالجة الإسلام لكثير من قضايا الغلو والنهي عن التشديد حتى صار أصلا من أصول الشريعة غير منقطع عنها " ونهيه عن التشديد شهير في الشريعة ، بحيث

صار أصلا فيها قطعيا " . (١)

١. ابن عاشور ، المقاصد العامة ، ص 271
٢. الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م 1 ، ص 305 - 306
٣. الشاطبي ، المرجع نفسه / م 1 ، ص 304
٤. ابن عاشور ، المرجع السابق ، ص 271
٥. اللويحق ، عيد الرحمن بن معلا ، مشكلة الغلو في العصر الحاضر / ج 2 ، الأسباب الآثار العلاج ، ص 712 ، د. د. ، ط 1 ، (1412 هـ - 1992 م)

المطلب السادس

الحكمة في التيسير ورفع الحرج :

- التخفيف على العباد والاقتصاد في التدين والاعتدال في الأحكام . (٢)
- أن يحبب إلينا الإيمان ببسره ويرغبنا في السير على منهج الله من غير انقطاع أو ملل ، أو بغض للعبادة وكرهية للتكليف ، والخوف من إدخال الفساد على جسم المسلم وماله وعقله وهذا من شأنه أن يحصل على لذة العبادة ويخف عليه ما ثقل على غيره . (٣)
- الخوف من عدم التوفيق بين الواجبات الأخرى التي يكلف بها الإنسان من العمل والقيام على أهله وولده ، أو غيرها فيتشدد بأحد هذه الواجبات ويقصر في الجانب الآخر ، حتى يصل به الحال أن يترك الأمور جميعها ، (٤) ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة بضرورة إعطاء كل شيء حقه فلا يطغى جانب على آخر نهيه عن السمر بعد العشاء كي لا نفوت فريضة الفجر إلا لمن أراد التفقه في الدين " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُبَالِي بَعْضَ تَأْخِيرِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ وَكَانَ لَا يُحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَلَا الْحَدِيثَ بَعْدَهَا قَالَ شُعْبَةُ ثُمَّ لَقِيْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ أَوْ تُلْتِ اللَّيْلُ (٥) ، وقد أخذ الإمام مالك بهذا الرأي " كره مالك إحياء الليل كله وقال لعله يصبح مغلوبا.. ثم قال : لا بأس به ما لم يضر ذلك بصلاة الصبح " (٦) فالمكلف مطلوب بأعمال ووظائف شرعية لا بد له منها فإذا قام بعبادة أو عمل شاق وانهمك به انقطع عن غيره ولا سيما حقوق العباد فكان عمله أو عبادته سببا في تقصيره في ما يجب عليه فعله . (٧)

١ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م2 ، ص133 ، اللويحق ، المرجع نفسه ، ص725

٢ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص216

٣ . الشاطبي ، المرجع السابق / م2 ، ص139-142 ، القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص198

٤ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة / م2 ، ص143-148 ، القرضاوي ، المرجع السابق ، ص198 ، الزحيلي ، المرجع السابق ، ص216

٥ . رواه مسلم / المساجد ومواضع الصلاة / (40) استحباب التذكير بالصبح في أول وقتها وهو التغليس / 647 ، ص294.

٦ . الشاطبي ، الموافقات / م2 ، ص145

٧ . الشاطبي ، المرجع نفسه ، ص143

من خلال ما تقدم من حكمة التيسير في أمور الدين يظهر جليا ارتباط التيسير ورفع الحرج بالوسطية ، " والحكمة من التيسير ورفع الحرج وفتح باب الرخص هو التخفيف على العباد والاقتصاد في الدين ... والرغبة في استمرار المكلف بالسير على منهج الله تعالى والصراف المستقيم ... " ⁽¹⁾ إذا التيسير والوسطية يتماشيا في خط واحد .

¹ . الزحيلي ، الاعتدال في الدين ، ص216

السمة الثانية

العدل

العدل من أهم ما يميز الوسطية الإسلامية كما وضحنا في تفسير قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " بمعنى العدل ، فالحديث النبوي الصحيح فسر الوسط بمعنى العدل وبهذا قال أهل التأويل وأهل اللغة ^(١) ، فلولا عدالة هذه الأمة . الإسلامية . لما استحقت هذا التكريم الإلهي بأن تكون شاهدة على الناس ، وبهذا . نرد على القائلين بأن هذه الآية لا تبرز معنى الوسطية . بأن هذه الآية تبين أهم سمات الوسطية .

كما أن العدل من أهم الأسس والقيم التي جاءت بها الشرائع السماوية الربانية ، ^(٢) والتي قامت عليها مقاصد الشريعة الإسلامية . ^(٣)

فما المقصود بالعدالة ؟ وما أدلتها الشرعية ؟ وما أهم صورها ؟

المطلب الأول

تعريف العدل

العدالة من الفعل الثلاثي عدل : والعدل هو ضد الجور ورجل عدل أي رضا ومقنع في الشهادة وهو في الأصل مصدر ، وقوم عدل وعدول أيضا وهو جمع عدل وقال الفراء : (العدل) بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه . ^(٤)

وتعديل الشهود أن تقول إنهم عدول ، وتعديل الشيء تقويمه يقال عدلته فاعتدل أي قومته

فاستقام وكل متقف معتدل . ^(١)

^١ اللويحق ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، ص26
^٢ الميداني ، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ص 268 ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1418 هـ - 1997 م) ، باعبد الله ، وسطية أهل السنة ، ص 165
^٣ العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص86
^٤ الرازي ، مختار الصحاح ، ص417

وعدل في أمره عدلا وعدالة ومعدلة استقام ، وفي حكمه حكم بالعدل ، والشيء عدلا : أقامه
وسواه ، ويقال عدل الميزان وعدل السهم والشيء بالشيء : سواه به وجعله مثله قائما مقامه ،
والعدالة في الفلسفة إحدى الفضائل الأربع التي سلّم بها الفلاسفة من قديم . (٢)
والعدل ضد الجور وهو " ما قام في النفس أنه مستقيم " وقيل هو الأمر المتوسط بين الإفراط
والتفريط . (٣)

والوسط العدل هو مفتاح السعادة للجسم والنفس فهو ينظم حياة الإنسان دينا ودنيا روحا ومادة
وعقلا وقلبا علما وعملا . (٤)

ومما جاء في تعريف العدل إنه : " القصد والاستقامة والموازنة والمساواة أي أنه يعني وضع
الشيء في مكانه الحقيقي به أن يوضع فيه لأنه ضد الميل عن الطريق السوي وهو العوج " .
(٥)

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مبيّنة أهمية العدل باعتباره صفة مميزة
لأمة الإسلام على غيرها من الأمم ، وقد جاءت صريحة : العدل ، أو ما يدل عليها الميزان
، القسطاس ، القسط .

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تحت على العدل

قال تعالى " { أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (١)
والقسطاس : الميزان العدل .

١ . الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية / ج 4 ، ص 1760 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، (1399 هـ - 1979 م) باب اللام فصل العين .

٢ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 2 ، باب عدل ، ص 588

٣ . هاشم ، الإسلام وبناء الشخصية الإسلامية ، ص 216

٤ . الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 79

٥ . عبد الحميد ، محسن ، مذهب الحضارة الإسلامية وخصائصها ، ص 90 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، (1420 هـ - 2000 م) وقد نقل د . محسن عبد الحميد ما قاله الإمام الزمخشري

وقال تعالى : { وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ } (٢)

ففي الآية الأولى أمر بالعدل بالكيل ، وفي الآية الثانية حذر من التتقيص بالكيل والميزان .

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } (٣) .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ } (٤) يقول القرطبي : "

قَوَّامِينَ بِنَاءِ مَبَالِغَةٍ أَيْ لِيَتَكَرَّرَ مِنْكُمْ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ فِي شَهَادَتِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَشَهَادَةِ

المرء عَلَىٰ نَفْسِهِ إِقْرَارُهُ بِالْحَقِّ عَلَيْهَا " (٥) وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (٦) يقول القرطبي في تفسير هذه الآية " والمعنى : أتممت عليكم

نعمتي فكونوا قوامين لله لأجل ثواب الله ، فقوموا بحقه ، واشهدوا بالحق من غير ميل إلى

أقاربكم وحيث على أعدائكم " (٧) وفي هذه الآيات يتبين لنا وجوب اتصاف أمة الإسلام بالعدل

فيما بينها ، ومع خصومها وأعدائها ، فيكون بذلك خلقا من أخلاقها ، وكما بينا سابقا فقد

اعتبرها الفلاسفة من أمهات الفضائل الأربع ، ولكن ما الحكمة من تنوع التعبير في النصين :

ففي الآية الأولى قدم القسط " كونوا قوامين بالقسط شهداء لله " ، وفي الآية الثانية قدم الشهادة

على القسط " كونوا قوامين لله شهداء بالقسط " " وأرى أن السر في ذلك هو إرادة الدلالة على

١ . سورة الإسراء / آية 35

٢ . سورة المطففين / آية 1

٣ . سورة النساء / آية 58

٤ . سورة النساء / آية 135

٥ . القرطبي الجامع لأحكام القرآن / ج 5 ، ص 410

٦ . سورة المائدة / آية 8

٧ . القرطبي ، المرجع السابق / ج 6 ، ص 109

أن كلا من القوامة والشهادة يجب أن يكونا بالعدل ويجب أن يكونا لله أي مبتغى به وجه الله تعالى ... " (١)

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٢) ، يقول القرطبي في تفسير العدل في هذه الآية : " اختلف العلماء في تأويل العدل والإحسان فقال ابن عباس : العدل لا اله إلا الله والإحسان أداء الفرائض ، وقيل العدل الفرض والإحسان النوافل ... وقال علي بن أبي طالب العدل الإنصاف والإحسان التفضل ، قال ابن عطية : العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات ، وترك الظلم والإنصاف ، وإعطاء الحق ، والإحسان هو فعل كل مندوب ... وقال ابن العربي : العدل بين العبد وبين ربه إثبات حقه تعالى على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والاجتناب للزواجر والامتنال للأوامر . وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها بما فيه هلاكها ... وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن ، والصبر على ما يصيبك منهم البلوى ، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى " (٣) وفي هذا التفسير ما يدل على ضرورة القيام بالعدل والالتزام به . " وحقيقة العدل بين شيئين أو شخصين التسوية بينهما في أمر ما ، فالمقصود به إذا مراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل شيء ، فالعدل بين الناس مقصود شرعي " لأنه يحقق السعادة للناس وأن المفاصد التي نهت عنها الآية وهي الفحشاء والمنكر والبغي تعرقل هذه السعادة " (٤)

١. الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ص 267

٢. سورة النحل / آية 90

٣. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 10 ، ص 165-166

٤. العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص 86

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين العدل وأهميته :

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ " (١).

وفي بيان عدله صلى الله عليه وسلم " عن أبي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل " (٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَ نَحْنُ نَمشي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمْ بِأَفْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ " (٣)

وفي بيانه صلى الله عليه وسلم أجر من يقيم العدل عند الله تعالى " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمُفْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا " (٤).

١. رواه الترمذي / ج 5 / تفسير القرآن عن رسول الله / (9 م) من سورة آل عمران / 3001 ، ، ص 71 - 72 ، حققه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن . وحققه الألباني وقال: حديث حسن ، ص 671 - 672 . { " ابن ماجه (4287) } ،
٢. رواه مسلم / صحيح مسلم / الزكاة / (47) ذكر الخوارج وصفاتهم / 1063 ، ص 488
٣. رواه الإمام أحمد / ج 7 / مسند المكثرين من الصحابة / تنمة مسند عبد الله بن مسعود / 3901 ، ص 17 ، حققه الأرناؤوط وقال :
إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة وبقية رجاله رجال الصحيح
٤. رواه مسلم / الإمارة / (5) فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر / 1827 ، ص 933

وفي عدله في إقامة الحدود ما ورد في قصة المرأة المخزومية " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ
فُرَيْشًا أَهَمَّتَهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ
يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ
قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ
فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا " . (١)

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من مشابهة الأمم السابقة في أنهم كانوا يفرقون في
إقامة الحدود بين الأشراف والفقراء فلا يلتزمون بالعدل في أحكامهم وبين لهم أن ذلك كان من
أسباب هلاكهم في الدنيا والآخرة .

فأمة الإسلام تفردت بتنفيذ العدل دون محاباة أو تشدد وهذا ما جعلها خير أمة أخرجت للناس
فجميع المسلمين سواسية أمام إقامة شرع الله ، وبذلك تبرز قمة الوسطية .

ومن خلال ما تقدم تبين لنا عدله صلى الله عليه وسلم وحثه على توخي العدل في أمور الحياة
كلها ، وعلى جميع أفراد المجتمع ، فلا يخلو جانب من جوانب الشريعة الإسلامية من مراعاة
العدل واعتباره أساساً لإقامتها .

المطلب الرابع

رأي العلماء في العدل وأهميته وشروطه

سار الغزالي على نهج الفلاسفة القدماء كأرسطو وغيره في اعتبار العدل من أمهات الفضائل (٢)
منطلقاً بذلك والله أعلم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ

^١ . رواه البخاري / ج 8 / الحدود / كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان ، ص 199 ، ورواه مسلم / الحدود / (2) قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود / 1688 ، ص 850 - 851
^٢ . التكريتي ، ناجي ، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، ص 101 ، دار الأندلس ، بيروت ، ط 2 ، 1982

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" (١) ، فالعدل من الأخلاق التي حثت عليها الأديان السابقة مع التفاوت في مراعاتها ، وهذه الفضائل يجدر بالمؤمن أن يتخلق بها ، فالإمام الغزالي أرجع أمهات الأخلاق إلى أصول أربع : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ومما قاله عن العدل أنه " حالة بالنفس القوة والشجاعة الغضب الشهوة يحملها على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض حسب مقتضاها " ويقول في مكان آخر " وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع " .

ويقول عن العدل بأنه من غير أطراف ، " والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل ، وهو الجور . " (٢)

وقد بين السيوطي حد العدالة بأنها " ملكة ، أي هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة ويقول " هذه أحسن عبارة في حدها " . (٣) " والعدالة ملكة تمنع من قامت به من اقتراف الكبائر ، والملكة كيفية راسخة في النفس ... وإن كمال العدالة بالمروءة " . " فماهية العدل أنه تمكين صاحب الحق بحقه بيده أو يد نائبه وتعيينه له قولاً أو فعلاً ... " . " فمعنى العدل مشعر بالكون بين جانبيين يتجادبانه ، ولو كان أحد الجانبين ذاتا اعتبارية " . (٤)

إذن العدل " إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان " أو " بأنه المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيادة ولا نقصان " . (٥)

١ . رواه الإمام أحمد / ج14 / باقي مسند المكثرين / تنمة مسند أبي هريرة / 8952 ، حققه الأرنؤوط وقال: حديث صحيح ، إسناده قوي ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان ، فقد روى له مسلم متابعه وهو قوي الحديث ، ص512 - ص513
٢ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج3 ، ص178 ، الذهبي ، د. محمد ، التربية الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي، ص 115 ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، (1421هـ - 2001م) ، ولقد نقل العبارة كما يلي " والعدل حالة لنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض حسب مقتضاها " .
٣ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج 2 ، ص258 - ص259
٤ . ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي ، ص214 - ص215 ، ص294
٥ . الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسبها ، ص257- ص258

" والوسط العدل بهذا المعنى سلوك وغاية وعلم وعمل وانتهاجه هو السبيل الأقوم الذي يصلح للإنسان في حياته الدنيوية إذ هو باب الاستقامة ومفتاح السلامة والخير الفاضل في الدنيا والآخرة . " " الوسط العدل إذن هو مفتاح السعادة للجسم والنفس فهو ينظم حياة الإنسان ديناً ودنياً روحاً ومادة عقلاً وقلباً علماً وعملاً " . (١)

" والعدالة لفظ يقتضي ذكر المساواة ولا يستعمل إلا باعتبار الإضافة وهي في التعارف إذا اعتبرت بالقوة : هيئة في الإنسان يطلب بها المساواة ، وإذا اعتبرت بالفعل في القسط القائم على الاستواء وإذا وصف الله بالعدل فليس يراد به الهيئة وإنما يراد به أن أفعاله واقعة على نهاية الانتظام " . (٢)

ويقول اللويحق : بأن لا تناقض بين الوسطية بمعنى العدل والوسطية بين طرفين " ولكن ليس

بين القول بأن الوسط هو العدل والقول بأنه الجزء بين الطرفين تعارض إذ أن الجزء بين الطرفين في موضع اعتدل عن جانبي الانحراف " وقال في مكان آخر " والعدل يأتي في الغالب وسطاً بين طرفين ذميين واستدل في ذلك على ما ورد " عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبَقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا " (٣) (٤)

ولا أرى تناقضاً بين ما قاله الغزالي وما قاله اللويحق إذ أن صفة العدل كصفة لا يوجد لها طرفان وإنما لها نقيض وهو الجور والظلم بينما العدل كهيئة يقع بين طرفين إذا ملت لأحدهما اختل العدل . فتحكم العقل والشرع بالنفس يجعلها ترجع للعدل وترفض أن تظلم أو تُظلم .

^١ الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية ، ص 78 ، ص 80

^٢ العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص 525

^٣ رواه البخاري / ج 4 / الاعتصام بالسنة / (2) الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم / 7282 ، ص 570

^٤ اللويحق ، الغلو في الدين ، ص 29

" وإذا كان الوسط شيئاً بين شيئين فإنه يلزم لأن يكون شرعياً أن يكون عدلاً ، فإذا مال وانحرف إلى أحد الطرفين إما إلى الإفراط وإما إلى التفريط وهذا خروج عن حقيقة العدل ، ومن ثم خروج عن الوسط " . (١)

ومما تقدم يتبين لنا علاقة العدل بالوسطية فلا وجود للوسطية بعيداً عن العدل إذ بفقدانه نفقد الخيرية والأفضلية ونفقد الاعتدال التي هي من أبرز ملامح الوسطية .

المطلب الخامس

صور العدل في الشريعة الإسلامية :

صور العدل في الشريعة كثيرة فهي شاملة لجميع جوانب الحياة فكل أمر من أمور الدين جاء على وفق العدل (٢) ، فالعدل من مقومات بناء الشخصية الإسلامية السوية فلا يتأثر بالعوامل الخارجية التي تسعى لإبعاده عن عدله سواء كان حاكماً أو قاضياً أو مدرساً أو إماماً أو شاهداً ، ففي كل أحواله يتوخى العدل (٣) ولا ينجر وراء شهواته وعواطفه فلا يحمله كره إنسان على الجور والظلم ولا يحمله اختلاف المذهب على التجني عليهم ولا يحمله اختلاف الملة إلى التعدي على حقوق الناس " فالعدل حق عام لكل أحد من الناس " فالمسلم معتدل في مشاعره لا ينجر وراءها فلا يظلم أحداً (٤) ، ولذلك نرى أهل الإيمان الصادقين أهل عدل ، إذ دفعهم حبهم للحق وإيمانهم به على إقامة العدل ، والحكم بالعدل ، والشهادة بالعدل ، ومعاملة الناس بالعدل ، والقول بالعدل ، والكتابة بالعدل إلى غير ذلك مما يدخل فيه العدل والحق . (٥)

وسأذكر مثالا نلمس فيه عدل الإسلام ووسطيته

١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 123
٢ . نصر ، الإسلام وقضايا العصر ، ص 36
٣ . هاشم ، وسطية الإسلام ، ص 27
٤ . باعيد الله ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص 167
٥ . الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ، ص 266

فالوسطية تظهر في الأموال بوضعها في موضعها التي خلقت لأجله وأمر به الشارع ،
فالعدل فيها يشمل كسبها وتأدية ما عليها من حقوق وواجبات ، كالزكاة ، والصدقات ،
والإنفاق على من تجب عليهم النفقة ... واتباع أرشد الطرق لتميمتها وإنفاقها .
وقد توصل الشارع إلى تحقيق مقصد الأموال بمسلكين : طلب الإنفاق المحمود والذي يكسب
صاحبه العدالة ببذل ما أوجبت عليه الشريعة بذله ، وطلب الكف عن الامساك المذموم .⁽¹⁾
فالإنفاق الوسط خير في طبيعته إذ يحقق الوحدة فلا حقد بين الناس ولا شقاق ، فالوحدة خير
والوسط خير . والوحدة والوسط والخير صفات لشيء واحد هو الحق .⁽²⁾
وبذلك نرى أن العدل من أهم سمات الوسطية ولا تتحقق الوسطية من غير عدل .

¹ . العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص 527
² . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 121

السمة الثالثة

الاعتدال والتوازن

وقد عبر عنها بعضهم بالبينية لأنها تقع بين أمرين ، وبعضهم بالاعتدال بمعنى التوسط بين أمرين إلا أننا في هذا المبحث سنفصل بينها ، ونتناول الاعتدال من جهات مختلفة .

المطلب الأول

تعريف الاعتدال

الاعتدال في اللغة : توسط حال بين حالين في كم أو كيف ، كقولهم جسم معتدل بين الطول والقصر ، وماء معتدل بين الحار والبارد ، وكل متناسب فقد اعتدل ، وكل ما أقمته فقد عدلته والاعتدال : الاستقامة^(١).

وعُرفَ أيضا : بأنه توسط بين حالين في كم أو كيف أو تناسب ، يقال : ماء معتدل : بين الحار والبارد ، وجو معتدل : بين الحرارة والبرودة ، وجسم معتدل بين الطول والقصر ، أو بين البدانة والنحافة ، وحسنة الاعتدال : القوام^(٢) وأما الاعتدال في لغة الفقهاء والأصوليين :

" هو الكمال وهو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة أو نقصان وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها وهو الحكمة المنوّه بها في قوله تعالى " يؤتي الحكمة من يشاء " .^(٣)

^١ . ابن منظور ، لسان العرب / ج3، ص433 ، عبد القادر ، محمد أحمد ، ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال والغلو، ص 10 ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1994

^٢ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج2 ، ص588

^٣ . ابن عاشور ، محمد الطاهر ، أصول النظام الاجتماعي الإسلامي ، ص47 ، قرأه وأخرج أحاديثه ووثق شواهد محمد الطاهر الميساوي ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، (1421هـ - 2001م)

وقيل أيضا في تعريفه : " إنه الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط وهما خلقان ذميان ... (١)
فالوسط هو طريق الأمان وهو السلوك المحمود .

وجمع آخرون بين التعريفين : " ونقصد بالاعتدال عدم الإفراط والتفريط في أي شيء وإعطاء كل
ذي حق حقه " . (٢)

ويقول محمد عبد القادر " يتضح لنا أن مفهوم الاعتدال يتضمن مدلولين مهمين مرتبطين ارتباطا
وثيقا ببعضها وهما : الوسطية والاستقامة ، وهما ضد التطرف والانحراف " وأثبت ما جاء به من

أن الاعتدال هو الوسطية والاستقامة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ففي

قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا } قال : " فالوسطية هنا فضيلة ، وقد جعل الله الوسطية والمتوسط ذا فضل كبير كما

جعل له خصوصية وتميزا " ، ويقول : إن الاعتدال أصل في الفطرة الإنسانية وإن الوسطية

تمثل الركيزة الأولى للاعتدال والاستقامة تمثل الركيزة الثانية له . (٣)

ولما كان الاعتدال مطلبا دينيا كان الفكر الأكثر التصاقا بالدين والالتزام بقواعده هو الفكر الأكثر

اعتدالا ، وذلك هو فكر أهل السنة القائم على تطبيق النصوص الواردة في الكتاب والسنة غير

المحرف لها بتأويل متعسف أو تبديل معانيها " فالاعتدال إذن ميزان الدين " . (٤)

ويعتبر الاعتدال أساسا لقوام الأخلاق الفاضلة " إن قوام الصفات الفاضلة الاعتدال أي التوسط

بين طرفي الإفراط والتفريط لأن ذينك الطرفين يدعوهما إلى اتباع الهوى الذي حذرنا الله منه في

مواطن كثيرة " . (٥)

١ . الجزائري ، منهاج المسلم ، ص 138

٢ . زيدان ، أصول الدعوة ، ص 71

٣ . عبد القادر ، ملامح الفكر الإسلامي ، ص 10 - ص 11

٤ . عبد القادر ، المرجع نفسه ، المقدمة ، ص 5

٥ . ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 184

وإن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع فيه ، فيكون الطبع باعثا والشرع مانعا فينتقومان ويحصل الاعتدال^(١) فالاعتدال يجمع بين الوسطية والاستقامة والخيرية ، في كل جانب من جوانب الحياة .

ويعد الاعتدال والتوسط من معاني الوسطية المثبتة للأمة الإسلامية إلى جانب البينية والخيرية قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ^(٢) " وكل من هذه المعاني الثلاثة صحيح ... فالعدول لا يكونوا إلا خيارا بل لا تتوفر العدالة إلا في خيار الناس ... وأما التوسط بين الإفراط والتفريط وبين الغلاة والجفافة فإنه عدل واعتدال وهو خير من الميل إلى أحد الطرفين " .^(٣)

وقيل عن الاعتدال في الطعام والشراب " هو التوسط بين الامتناع عن الطعام والشراب كما وكيفا ^(٤) ، وفي بيان حدوده أثبت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم " مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتُ يُقْمَنُ صَلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ ^(٥) وقد اعتبر هذا الحديث جامع لأصول الطب كلها ... ^(٦)

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تحت على الاعتدال

اهتم القرآن الكريم بالاعتدال والحث عليه ، ومدح فاعله ، وذم الإفراط والتفريط ، وإن لم يذكر لفظ الاعتدال صراحة إلا أنه جاء ما يدل عليه : ففي آيات القرآن الكريم لم أجدها إلا في قوله تعالى : { الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ } ^(٧) وقد جاء تفسيرها في صحيح البخاري مُعْتَدِلَ

^١ . الغزالي ، إحياء علوم الدين/ ج 1 ، ص 231 ، ص 232

^٢ . باعبد الله ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص 237

^٣ . باعبد الله ، المرجع نفسه ، ص 162

^٤ . مستو ، محي الدين ديب ، الطعام والشراب بين الاعتدال والإسراف ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط 1 ، (1414 هـ - 1994 م) ، ص 26-27

^٥ . رواه الترمذي / ج 4 / الزهد / (47) كراهية كثرة الأكل / 2380 ، ص 317 ، حققه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن صحيح ، وحققه الألباني : وقال : حديث صحيح ، ص 536 ، ["ابن ماجه / 3349 "]

^٦ . الحنبلي ، ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن فرج الحنبلي البغدادي ، جامع العلوم والحكم ، ص 398-399 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ط ، دبت

^٧ . سورة الانفطار / آية 7

الْخَلْقِ، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالتَّخْفِيفِ فَتَعْنِي (فِي أَيِّ صُورَةٍ) شَاءَ إِمَّا حَسَنًا وَإِمَّا قَبِيحًا أَوْ طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا " . (١)

وأما الآيات التي توضح معنى الاعتدال والتوسط في القرآن وتحت عليه فمتعددة . منها ما جاء في العفائف : قال تعالى : { إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (٢) فالمسلمون يعبدون إلهًا واحدًا هو الله تعالى فكانوا وسطًا بين القائلين بتعدد الآلهة واتخاذها أربابًا من دون الله كالنصارى وغيرهم ، وبين الماديين الذين يجحدون وجود الرب الخالق ، ويؤمنون بأولية المادة ، كالشيوعيين وأنصارهم " إن وسطية الإسلام تظهر على قمة مضيئة بالبراهين القطعية بين الفريقين فتعلن الإيمان بالخالق الرب الأزلي الذي له ملك السماوات والأرض " . (٣)

وفي الاعتدال بين عمل الدنيا دار العمل والسعي والاختبار وبين الآخرة دار الثواب والحساب قال تعالى : { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (٤) و الاعتدال في السلوك جاء في قوله تعالى : { وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } (٥) والقصد يعني الاعتدال كما يعني التوسط .

وفي الإنفاق قال تعالى : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } (٦) وقال تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

١ . رواه البخاري / ج 6 / تفسير القرآن / إذا السماء انفطرت ، ص 207 جزء من الحديث

٢ . سورة النساء / آية 171

٣ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 23 - ص 24

٤ . سورة القصص / آية 77

٥ . سورة لقمان / آية 19

٦ . سورة الإسراء / آية 29

قَوَامًا } ^(١) فالإسلام لم يمنع المسلم من التمتع بالطيبات ولكن وضع لها ضوابط تحميه

وتصونه من الإسراف ومن التكبر والاستعلاء : فالضابط الأول مادي ينظم حاجة الجسم والثاني

: معنوي أخلاقي ينظم طريقة استخدام الرزق . ^(٢)

ومما جاء في العبادات قوله تعالى : { وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

{ ^(٣) وقد نزلت هذه الآية تحت على المحافظة على الاعتدال في أداء الصلاة فلا يجهر بها

ويتعرض لإيذاء قريش ولا يخفيها فلا يسمعها المسلمون وقد ثبت سبب نزولها " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا } قَالَ نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَإِذَا سَمِعَهُ

الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { وَلَا

تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ } أَيِّ بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ { وَلَا تُخَافِتُ بِهَا } عَنْ

أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ } وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } . ^(٤)

والأمثلة السابقة من القرآن الكريم تبين الاعتدال بمعنى البينية والتوسط بين أمرين مذمومين ،

فيكون الاعتدال والتوسط هو الأمان وهو الطريق المحمود

وأما ما جاء في ذم الإفراط والتفريط فقد بيناه في مبحث سابق ، وسأكتفي بالإشارة إلى مثال على

ذلك : فمما قاله ابن عاشور في قوله تعالى : { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُتَكَلِّفِينَ } ^(٥) فذم التكلف بمعنى تجاوز الحد والتعمق في الأمور وفي قوله تعالى : { يَا أَهْلَ

أَهْلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } . ^(٦) قال " إنما خص بالتحذير

^١ . سورة الفرقان / آية 67

^٢ . هاشم ، وسطية الإسلام ، ص 33 ، ص 34

^٣ . سورة الإسراء / آية 110

^٤ . رواه البخاري / ج 6 / تفسير القرآن / سورة بني إسرائيل ، ص 109

^٥ . سورة ص / آية 86

^٦ . سورة النساء / آية 171

التكلف والغلو دون التقصير ، لأن الغلو مظنة الالتباس بالأمر المحمودة لاعتقاد أنه زيادة في الخير . وأما التقصير والتفريط فهما داخلان في الذم العام للمفريطين في الشرائع ... " (١) وفي هذا دعوة إلى الاعتدال في الدعوة والرسالة .

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية الشريفة التي تحت على الاعتدال

حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاعتدال في كل أمور حياتهم الدينية والدنيوية ، وأن لا يطغى جانب على الآخر ، وقصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء تبين قمة الاعتدال : " آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً (٢) فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ قَالَتْ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ كُلْ قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ فَمُ الْآنَ فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ سَلْمَانُ " . (٣)

وقد استخلص العلماء والفقهاء دروسا عدة في الاعتدال من هذا الحديث ، فالحقوق التي يجب على المسلم مراعاتها حق الله ، وحق للأهل ، وحق للنفس على صاحبها ، فلا يطغى جانب على

١. ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 48

٢. متبذلة : أي رثة الهيئة تلبس ثياب العمل

٣. رواه البخاري / ج 4 / الأدب / (86) صنع الطعام والتكلف للضيف / 6139 ، ص 186 ، ورواه البخاري / ج 3 / الصوم / من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، ص 49 - ص 50

الآخر ، وفي العبادة عليه أن لا يحمل نفسه أكثر من طاقتها فعليه بالصيام والإفطار ، وفي قيام الليل عليه بالصلاة ولا ينس راحة جسمه بالنوم ... (١)

وفي الاعتدال في الحب والبغض: دعا الإسلام إلى ضبطهما بضابط الاعتدال " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَرَاهُ رَفَعَهُ قَالَ أَحِبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغَضُ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا " (٢) " فالحديث فيه الحث على الاعتدال في الحب والبغض لئلا يندم صاحبها عند تغير الأحوال " (٣) ، فالله تعالى عندما أمر المسلم بالاعتدال في العواطف والميول لأنها عندما تخرج تكون جياشة وسريعة فتدفع صاحبها للإفراط والغلو بحسن نية فيتورط في متهاتات عديدة ويصحو بعد فوات الأوان ، (٤) لذلك وجب أن يرافق العواطف والميول الاعتدال والحكمة .

والاعتدال في العبادة وتلاوة القرآن " عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ اخْتِمَهُ فِي شَهْرٍ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ اخْتِمَهُ فِي عَشْرِينَ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ اخْتِمَهُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ اخْتِمَهُ فِي عَشْرٍ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ اخْتِمَهُ فِي خَمْسٍ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَمَا رَحَّصَ لِي (٥) ، وقد بينا في مبحث التفريط أن الله لا يمل حتى تملوا ، وأن أفضل العبادة القليل الدائم .

" وَعَنْ مُجِيبَةَ الْبَاهِلِيَّةِ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عَمَّهَا أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهَيْئَتُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَعْرِفُنِي قَالَ وَمَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الْبَاهِلِيُّ

١ . هاشم ، الوسطية في الإسلام ، ص 24 - ص 25
٢ . رواه الترمذي / ج 4 / البر والصلة / (60) الاقتصاد في الحب والبغض / 1997 ، ص 128 ، حققه الذهبي : قال أبو عيسى حديث حسن غريب ، وحققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 453 ، { " غاية المرام / 472 " } ، ص 453
٣ . نصر ، الإسلام وقضايا العصر ، ص 40 ، ص 41
٤ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 223 ، ص 224
٥ . رواه الترمذي / ج 5 / القراءات / (13) / 2946 / ص 40 - ص 41 ، حققه الذهبي : قال أبو عيسى حديث حسن صحيح غريب ، وحققه الألباني وقال حديث ضعيف الإسناد ، ص 658 - ص 659

الَّذِي جِئْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ قَالَ فَمَا غَيَّرَكَ وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الْهَيْئَةِ قَالَ مَا أَكَلْتُ طَعَامًا إِلَّا بِلَيْلٍ مُنْذُ
فَارَقْتُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَ عَدَّبْتَ نَفْسَكَ ثُمَّ قَالَ صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمًا مِنْ
كُلِّ شَهْرٍ قَالَ زِدْنِي فَإِنَّ بِي قُوَّةٌ قَالَ صُمْ يَوْمَيْنِ قَالَ زِدْنِي قَالَ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَالَ زِدْنِي قَالَ صُمْ
مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ صُمْ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ صُمْ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَةَ فَضَمَّهَا ثُمَّ
أَرْسَلَهَا ^(١) وهذا يبين الاعتدال في باب صوم التطوع .

المطلب الرابع

مظاهر الاعتدال :

تبرز مظاهر الاعتدال في جميع جوانب الحياة الإسلامية وقد جعل الله هذه الأمة هي الأمة
الوسط في جميع أبواب الدين ، وكل انحراف عن الوسط سببه إما الإفراط أو التفريط فالناس في
" دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه " فإذا انحرف غيرهما من الأمم إلى أحد الطرفين كانت
هي أمة الوسط . ^(٢) فالعصمة في : الوسطية والاعتدال والاستقامة . ^(٣)

الفرع الأول : الاعتدال في الجانب الاعتقادي

فأمة الإسلام وسط في باب أسماء الله وصفاته بين أهل التعطيل الجهمية ^(٤) وأهل التمثيل
المشبهة ^(٥) ، فهم وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين : طائفة غلت في التنزيه والنفي
وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم وطائفة غلت في الإثبات وهم الممثلة ، وأما أهل السنة

^١ . رواه أبو داود / ج 2 / الصوم / صوم أشهر الحرم / 2428 ، حققه السيد محمد وقال: اسناده ضعيف، ص 1048 - ص 1049
{ " أخرجه البيهقي في كتاب الصوم 291/4 " }

^٢ . الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، ص 598 ، نصر ، قضايا الإسلام المعاصرة ، ص 41

^٣ . نصر ، المرجع نفسه ، ص 41

^٤ . الجهمية : مرجئة ، وجبرية خلص . ينسبون إلى الجهم بن صفوان . وهو القاتلون بالجبر المحض ، والإيمان عندهم معرفة قلبية لا
علاقة لها زيادة ولا نقصا ، بالعمل الذي تأتبه الجوارح . وهم ينكرون صفات الله عز وجل بل غلاتهم ينكرون الأسماء ويقولون لا نثبت
لله إسما ولا صفة . محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامي ، ص 367

^٥ . المشبهة هم الذين يثبتون لله صفات زائدة على الذات ، على نحو ينفي التنزيه والتجريد عن الذات الإلهية ، الأمر الذي يؤدي إلى
التشبيه والتجسيد للذات الخالقة ، من نحو القول بأنه جسد ، وله يد أو عين ... محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامي ، ص 377

والجماعة فيقولون لا تغلو في الإثبات ولا في النفي ونثبت دون تمثيل لقوله تعالى { ليس كمثله

شيء وهو السميع البصير } . (١)(٢)

وقد رد الله على المشبهة بقوله " ليس كمثله شيء " ورد على المعطلة بقوله " وهو السميع

البصير " (٣) .. وهم وسط في باب الرسل بين من عبدتهم وجعل لهم من صفات الله وحقوقه

وأشركهم بالله كالنصارى وبين من قتلهم وأذاهم ...

والاعتدال في باب الاعتقاد واسع جدا يشمل الاعتدال في الإيمان بالرسول والملائكة والقضاء

والقدر واليوم الآخر .

الفرع الثاني : الاعتدال في الأخلاق الإسلامية

فالأخلاق في الإسلام تأخذ طابعا معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط (٤) فهي وسط بين طرفين كل

منهما يعتبر رذيلة فالكرم وسط بين التبذير والبخل ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن والعزة

وسط بين الكبر والذلة ، (٥) " من أجل هذا نجد الإسلام دائما وسطا لا غلو فيه ولا تفريط ،

فالمتوسط في الأمور والمواقع هو الذي يمكن أن يقف شاهدا على الطرفين ذات اليمين وذات

اليسار " (٦) وقد ذكرنا سابقا أن أمهات الفضائل أربعة : الحكمة ، الشجاعة ، العفة ، العدل ،

وبلوغ هذه الأصول حد الاعتدال تكون محاسن الأخلاق ، فمن استوت فيه هذه الخصال

واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق في

الجهة التي قام بها فحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة

واعتدالها يعبر عنه بالعفة ، فالمحمود هو الوسط وهو الفضيلة ، والطرفان رذيلتان مذمومتان.

١. سورة الشورى / آية 11

٢. العثيمين ، محمد بن صالح ، شرح العقيدة الواسطية ، ص 438 وما بعدها ، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الثريا للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، (1419 هـ - 1998 م) ، هراس ، محمد خليل ، شرح العقيدة الواسطية ، ص 118 ، راجعه عبد الرزاق عفيفي ، مؤسسة مكة للطباعة من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط 4 ، 1396 هـ الجوزية ، المرجع السابق ، ص 598.

٣. هراس ، شرح العقيدة الواسطية ، ص 119

٤. أبو عجمية ، دراسات في الفكر ، ص 126

٥. هاشم ، وسطية الإسلام ، ص 14

٦. كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ص 23

وكمال الاعتدال لم يبلغه إلا الرسول صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل قريب منه قريب من الله تعالى ومن بلغها من البشر استحق أن يكون ملاكا مطاعا في الأرض . (١)

وفي دراسة للتربية الاجتماعية عند الغزالي نرى أن اعتدال الحكمة يؤدي إلى حسن التدبير وجودة الذهن والفتنة وإصابة الظن ، وفي اعتدال الشجاعة يصدر الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والثبات وكظم الغيظ والوقار ، (٢) وفي تعريف الشجاعة : بأنها قوة في عزيمة النفس تدفع إلى الإقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول (٣) ، وفي اعتدال العفة يصدر منع السخاء والحياء والصبر والقناعة والتقوى والورع واللطافة والمساعدة . (٤) وتعرف العفة بأنها: " كف النفس النفس عن المحارم وعملا لا يجمل بالإنسان فعله ، ومنها العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة وعن أكل المال الحرام وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية .. " (٥)

وتعد السماحة . وهي أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها . من مظاهر الاعتدال " السماحة سهولة المعاملة في اعتدال ، فهي وسط بين التضيق والتساهل ، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط " فالسماحة هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه ، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد " (٦) ، " فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى " (٧)

١ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 178-179 ، الديسي ، التربية الاجتماعية ، ص 116 ، ص 117

٢ . الديسي ، التربية الاجتماعية في فكر الغزالي ، ص 346

٣ . الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ، ص 499

٤ . الغزالي ، المرجع السابق / ج 3 ، ص 179

٥ . الميداني ، المرجع السابق ، ص 491

٦ . ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 184 - ص 185

٧ . البخاري / ج 2 / البيوع / السهولة و السماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا / 2067 ، ص 121 .

" فالسماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطا بين طرفي إفراطٍ وتفریط " ، فرجع معنى

السماحة إلى التيسير المعتدل وهو معنى اليسر الموصوف به الإسلام . (١)

ومنها الاعتدال في الغيرة : وهو لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبلغ في

إساءة الظن والتعنّت وتجبس البواطن : وأما الغيرة في محلها فلا بد منها، وهي محمودة ومنها

ما جاء في الصحيح عن غيرة الله " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال إن الله يغارُ وغيرةُ الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله " (٢) ومنها ما هو مذموم وقد

بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن جابر بن عتيك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

كان يقول من الغيرة ما يحبُّ الله ومنها ما يبغضُ الله فأما التي يحبُّها الله فالغيرة في الريبة وأما

الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ربيبة وإن من الخيلاء ما يبغضُ الله ومنها ما يحبُّ الله

فأما الخيلاء التي يحبُّ الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة وأما التي

يبغضُ الله فاختياله في البغي قال موسى والفخر " . (٣)

الفرع الثالث : الاعتدال في الجانب المادي والروحي :

اعتبر القرضاوي التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية المبدأ الإصلاحي الخامس من المبادئ

التي دعا إليها الإسلام ورعاها . (٤)

ففي كل إنسان جانبان أحدهما مادي بحاجة إلى الطعام والشراب والملبس والمسكن والزواج ،

والآخر معنوي روحي بحاجة إلى صقل النفس و تهذيب الروح واتصالها المباشر مع خالقها

١ . ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي ، ص 49 - ص 50

٢ . رواه البخاري / ج 3 / النكاح / (108) الغيرة / 5223 ، ص 651 - ص 652 ، وفي رواية مسلم / التوبة / (6) غيرة الله تعالى ونحریم الفواحش / 2761 ، ص 1365 " عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغارُ وإن المؤمن يغارُ وغيرةُ الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه "

٣ . رواه أبو داود / ج 3 / الجهاد / (114) الخيلاء في الحرب / 2659 ، حققه السيد محمد وقال: حديث حسن ، ص 1151 } " أخرجه النسائي في الزكاة باب الاختيال في الصدقة 82/5 ، والدارمي في النكاح باب الغيرة 200/2 ، وأحمد في مسنده وجميعا من طريق

يحيى {

٤ . القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 181

ليصل بها إلى درجة التقوى . (١) فالإسلام يمتاز عن غيره من الأديان الأخرى بالعدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد فهو لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من متعة مادية أو جسدية ما دام يتناولها بطريق مشروع وفي حدها المعتدل . وقد حثت الآيات القرآنية بالجمع بين مطالب المادة والروح قال تعالى : { فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } {200} وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ { (٢) وقال تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٣)

وقد عد الإسلام حرمان النفس مما أحله الله لها اعتداءً وخروج عن طريق العدل بين الطبيعتين المادية والروحية . (٤)

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (٥)

" والاتجاه الوسط هو الذي لا يسرف في المادة كعامل حضاري ولا يفرط بالروح كعامل حضاري وهو الوسط الملائم للفترة " . (٦)

وللوصول إلى التوازن والاعتدال في حياة الإنسان وطاقاته الجسمية والعقلية والروحية يحتاج الإنسان إلى جهد كبير يستغرق حياته كلها ، فعليه الاعتدال والتوفيق بين الضرورات القاهرة والأشواق الطائفة ، وبين ما يجب أن يكون وما يمكن أن يكون ، وبين مطالب الفرد الواحد

١ . هاشم ، وسطية الإسلام ، ص 15

٢ . سورة البقرة / آية 200-201

٣ . سورة الأعراف / آية 32 - 33

٤ . طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، روح الدين الإسلامي ، ص 163 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 18 ، د . ت

٥ . سورة المائدة / آية 87

٦ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 142

ومطالب الجماعة ، وبين العمل للأجلة والعمل للعاجلة ، وعلى ذلك يجب عليه أن يكون معتدلاً في كل لحظة من لحظات حياته . (١)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يناله المسلم من تقوى الله وراحة القلب والبدن إنما ينال بالإجمال في الطلب ، وترك الحرص على الدنيا ومتاعها، (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ" (٣) فالمسلم متى اتقى الله فاز بالآخرة ونعيمها ومن أجمل في الطلب

استراح من نكد الدنيا وهمومها . (٤)

الفرع الرابع : الاعتدال في العبادات

ونقصد بالاعتدال في العبادة : أن تخلو من الغلو والتنتع والإهمال والتفريط . (٥)

فلا ينبغي للمسلم أن يرهق نفسه أو يؤذي جسده ، ويحرمها من الطيبات التي أحلها الله لها أو أن يحمل نفسه أكثر من طاقتها (٦) " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَفُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَنْظِلَ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُّهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَنْظِلْ وَلْيَقْعُدْ وَلْيَتِمِّمْ صَوْمَهُ " (٧) فتعذيب الجسد ليس من مقاصد الإسلام ، ولا من مقاصد وسائله أو غاياته .

١ . قطب ، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ص 31 ، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ، د . ت

٢ . الجوزية ، الفوائد ، ص68

٣ . ابن ماجه /التجارات / (2) الاقتصاد في طلب المعيشة / 2144 ، حققه الألباني وقال: حديث صحيح ، ص369 ، ["التعليق 7/3 ، أحاديث البيوع ، الصحيحة / 2607 ، المشكاة (5300) "]

٤ . الجوزية ، المرجع السابق ، ص68

٥ . الجزائري ، منهاج المسلم ، ص138

٦ . زيدان ، أصول الدعوة ، ص71

٧ . رواه البخاري / الأيمان والنذور / النذر فيما لا يملك وفي معصية / 6704 ، ص373 ، رواه ابن حبان / الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان / ج 3 / النذور / الأمر بوفاء النذر النادر إذا نذر ما لله فيه طاعة / 4385 ، ص230 - ص231 ، حققه شعيب الأرنؤوط وقال إسناده صحيح

والعبادة في الإسلام تعتبر وسطا معتدلا بين الشرائع الأخرى ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب الطهارة نجد النصارى لا يتورعون ولا يحترزون من النجاسات ويذهبون إلى كنائسهم وعلى ثيابهم أثر البول ، بينما كان اليهود يقرضون ثيابهم ويضع مكانها قطعة طاهرة لم يصبها البول ، وكانوا لا يؤاكلون الحائض ولا يجالسونها حتى تطهر ، وهناك بعض المسلمين الذين ابتلوا بداء الوسوسة ببالغون في الطهارة وفي تعقيم ما يلبسون ويأكلون ، أما الإسلام دين الوسط والاعتدال فيوجب الطهارة من النجاسة . فلا تقبل صلاة بغير طهور . ، ويدعو إلى النظافة بالماء وبوسائل التنظيف دون غلو أو إسراف أو وسوسة . (١)

وفي طريقة العبادة يرى بعض الناس أن العبادة مجرد فكر وتأمل وتفكر وسكون مثل اليوگا ، وبعضهم يرى أن العبادة يجب أن تكون عملا شاقا قاهرا للنفوس كبعض الفرق الباطلة في الهند وبظهر الإسلام على قمة سامية مشرقة ، وللعبادة في الإسلام اثنتي عشرة خصيصة تميزها عن المذاهب والفرق الأخرى . (٢)

ويتضح لنا مما تقدم أن العبادة حق لله وأن المشقات التي بها ليست مقصودة لذاتها وتدخل في باب تحمل العبد لها وأن الإنسان إذا عجز عن القيام بها رفع عنه الحرج إما كلياً أو جزئياً حسب حاله وفي النهي عن تحميل النفس أكثر من طاقتها ورد في حديث "عَنْ أَنَسٍ قَالَ نَذَرْتُ امْرَأَةً أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ فَسُئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ عَنْ مَشْيِهَا مُرُوهَا فَلْتَرْكَبْ " . (٣)

وفي تعليمه صلى الله عليه وسلم الصحابة الاعتدال في العبادة ما ورد في الحديث الصحيح "عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

١ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 31 - ص 32

٢ . الميداني ، المرجع نفسه ، ص 32 - ص 33

٣ . رواه الترمذي / النذور والأيمان / (9) فيمن يحلف بالمشي ولا يستطيع / 1536 ، حققه الألباني وقال حديث حسن صحيح ، ص 363 ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم وقالوا : إذا نذرت امرأة أن تمشي فلتركب ولتهد شاة

يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبًا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي
اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَنْتَزِجُ أَبَدًا فَجَاءَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذًا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ
وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَنْتَزِجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " . (١)

فهذه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تلقاها عن ربه بما فيها من اعتدال يتناسب مع

الفطرة الإنسانية والخروج عنها يكون خروج عن سنته صلى الله عليه وسلم .

وبهذا نبين المنهج القويم في الاعتدال في العقيدة والتدين والأخلاق والسلوك ، وهو ما أنزله الله

على عبده صلى الله عليه وسلم ليهدي الناس ويخرجهم من الانحراف والضلال إلى الهدى

والصواب . (٢)

فالشريعة جاءت بأحكام معتدلة ومنتزعة وموافقة للفطرة ، فالدليل الشرعي هو الذي يحدد الاعتدال

والوسطية وليس العقل هو الذي يحدده ، فالدليل شرعي لا عقلي ، وكل ما عليه دليل شرعي هو

من الاعتدال وإن توهم البعض أنه ينافي الاعتدال والوسطية .

^١ . رواه البخاري / ج3 / النكاح / (1) الترغيب في النكاح / 5063 ، ص598
^٢ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص240

السمة الرابعة

الاقتصاد

المطلب الأول

تعريف الاقتصاد

الاقتصاد : من الفعل قصد بمعنى استقام ، واقتصد في أمره توسط فلم يفرط أو يفرط ، وفي الحكم : عدل ولم يمل ناحية ، وفي النفقة : لم يسرف ولم يقتر ، وفي مشيه : اعتدل فيه . (١) والقصد : استقامة الطريق ، ومنها الاقتصاد وهو نوعان : أحدهما محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط . (٢) والمقصد : المعتدل الجسم . (٣)

فالإقتصاد يمثل الوسطية من الاعتدال والاستقامة والعدل .

والإقتصاد رتبة بين رتبتين ومنزلة بين منزلتين ، والمنازل ثلاثة : التقصير في جلب المصالح ، والإسراف في جلبها ، والاقتصاد بينهما ... وقال حذيفة الحسنة بين سيئتين ومعناه أن التقصير سيئة ، والإسراف سيئة ، والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير . (٤)

والإقتصاد في التدين : هو الاعتدال والاستقامة والتوسط في جميع أمور الدين بدون غلو ولا

مغالاة وبدون تقصير أو إهمال . (٥)

والإقتصاد يعني اختيار البدائل المثالية والعدل في القول أو العمل ، فالعدل هو الركيزة الأساسية

للاقتصاد وهو بمثابة إشارة الميزان التي تنصف حياة الناس . (٦)

١ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 2 ، باب قصد ، ص 738

٢ . الزين ، معجم البيان الحديث ، ص 703

٣ . الأندلسي ، مختصر العين / ج 1 ، باب الثلاثي الصحيح ، ص 540

٤ . السلمي ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام / ت 660 هـ ، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام / ج 2 ، ص 174 ، المراجعة اللغوية محمود بن التلاميذ الشنقيطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، دار المعرفة ، لبنان ، د. ط ، د. ت

٥ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 200

٦ . قعدان ، زيدان عبد الفتاح ، منهج الاقتصاد في القرآن ، ص 19 ، مؤسسة الرسالة للطبع والتوزيع ، دار البشير للنشر ، ط 1 ، (1418 هـ - 1997 م)

وقد ذكر العلماء الاقتصاد كأحد سمات الوسطية ، فالقصد هو الاستقامة والاعتدال " وهذا الاقتصاد والاعتدال والاتزان والوسط والاستقامة في الأمور هو ما يتفق مع العقل السليم وهو ما دعا إليه العقلاء والحكماء والمصلحون " (١) لذلك سأكتفي في هذا المبحث ببيان كلمة القصد في القرآن والسنة وأقوال العلماء .

واستدل العلماء والفقهاء على علاقة القصد بالوسطية من الاستقراء في آيات الله تعالى والأحاديث النبوية الشريفة ، التي تدعو إلى الاقتصاد وتبين ما يترتب عليه من جليل الفوائد وعظيم المنافع .

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تحث على الاقتصاد وما يترتب عليه

قال تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } (٢) قال الطبري : مقتصدة في القول في عيسى ابن مريم قائلة فيه الحق أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، لا غالية قائلة أنه ابن الله . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . ولا مقصرة قائلة هو لغير رشده . (٣) " مقتصدة " أي معتدلة ، تلتزم الحد الوسط . (٤) قال القرطبي : وهم المؤمنون كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام اقتصدوا فلم يقولوا في عيسى ومحمد عليهما السلام إلا ما يليق بهما ... والاقتصاد والاعتدال في العمل وهو من القصد والقصد إتيان الشيء . (٥)

١ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 205

٢ . سورة المائدة / آية 66

٣ . الطبري ، جامع البيان / ج 6 ، ص 363

٤ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 199

٥ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 6 ، ص 241 - ص 242

وقال تعالى : { وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } (١) وقصد

السبيل استقامة الطريق ، والسبيل هو الإسلام (٢) فالسبيل القصد : هو طريق الحق وما سواه جائر عن الحق وهي طرق البدع والضلالات . وقال التنستري (٣) " قصد السبيل " طريق السنة ، أما مجاهد فقال " قصد السبيل " أي المقتصد منها بين الغلو والتقصير وذلك يفيد أن الجائر هو الغالي أو المقصر وكلاهما من أوصاف البدع . (٤) وهذا خروج عن طريق الله ، طريق الخير والساد ، طريق الذين أنعم الله عليهم . وقال أبي بن كعب : " عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله عز وجل فاقشعر جلداه من خشية الله تعالى إلا تحانت عنه خطاياہ ... وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم " فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة " . (٥)

وقال تعالى : { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ } (٦) وسفرا

وسفرا قاصدا أي سهلا معلوم الطريق (٧) وهو الميسر الذي لا مشقة فيه . (٨)

وقال تعالى : { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُمْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } (٩)

ومما جاء في تفسير قوله تعالى " واقصد في مشيك " أي توسط فيه ، والقصد ما بين الإسراع

والبطء أي لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار ، وأما ما روي عنه صلى الله عليه

١ . سورة النحل / آية 9

٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 10 ، ص 81

٣ . هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع وكنيته أبو محمد / أحد أئمة القوم وعلماهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعبوب الأفعال ، توفي سنة 283 وقيل 293 وقال " أظن 283 أصح / طبقات الصوفية ، أبي عبد الرحمن السلمى ، تحقيق نور الدين شريبه / مطبعة المندي / مصر ، ط 3 (1418هـ - 1997م) ص 206

٤ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 38 .

٥ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 140

٦ . سورة التوبة / آية 42

٧ . القرطبي / المرجع السابق / ج 8 ، ص 153

٨ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 200

٩ . سورة لقمان / آية 19

وسلم أنه كان إذا مشي أسرع فالمقصود بها السرعة المرتفعة عن ديبب المتماوت (١) ، فالمشي المعتدل هو البعيد عن الخيلاء في الأرض أو الكبر فيها (٢) ، وأما قوله تعالى " وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ : أي أنقص منه ، أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه (٣) . فنهى بذلك عن رفع الصوت وفي موضع آخر أتى على من يغض صوته قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } (٤)

وكذلك الأمر بالحديث الذي يتكلم به المرء فيجب عليه الاقتصاد في الكلام لأنه من أهم ما يستقيم به اللسان ، فلا يتكلم الإنسان إلا بعد تفكير وروية ، فيحافظ على اتزانه في مجلسه ويكسوه الوقار وتعلوه الهيبة ، فإذا وطّن المرء نفسه على الاقتصاد في الكلام قل خطاه وحسن قوله . (٥)

وقال تعالى : { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٦)

وقال تعالى : { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } (٧) فمنهم مقتصد : أي متمسك بالطاعة والتوحيد . (٨)

وبهذا نرى أن القرآن الكريم قد أمر بالتوسط والاعتدال في المشي والحديث والصوت لأنها من كمال الأخلاق والأدب ، ونهى أيضا عن التعالي على الناس والتكبر . (٩)

١ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 14 ، ص 71

٢ . قعدان ، منهج الاقتصاد في القرآن ، ص 20

٣ . القرطبي ، المرجع السابق / ج 14 ، ص 71

٤ . سورة الحجرات / آية 3

٥ . هاشم ، الإسلام وبناء الشخصية ، ص 170 - ص 171

٦ . سورة لقمان / آية 18

٧ . سورة لقمان / آية 32

٨ . القرطبي ، المرجع السابق / ج 14 ، ص 80

٩ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 222

وقال تعالى { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (١) .

والمقتصد هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها وفي تفسير الآية ما جاء في الحديث الشريف "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ قَالَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ " (٢) (٣) .

من خلال الآيات السابقة نستخلص علاقة الاقتصاد بالوسطية فقد جاءت بمعنى الاعتدال ، والأفضل والأيسر ، وعدم الحرج والمشقة .

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية الشريفة التي تحت على الاقتصاد

أما ما جاء في المنهج النبوي الشريف . الذي يوزع فيه السلوك توزيعاً عادلاً بحسب الحقوق والواجبات . (٤) فقد أشار إلى الاقتصاد وأنه من معاني الوسطية وسماتها .

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصِداً وَخُطْبَتُهُ قَصِداً " . (٥)

١ . سورة فاطر / آية 32

٢ . رواه الترمذي / تفسير القرآن / (36) من سورة الملائكة / 3225 ، حققه الألباني وقال حديث صحيح ، قال أبو عيسى حديث حسن غريب لم نعرفه إلا من هذا الوجه ، ص 729

٣ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن / ج 14 ، ص 345 ، وجاء في تفسيرها ما رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ) فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسِبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحِبُّسُونَ فِي طَوْلِ الْمُحْسِرِ ثُمَّ هُمْ الَّذِينَ تَلَاقَاهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) إِلَى قَوْلِهِ (لُغُوبٌ)

٤ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 152

٥ . رواه مسلم / الجمعة / (13) تخفيف الصلاة والخطبة / 866 ، ص 391 ، وأخرجه ابن بليان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان / ج 2 / البر والإحسان / ما جاء في الطاعات وثوابها / 357 ، ص 72 حققه شعيب الأرنؤوط وقال حديث صحيح

" وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْدُوا وَرُوحُوا وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا " . (١)

" وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي عَلَى صَخْرَةٍ فَأَتَى نَاحِيَةَ مَكَّةَ فَمَكَثَ مَلِيًّا ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَجَدَ الرَّجُلَ يُصَلِّي عَلَى حَالِهِ فَقَامَ فَجَمَعَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ ثَلَاثًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا " . (٢)

" وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَجِّهًا فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَجَعَلْتُ أَحْسَنُ عَنْهُ وَأَعَارِضُهُ فَرَأَنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ أَرَاهُ مُرَانِيًّا فَقُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَأَرْسَلَ بِيَدِي ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَيْهِ فَجَمَعَهُمَا وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بِحِيَالٍ مَنكِبَيْهِ وَيَضَعُهُمَا وَيَقُولُ عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ " (٣)

" وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَالَ مَنْ افْتَصَدَ " (٤)
وقد أفرد الزحيلي في " كتابه الاعتدال في التدين " عنوانا جانبيا تحت عنوان بواعث الاقتصاد في التدين : وبين فيه أن الاقتصاد في الدين جاء به الشرع الحنيف وأيده العقل ، واتفق مع الفطرة البشرية ، والواقع الإنساني " . (٥)

١. رواه البخاري / ج 4 / الرقاق / القصد والمداومة على العمل / 6463 ، ص 297-298 ، والساد : الاستقامة ولزوم الصواب ، والقصد القصد : اقتصدوا في العبادة ولا تحملوا ما لا تطيقون
٢. البوصيري ، شهاب أحمد بن أبي بكر (762هـ - 840هـ) ، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، تحقيق موسى محمد علي ود . عزت عطية ، كتاب الزهد ، باب المداومة على العمل ، حديث 1516 ، وقال هذا إسناد حسن ، ص 305 دار التوفيق النموذجية للطباعة ، دار الكتب الإسلامية للنشر ، مصر ، ط 1 (1405هـ - 1985م) ، وحققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 703 [الصححة / 1760]
٣. رواه الإمام أحمد/ج 15 / أول مسند البصريين/حديث أبي برزة الأسلمي / 19674 ، حققه شعيب الأرنؤوط وقال : إسناده صحيح ، ص 37.
٤. رواه الإمام أحمد/ ج 7 / مسند المكثرين من الصحابة / مسند عبد الله بن مسعود / 4269 ، حققه شعيب الأرنؤوط وقال : إسناده ضعيف ، ص 302 ، ضعفه النسائي وأبو داود والدارقطني
٥. الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 201 وما بعدها

السمة الخامسة

الحكمة

تعتبر الحكمة من السمات التي تتصف بها الوسطية ، وقد ذكرها الصلابي في رسالته ، وبين أنواعها وأركانها ، وفي هذا المبحث سأبين الحكمة من حيث ورودها في القرآن والسنة وأقوال العلماء ، وأهمية الحكمة كأسلوب من أساليب نشر الدعوة وعلاقة ذلك بوسطية الإسلام **المطلب**

الأول

تعريف الحكمة

تُعرّف الحكمة في اللغة بأنها: " معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والعلم والتفقه . (١) وهي من الفعل حكم ، فالْحُكْمُ القضاء ، وأحكمه : أي صار محكما ، ومنها الحكمة : أي العلم ، والحكيم : العالم ، وهو صاحب الحكمة ، المتقن للأمور (٢) ، الحكمة أي العدل والعلم ، وأحكمت الشيء أي أتقنته . (٣)

المطلب الثاني

الآيات القرآنية التي تبين الحكمة

أما ما جاء في القرآن الكريم صريحا في الحكمة :

قال تعالى : { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٤) : أي وضع الأشياء مواضعها أو ما يزيل من القلوب من وهج حب الدنيا ، أو الفقه في الدين أو السنة المبينة للكتاب أو الكتاب نفسه " ، ويقال الحكمة :

١ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 1 ، ص 190
٢ . الرازي ، مختار الصحاح ، من الفعل ح ، ك ، م ، ص 148
٣ . الأندلسي ، مختصر العين / ج 1 ، باب الثلاثي الصحيح ، ص 251
٤ . سورة البقرة / آية 129

المراد بها حقائق الكتاب ودقائقه وألفاظه وما أودع فيه ، وعرفها بعضهم بما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام فتشمل المعرفة العملية والمعرفة النظرية. (١)

وقال تعالى : { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

أُولَئِكَ الْأَنْبَاءُ } (٢). قال الطبري والحكمة في هذه الآية جاءت بمعنى القرآن والفقهاء به ومعرفة

علومه ناسخه ومنسوخه ، محكمه ومتشابهه ، مقدمه ومؤخره ، حلاله وحرامه .. ، وقال بعضهم

: الفهم ، وقال آخرون الإصابة في الأمور ، وانتهى إلى أن جميع الأقوال السابقة تدخل في

معنى الحكمة " لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة وإذا كان ذلك

كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما ، وكانت

النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب في الأمور والنبوة " .

(٣)

وقال تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } (٤) والحكمة : أي ما أوحى إليهم مما لم يكن مقروءا . (٥)

وقال تعالى : { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } (٦) وجاءت الحكمة في هذه الآية بمعنى النبوة (٧)

(٧)

وفي الدعوة إلى الله قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٨) فالله تعالى

١ . الألويسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم / ج1 ، ص346

٢ . سورة البقرة / آية 269

٣ . الطبري ، جامع البيان / ج3 ، ص60 وقد أيدته في هذا التفسير الألويسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني ، ج3 ، ص35

٤ . سورة النساء / آية 54

٥ . الطبري ، جامع البيان / ج 5 ، ص89

٦ . سورة البقرة / آية 251

٧ . الطبري ، المرجع السابق / ج2 / 403

٨ . سورة النحل / آية 125

أمرنا في هذه الآية أن ندعو إلى الله بالحكمة لا بالحماسة وبالموعظة الحسنة لا بالعبرة الخشنة^(١). وسيأتي بيان ذلك في مظاهر الحكمة .

وقد جاءت العديد من الآيات التي تشير إلى معنى الحكمة قال تعالى : { وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }^(٢)

وقال تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ }^(٣) فالمؤمن يجمع بين النقيضين فهو شديد في وقت الشدة ، رحيم لين في وقت الرحمة واللين ، " فإنها شدة في الحق ومع الراضين للحق ، وهي في أعماقها رحمة ، وفي مقاصدها نعمة " .^(٤)

" إذن المسلم غير منفعل لغرائزه ولا لدولاب حياته إنما هو منفعل لمنهج " فعندما يأمره بالشدة يكون شديدا وعندما يأمره بالرحمة يكون رحيما^(٥) .

وقال تعالى : { أَدْلِلْ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ }^(٦) فالمؤمن ذليلا عزيزا في وقت واحد فمنهجه هو المحرك له فيأمره بالعزة في أوقات ويأمره بالذلة في أوقات أخرى ، وهكذا نرى أن الحكمة تقتضي أن يضع الإنسان القوة والشدة في مكانها والاستكانة في مكانها والعزة في مكانها وهذا قمة الوسطية^(٧) .

^١ نصر ، قضايا الإسلام المعاصرة ، ص 57

^٢ سورة غافر / آية 28

^٣ سورة الفتح / آية 29

^٤ الأميري ، وسطية الإسلام وأمثه ، ص 47

^٥ الشعراوي ، الإسلام حدثا وحضارة ، ص 24

^٦ سورة المائدة / آية 54

^٧ الشعراوي ، المرجع السابق ، ص 25

وقال تعالى : { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {20} اتَّبِعُوا مَنْ

لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ {21} وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (١)

وقد جاءت العديد من الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء تجلت فيها الحكمة في الدعوة إلى

الله وفي مخاطبة أقوامهم ، كل حسب منزلته وثقافته ، وأخذهم بالرفق واللين ، وأخيرا إنزال

العقوبة المناسبة لمن أبى الدعوة وحاربها .

المطلب الثالث

الأحاديث الشريفة التي تبين الحكمة وتحت عليها

وأما ما جاء في الأحاديث الشريفة فبعضها جاء لفظها صريحا ، وبعضها جاء دالا على

الحكمة .

" فعن عبد الله بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه

الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٢)

والمؤمن يتبع الحكمة ويأخذها أين وجدها وهو أحق بها من غيره لأنه يحسن استخدامها

" فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل شيء شرة (٣) ولكل شرة فترة فإن

كان صاحبها سدد وقارب فازجوه وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه " . (٤)

" وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا

حسب كحسن الخلق " . (٥)

١ . سورة يس / آية 20 - 25

٢ . البخاري / ج 1 / العلم / (15) الاعتبار في العلم والحكمة / 73 ، ص 57 - ص 58

٣ . الشرة : الشرة والشهران : الحريص ، الأندلسي مختصر العين / ج 2 ، ص 356

٤ . الترمذي / صفة القيامة والرفائق والورع / ما جاء في صفة أواني الحوض / 2453 ، ص 553 ، حقه الألباني وقال حديث حسن قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح غريب ، { " المشكاة " (5325 / التحقيق الثاني ، " التعليق الرغيب " 46 / 1 ، " الظلال " 1 /

{ 28

٥ . البوصيري / زوائد ابن ماجه / الزهد / (24) الورع والتقوى / 4218 ، ص 300

المطلب الرابع

أقوال العلماء في الحكمة

الحكمة : حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ويتابع " إذ من قوة العقل يحصل حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأي ، وإصابة الظن والتفتن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ... " والحكمة لها طرفان إفراطها يسمى خبثاً ويسمى تفریطها بلها . (١)

والحكمة : " هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق شرط اجتناب حماقات وتذليل العقبات بوضع الأشياء في موضعها وإعطاء كل أمر ما يناسبه " . (٢)

" وهي إدراك الحقائق والنظر في العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد ومحلها العقل . (٣) و نستخرج من ذلك أن أي أمر من أمور حياتنا وإن كان محموداً في ذاته وخلا من الحكمة في كيفية استخدامه وموعد استخدامه لم يؤد الثمار المرجوة منه وكان بذلك بعيداً عن الحكمة إلى أحد طرفيها . فالشجاعة في ساحة القتال ضد الأعداء محمودة ، وأما استخدامها في المشاجرة وخصام المسلمين فهي مذمومة .

" والحكمة نوعان : قولية و فعلية : فالقولية قول الحق ، والفعلية فعل الصواب ، وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها وأصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها من عند الله " فحكمة الرسل هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح لإصابة الحق اعتقاداً وقولاً وعملاً".

١ . الغزالي ، إحياء علوم الدين /ج3، ص178
٢ . العاني ، زياد محمود ، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ، ص 17 ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، 1420 هـ - 2000 م)
٣ . كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ص24

وفي بيان تمييز النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء أن الله أعطاه جوامع الحكمة في حين فرقها بين الأنبياء ، " وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله وجمعها لمحمد صلى الله عليه وسلم " . " فلو جمعت كل حكمة في العالم من كل طائفة لكانت في الحكمة التي أوتيها صلوات الله وسلامه عليه جزءا يسيرا جدا لا يدرك البشر نسبته " (١).

المطلب الخامس

مظاهر الحكمة

الإسلام دين واضح جلي تُعرض كل أحكامه وتعليماته وأصوله وفروعه على الناس جميعا ، و يعلن بشكل صريح أنه لن يكره أحدا على الدخول في الدين ، ويأمر المسلمين أن يتبعوا أفضل السبل لنشر الدين على الناس ، وأفضل السبل الرفق واللين والحلم والإقناع الهادئ بالأدلة العقلية والعلمية . (٢)

من مظاهر الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى :

الفرع الأول : بعد النظر في عواقب الأمور

فعلى المسلم أن يتروى قبل الإقدام على أي أمر من الأمور ويدرسها دراسة جيدة ويدرس نتائجها والفوائد والمفاسد الناتجة عنها ، وما أثرها على المسلمين **قال تعالى** : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } (٣) (٤) فيجب على المسلمين أن يدعوا إلى الله بالحكمة وأن يتأنوا في نشر الدعوة ويعلموا أن لكل مكان أسلوب يختلف عن المكان الآخر ، وأن الجرأة في غير موضعها تكون تهورا ، فالحكمة مطلوبة في جميع المواقف ، ومع جميع الفئات ، ومنها على سبيل المثال تربية النشء : فالأب المسلم

١. ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ص 613 ، ص 614

٢. الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 67 ، ص 68

٣. سورة النحل / آية 125

٤. العاني ، أساليب الدعوة الإسلامية ، ص 19

معني بالخطاب في تربية أبنائه، فالأبناء أولى بالدعوة من غيرهم وأسلوب الدعوة مضمون النتائج وخاصة في المراحل الأولى من عمر الطفل ، وتأتي أهمية هذا الأسلوب بسبب سرعة النتائج وذلك لاعتماده على مخاطبة الوجدان والإقناع العقلي ، (١) فإذا اعتنينا بعمر الطفولة هيأنا جيلاً قادراً على أعمال عقله في كل ما يعرض عليه من أمور .

الفرع الثاني : المجادلة بالحسنى

قال تعالى: { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٢) فأقر الإسلام مبدأ المجادلة بشرط أن تكون بالحسنى ، وسأقت لنا الآيات الكريمة مجادلة الأنبياء مع أقوامهم قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } (٣).

الفرع الثالث : الحلم والأناة

فقد دعا الإسلام إلى الحلم وكبح جماح النفس والتغلب على شهوة الغضب والسيطرة على الانفعال ، (٤) والحكمة في وزن الأمور التي يتعرض لها المرء ، وسبيل ذلك كله الصبر " إذ الحلم هو الأناة والتثبت في الأمر وما يلزم ذلك من ضبط للنفس عند الغضب ، وكظم للغضب ، وعفو عن السيئة " (٥) ، وفي حث النبي صلى الله عليه وسلم على التحكم بالعواطف والانفعالات قال : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

١ . الديسي ، التربية الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي ، ص 319

٢ . سورة النحل / آية 125

٣ . سورة إبراهيم / آية 6

٤ . عفيفي ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص 266

٥ . الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ص 390

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِلَّا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ

الْغَضَبِ " . (١)

فالحلم يدل على قوة ضبط النفس والسيطرة عليها عند الغضب وعدم الاستجابة لاستفزاز أحد " .

(٢)

وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم والأناة ، وبين ثوابهما عند الله تعالى " فَعَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ

وَالْأَنَاءُ " (٣)

والحلم فضيلة تقع بين رذيلتين متباعدتين في طرفين متقابلين فمن جانب الإفراط يظهر التسرع

في الأمور والاستعجال والاستجابة السريعة للمؤثرات ، وفي جانب التفريط يظهر التكاثر

والإهمال وتلبد الطبع ، " ولما كان الحلم هو الفضيلة الخلقية التي تأتي بخير ، وتدل على

سلامة المزاج واعتداله ، وعدم جنوحه ذات اليمين وذات الشمال ، كان ما يتجاوزها منافيا له

ونقصانا خلقيا لا يأتي بالخير المطلوب " فالذي جعل الحلم فضيلة هو اعتداله ووسطيته

ومسايرته للعقل السليم والفترة السوية وما خرج عنه إلى غيره ضرر وأفسد وخرج من دائرة

الفضيلة . (٤)

ومن آثار الحلم ما ورد من أخبار المسلمين الأوائل الذين تجملوا بالأخلاق الرفيعة ، وبالحلم حين

يحسن الحلم وحين يكون فضيلة ، فصانوا ألسنتهم وأيديهم عن فعلة السوء ، وعن روح الانتقام ،

^١ . رواه البخاري / ج 8 / الأدب / الحذر من الغضب ، ص 34 ، رواه مسلم / البر والصلة والأدب / فضل من يملك نفسه عند الغضب / 2609 ، ص 1297

^٢ . العاني ، أساليب الدعوة والتربية ، ص 358

^٣ . رواه مسلم / الإيمان / (6) الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع دينه والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه / 17 ، ص 35 ، رواه الترمذي / ج 4 / البر والصلة ، / ما جاء في التائي والعجلة / 2011 ، ص 322 ، حققه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن صحيح غريب ، وحققه الألباني وقال: حديث صحيح ، ص 455 ، { " ابن ماجه / 4188 " }

^٤ . الميداني ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ، بتصرف ، ص 392-293

فدانت لهم الرقاب وخضعت لهم الأمم ، واطمأنت لحكمهم الشعوب ، واستمالوا بها أعداءهم .^(١)
 وبالحلم تجمع القلوب وتذيب الإحن^(٢) وتعطي قدرا كبيرا من الصلابة في مواجهة أشد المواقف
 وأحلكتها ، وفي قصة يوسف مع أخوته نرى الحلم في العفو والصفح عنهم إذ قال الله على لسان
 يوسف عليه السلام : { قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }^(٣) ،
 وقال تعالى : { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }^(٤)

الفرع الرابع : مراعاة جوانب شخصيات المدعويين .

الفرع الخامس : الترجيح بين المصالح والمفاسد .

الفرع السادس : اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب .

الفرع السابع : أخذ الحذر والحيطه في نشر الدعوة :

فالمؤمن يتعلم من أخطائه ويأخذ حذره في كل خطوة يخطوها .^(٥) " فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يُدْعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ

وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ " .^(٦)

^١ . عفيفي ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص268

^٢ . الإحن : الحقد والضغينة ، المعجم الوسيط ج 1 ، ص8

^٣ . سورة يوسف / آية 92

^٤ . سورة الشورى / آية 40

^٥ . العاني ، أساليب الدعوة الإسلامية ، ص19 وما بعدها

^٦ . البخاري / ج4 / الأدب/ (83) لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين / 6133 ، ص184 ، ورواه مسلم في صحيحه " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين / الزهد والرقائق / (12) باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين / 2998 ، ص1476

السمة السادسة

الاستقامة

الاستقامة من سمات الوسطية التي اعتبرها الفقهاء والعلماء ويقصد بها : استقامة المنهج والبعث عن الميل والانحراف ، وقد عبر عنها القرآن الكريم بالصراط المستقيم ، ونبيه المسلم أن يأخذ حذره من تطرف اليهود والنصارى وأمره أن يلتزم المنهج الوسط .^(١)

" الوسطية استقامة ، ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافا ، والانحراف إما إفراط وإما تفريط ، وذلك ضد الوسطية " .^(٢)

المطلب الأول

تعريف الاستقامة

الاستقامة لغة : تقال في الطريق الذي يكون على خط مستو وفيه شبه طريق الحق نحو " اهدنا الصراط المستقيم " واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم ، والإقامة في المكان : الثبات وإقامة الشيء توفيه حقه .^(٣)

والاستقامة هي " الاعتدال في جميع الأمور من الأقوال والأفعال والمحافظة على جميع الأحوال التي تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها ... " ^(٤)

وقد قيل أن الاستقامة تعبير عن الوسطية الإسلامية " وهي كمفهوم ترتبط في الاستخدام القرآني بمفاهيم العدل والإيمان والأمانة والشهادة ، كما أنها ترتبط في اللغة بمفهوم "القيم" حيث يشتركان

^١ القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص124

^٢ العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص95 ، الصلابي ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص209

^٣ الزين ، معجم البيان الحديث ، ص726

^٤ زنتاتي ، الشيخ أحمد ، الهداية إلى الصراط المستقيم ، ص227 ، دار الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م

في الجذر اللغوي " وبهذا يتضمن مفهوم الاستقامة أخلاقية العلم ، كما يعبر عن أخلاقية

المفاهيم الإسلامية من ناحية أخرى ومرجعيتها وضبطها للواقع . (١)

والميزان الذي تقاس به الاستقامة ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فمن ابتعد

عن السنة إما أن يكون مفرطاً أو مبتدعاً أو جاهلاً " فالميزان الذي يعرف به الاستقامة على

الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله وأصحابه عليه والجاثر عنه إما مفرط ظالم ، أو

مجتهد متأول ، أو مقلد جاهل " وكل منهم يحاسب على نيته ، ومقصده ، ومقدار طاعته لله

ورسوله أو تفريطه بحقهم . (٢)

والإيمان لا يكون صحيحاً ولا كاملاً ولا مستقيماً إلا إذا استقام القلب فباستقامة القلب يستقيم

الإيمان وباستقامة الإيمان تتحدد شخصية المسلم في سائر عبادته ومعاملاته وسلوكه ويتم

صلاح سائر جسده ، من منطلق العقيدة الصحيحة يتجه مسار شخصية المسلم اتجاهاً واحداً

مستقيماً لا عوج فيه ولا شائبة حوله وهو يردد في أعماقه { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ { (٣) (٤) فالصراط المستقيم هو أموراً باطنة في القلب : من اعتقادات ،

وإرادات ، وغير ذلك ، وأموراً ظاهرة : من أقوال ، أو أفعال قد تكون عبادات ، وقد تكون عادات

، " وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة ، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال

يوجب أموراً ظاهرة ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال ، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً " . (٥)

المطلب الثاني

١ . الإنترنت ، موقع إسلام أون لاين ، مقالة الاستقامة ، أ . هبة رؤوف عزت ، 2001/7/3م ، ص1

٢ . الجوزية ، إغاثة للهفان ، ص139

٣ . سورة الفاتحة / آية 5

٤ . هاشم ، الإسلام وبناء الشخصية الإسلامية ، ص9

٥ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج1 ، ص92

حقيقة الاستقامة في القرآن الكريم

ومما جاء في القرآن الكريم عن الاستقامة :

قوله تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } . (١)

وقال تعالى : { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } . (٢)

وقد أنشأ الله على المستقيمين وبالغ في إكرامهم ومنحهم أعظم ما يحتاجون إليه يوم الفزع الأكبر

من رؤية ما أعد لهم من النعم ... (٣)

وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } . (٤)

وجاء في موضع آخر جزاء المؤمنين الذين استقاموا على شرع الله ، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {13} أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ

فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٥)

وقال تعالى : { وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } (٦)

وهكذا بينت الآية الكريمة ما أعده الله للمستقيمين من واسع فضله وجزيل عطائه من الخير

الجامع والرزق الواسع ، فكانت الاستقامة مدرة للرزق موسعة له ومما يؤيد ذلك ما جاء في قوله

تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٧) (٨)

١. سورة هود / آية 112

٢. سورة الشورى / آية 15

٣. زناتي ، الهداية إلى الصراط المستقيم ، ص 227

٤. سورة فصلت / آية 30

٥. سورة الأحقاف / آية 13 ، 14

٦. سورة الجن ، آية 16

٧. سورة الأعراف / آية 96

٨. زناتي ، الهداية إلى الصراط المستقيم ، ص 229

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية التي تحت على الاستقامة

جاء المنهج النبوي حاثا المسلمين على الاستقامة في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية ، في السر والعلن ، في علاقتهم مع ربهم وعلاقتهم مع الناس .

" فَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْفُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبَقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا " . (١)

" وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرِكَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ " . (٢)

" قال القاضي عياض رحمه الله : هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى : { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } أي وحدوا الله ، وآمنوا به ، ثم استقاموا فلم يحددوا عن التوحيد ، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك ... وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : { فاستقم كما أمرت } ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قالوا : قد أسرع إليك الشيب فقال : " شيبتي هود وأخواتها " . (٣) وقد نقل النووي النووي ما أورده الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته ومما جاء فيها : الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده . قال : وقيل : الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهود ومفارقة الرسوم والعادات ، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق . ولذلك قال

^١ . رواه البخاري / ج 4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / (2) الاقتداء بسنن النبي صلى الله عليه وسلم / 7282 ، ص 574

^٢ . رواه مسلم / الإيمان / (13) جامع أوصاف الإسلام / 38 ، ص 45

^٣ . أخرجه النووي في تفسير صحيح مسلم / م 1 / ج 2 ، ص 8

صلى الله عليه وسلم : " استقيموا ولن تحصوا " . وقال الواسطي الخصلة التي بها كملت

المحاسن ، وبفقدتها قبحت المحاسن والله أعلم " . (١)

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم خطورة اللسان وحث على ضبطه فباستقامت هتستقيم حال

المسلم " فعن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّقَعِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ قُلْ

رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْ وَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِي نَفْسِي ثُمَّ قَالَ هَذَا "

(٢)

" قل ربي الله ثم استقم " : هو لفظ جامع لجميع الأوامر والنواهي ، فإنه لو ترك أمراً أو فعل

منهيا فقد عدل عن الطريق المستقيمة حتى يتوب ومنه { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا {

فإن من رضي بالله ربا يؤدي مقتضيات الربوبية ويحقق مرضيه ويشكر نعماءه " . (٣)

" وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَنَقُولُ اتَّقِ

اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا " . (٤)

" وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيَّةَ

الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ " . (٥)

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ

أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ " . (٦) " والاستقامة اتباع الحق والقيام بالعدل

وملازمة المنهج المستقيم من الإتيان بجميع المأمورات والانتهاة عن جميع المناهي وذلك خطب

١ . أخرجه النووي في تفسير صحيح مسلم / 1م / ج2 ، ص8

٢ . رواه الترمذي / ج4 / الزهد / (60) ما جاء في حفظ اللسان / 2410 ، ص332 ، حقه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن صحيح

، وحقه الألباني وقال حديث صحيح ، ص543 " وقد روي من غير وجه عن سفیان بن عبد الله الثقفي { " ابن ماجه " (3972) {

٣ . أخرجه المباركفوري / تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي / ج7 / أبواب الزهد / ما جاء في حفظ اللسان / 2522 ، ص77

٤ . رواه الترمذي / الزهد عن رسول الله / ما جاء في حفظ اللسان / 2407 ، ص542 ، حقه الألباني وقال حديث حسن [" الصحيحة

" (888)]

٥ . رواه الترمذي / ج4 / البر والصلة عن رسول الله / (55) معاشره الناس / 1987 ، حقه الذهبي قال أبو عيسى حديث حسن صحيح

، ص312 ، وحقه الألباني وقال: حديث حسن، ص451 { " المشكاة / 5083 ، الروض النضير / "855" } ،

٦ . رواه ابن ماجه / الطهارة وسننها / (4) المحافظة على الوضوء / 278 ، حقه الألباني وقال حديث صحيح ، ص66 ، " الإرواء (2 /

عظيم لا يطيقه إلا من استضاء قلبه بالأنوار القدسية وتخلص عن الظلمات الإنسية وأيده الله تعالى من عنده وقليل ما هم فأخبر بعد الأمر بذلك أنكم لا تقدرون على إيفاء حقه والبلوغ إلى غايته " وبين ذلك في الحديث قوله " (ولن تحصوا) أي ولن تطيقوا وأصل الإحصاء العدل والإحاطة به لئلا يغفلوا عنه فلا يتكلموا على ما يوفون به ولا يبأسوا من رحمته فيما يذرون عجزا وقصورا لا تقصيرا وقيل معناه لن تحصوا ثوابه والله تعالى أعلم " ثم بين لهم أنهم إذا لم يطيقوه فيلزموا الأوامر وأهمها "وهي الصلاة الجامعة لأنواع العبادات القراءة والتسبيح والتهليل والإمساك عن كلام الغير " (١).

فالاستقامة أمر صعب لأنها تجمع الصواب والسداد في الظاهر والباطن ، فدعا الحديث إلى الاستقامة ومن لم يقدر عليها دعاه إلى المقاربة حسب طاقته. (٢)

والحقيقة أن الاستقامة على الصراط المستقيم في غاية الغموض فهي أحد من الشعرة وأي تجوز عنها يعتبر خروج عن الاستقامة ويقاس ذلك الميل بحسب القرب أو البعد عنه ، فمن استطاع أن يجتازه في الدنيا جاز له أن يجتازه في الآخرة ، وأي ميل من العبد عن الصراط كان ذلك ميل إلى النار بحسب قربه أو بعده عن الصراط قال تعالى : { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } {71} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } (٣) ومن أجل عسر الاستقامة وجب علينا أن ندعو الله في اليوم سبع عشرة مرة في قولنا " اهدنا الصراط المستقيم "

وقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبنتي هود وأخواتها فلم قلت ذلك؟ قال عليه السلام لقوله تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } (٤)

١ . السندي في شرح سنن ابن ماجه / ج 1 / الطهارة وسننها / المحافظة على الوضوء ، ص 119 ، أخرجه البوصيري ، الزوائد / 1م / الطهارة وسننها / خير العمل الصلاة / 114 ، رجال إسناده ثقات أثبات إلا أن فيه انقطاعا بين سالم وثوبان فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ولكن أخرجه الدارمي وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلا ، ص 122
٢ . الجوزية ، تهذيب مدارج السالكين / ج 2 ، ص 332
٣ . سورة مريم / آية 71
٤ . سورة هود / آية 112

فعلى المسلم أن يجتهد في القرب من الاستقامة فلا ينجو أحد إلا بالعمل الصالح فليتفقد كل من أعماله وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد^(١) ليصل في النهاية إلى الاستقامة على الحق فإن لم يصل لحقيقته فليقترب منه قال تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا }^(٢) وقال تعالى : { قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }^(٣)

المطلب الرابع

علاقة الاستقامة بالوسطية

واختم حديثي عن الاستقامة ببيان علاقة الاستقامة بالوسطية وإظهار حقيقة الاستقامة : فالمطلوب من العبد المسلم الاستقامة وهي السداد ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، فإن خرج عنها فذلك هو التفريط والإضاعة ،^(٤) وقد جاء في الحديث الشريف ما يبسر على المسلمين " فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " .^(٥) فالاستقامة كلمة جامعة ، آخذة بمجامع الدين . وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء " .

والاستقامة عند الشيخ الهروي : هي " الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد لا عاديًا رسم العلم ولا متجاوزًا حد الإخلاص ولا مخالفًا نهج السنة " ، فكل الخير في اجتهاد باقتصاد وإخلاص مقرون بالاتباع " .

^١ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 190

^٢ . سورة التغابن / آية 16

^٣ . سورة يونس / آية 89

^٤ . الجوزية ، تهذيب مدارج السالكين / ج 2 ، ص 332

^٥ . البخاري / ج 4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / (2) الاقتداء بسنن النبي صلى الله عليه وسلم / 7288 ، ص 576

والاستقامة : " درجة تتضمن ستة أمور عملا واجتهادا فيه ، وهو بذل المجهود واقتصاد : وهو

السلوك بين طرفي الإفراط وهو الجور على النفوس والتفريط بالإضاعة ووقفا مع ما يرسمه

العلم . (١)

^١ . الجوزية ، تهذيب مدارج السالكين ، ص332 - 333 ، وقد نقل عنه ناصر العمر ، الوسطية في القرآن الكريم ، ص 99 ، والصابي في رسالته من ص 211 ، ص214- ص216

السمة السابعة

الخيرية

الخيرية من أهم ضوابط الوسطية الإسلامية ومن أهم السمات التي تحف بها ، ولا وجود للوسطية الإسلامية بدون خيرية .

المطلب الأول

تعريف الخيرية

الخيرية من الفعل خار بمعنى جعل له فيه الخير ، واختاره بمعنى انتقاه واصطفاه ، وخير بين الأشياء فضل بعضها على بعض (١) ، وقد جاءت الخيرية من المعاني اللغوية للوسطية ، فقال

بعض اللغويين الوسط بمعنى الخيار لأن الخير يكون في الوسط ومنه قول الشاعر

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

المطلب الثاني

الأدلة الشرعية التي تبين حقيقة الخيرية

ومما أثبتته الله تعالى من خيرية لهذه الأمة قوله تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (٢) فأبرز الله تعالى من أوصاف خيرية هذه

الأمة أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وهي أول قاعدة في بناء الفرد المسلم والأمة

الإسلامية . (٣) " فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قَالَ خَيْرَ

النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ " . (٤)

١. أنيس ، المعجم الوسيط / ج1، ص264

٢. سورة آل عمران/ آية 110

٣. الميداني ، عيد الرحمن حسن حبنكة ، الأمة الربانية الواحدة ، ص 80 ، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق ، ط 1 ، (1403هـ -

1983م)

٤. رواه البخاري / ج 3/ تفسير القرآن / (7) كنتم خير أمة للناس / 4557 ، ص340

" فإنه إذا تحقق الإيمان بمعناه الشامل المتكامل ، وجاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحوطه وبحرسه ، فإننا نرى الخيرية التي أخبرنا الله بها ماثلة أمام أعيننا لا يزيغ عنها إلا هالك " (١).

وفي إثبات النبي صلى الله عليه وسلم خيرية هذه الأمة " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ قَالَ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَّمِ " . (٢)

وأيضاً مما جاء في إثبات خيرية هذه الأمة : " عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَعُونَ وَيَطْهَرُونَ فِيهِمُ السَّمَنُ " . (٣)

وقد اصطفى الله تعالى لحفظ كتابه وسنة رسوله ولنشر هذا الدين في الناس أجمعين أمة الإجابة لدعوة الرسول الخاتم ، فأورثهم الكتاب وحملهم أمانة التبليغ ، وجعل منهم طائفة متمسكة بدينها ، تحمل راية الإسلام خلفاً عن سلف ، وأمة الإجابة : هم كل من آمن بخاتمة الرسالات السماوية من كل شعوب الأرض ، ويبرز منهم على القمة الأئمة المتقين ، الموصوفين بأنهم عباد الله فيتسلم راية الدعوة جيل عن جيل ، حتى تنتهي ظروف امتحان الناس في الحياة الدنيا . (٤)

^١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 94

^٢ . رواه الإمام أحمد / ج 2 / مسند العشرة المبشرين بالجنة / مسند علي بن أبي طالب / 673 ، حققه شعيب الأرنؤوط وقال: حديث حسن ، ص 156

^٣ . رواه البخاري / ج 2 / الشهادات / لا يشهد على شهادة جور إذا شهد / 2651 ، ص 348 ، وفي رواية أخرى في نفس الباب / 2652 ، ص 348 ، ووردت عدة روايات في البخاري منها / ج 3 / المناقب / (1) فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم / 3650 ، ص 5 ، ورواية مسلم / فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم / (53) فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم / حديث 2534 ، ص 1263 " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يُعْتَبُ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّلَاثُ أَمْ لَا قَالَ ثُمَّ يَخْلَفُ قَوْمٌ يُجِئُونَ السَّمَانَةَ يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَا أَدْرِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ،

^٤ . الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ج 1 ، ص 25 ، ص 26 ، دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، (1417هـ - 1996م)

فالأمة الإسلامية بحكم منهجها وغايتها استحققت أن تكون خير أمة ، فمنهجها قائم على العدل والقسط ، وغايتها إسعاد الناس . (١)

قال تعالى : { وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢)

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٣) {77} وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِيُكْمَلَ إِبرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (٤)

فالآية الكريمة تؤكد أن اجتناب الله للأمة الإسلامية الوسط ، إكرام واصطفاء إلهي من جانب وبناء على الخصائص المتفوقة التي تميزت بها من جانب آخر . (٤)

عَنْ بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قَالَ إِنَّكُمْ تَتَمُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ . (٥)

ومن مظاهر خيرية الأمة الإسلامية أنها تشهد على جميع الخلائق يوم القيامة ، فإله تعالى جعلها أمة وسطا عدلا فبذلك استحققت أن تكون خير الأمم للشهادة عليهم " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغْتُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ

١ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 119

٢ . سورة آل عمران / آية 104

٣ . سورة الحج / آية 77-78

٤ . الأميري ، وسطية الأمة الإسلامية ، ص 57

٥ . رواه الترمذي / تفسير القرآن عن رسول الله ، " ومن سورة آل عمران / 3001 ، ص 672 ، حققه الألباني وقال حديث حسن ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن [ابن ماجه (4287)]

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وَالْوَسْطُ

الْعَدْلُ " . (١)

ومن مظاهر الأمة الإسلامية أنها أمة خالدة إلى يوم الدين " فعن الْمُعِيزَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ "

(٢) وقد أظهر لنا الحديث أن خيرية هذه الأمة اكتسبتها بسبب وجود طائفة منها في كل جيل

تكون ظاهرة ظهور بيان ودعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، فتؤدي على مقدار

استطاعتها ما أوجب الله على هذه الأمة من تبليغ دينه ودعوة الناس إليه ، وهذه الطائفة لا

تخشى من خالفها أو خذلها فيثبطها عن القيام بوظيفتها التي حملها الله الأمة الإسلامية

المحمدية . (٣)

وإذا نظرنا في مقاصد الشريعة الإسلامية نرى أنها تدعو للخير وأن من أهم مقاصدها رفع المشقة

والحرج ، ورفع الضرر، وارتكاب اخف الضررين وغيرها من القواعد الدالة على الخير في الدنيا

والآخرة .

فشريعتنا شريعة خير بكل ما تحمله من معاني للفرد والمجتمع ، للكبير والصغير ، للذكر والأنثى

، للحاكم والمحكوم ، للصديق والعدو

^١ . رواه البخاري / ج 3 / تفسير القرآن / (13) وكذلك جعلناكم أمة وسطا / 4487 ، ص 313
^٢ . البخاري / ج 4 / الاعتصام بالكتاب والسنة / (10) قول النبي لا تزال طائفة من أمتي / 7311 ، ص 585
^٣ . الميداني ، فقه الدعوة إلى الله / ج 1 ، ص 29

السمة الثامنة

البينية

ونختم سمات الوسطية بالبينية وهي من أهم السمات ولا وجود للوسطية الإسلامية دون وجود البينية والخيرية فيها وهذا ما لمسناه في حديثنا عن السمات السابقة ، فكل بين (وسط) يمثل منطقة الأمان ، فالانحراف يكمن بالأطراف ، وكلما اقتربنا من الأطراف زدنا بعدا عن منطقة الأمان وإطلاق لفظ البينية يدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء ويكون ذلك إما حسا أو معنى ^(١) ولكن لا يفهم من ذلك أن البين فقط هو المعتبر في الوسطية الإسلامية بمعزل عن السمات الأخرى بل هو يسير معها جنبا إلى جنب وهذا ما وضحناه في حديثنا عن تعريف الوسطية فالتلازم قائم بين البينية والخيرية ، وهذا مؤيد بالنص القرآني **قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }** فالوسط بمعنى العدل وتأتي بمعنى "بين" ، والعدل البين هو الخير . " وبهذا تكون البينية صفة مدح لا مجرد ظرف عابر". ^(٢)

المطلب الأول

حقيقة البينية

اجتمع العقلاء والحكماء على حب التوسط في الأمور كلها وكراهية التطرف لذلك يرى الكثيرون منهم أن القرآن الكريم امتدح أمة الإسلام وجعلها على الطريق المستقيم ولم يجعلها من المغضوب عليهم المتشددين ولا من الضالين المتساهلين . ^(٣)

^١ . العمر ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، ص 117

^٢ . العمر ، المرجع نفسه ، ص 117

^٣ . الرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 60

"والوسطية في الإسلام هي حدود لمنهج الحركة في طريق مستقيم إلى الهدف ، بعيد عن انحرافات في سبل شتى تؤدي للضلال " وحقيقة الوسط ليس هو أنصاف حلول وليس هو نقطة بين طرفين كما صور أرسطو ، إنما من معانيه الحسن ، الفضل ، الاعتدال ، القصد ، الحكمة ، الاستقامة ، إنه صراط الله المستقيم محدد بمعالم ومنتجه إلى غاية . (١)

والبينية تتمثل بالاعتدال في جميع جوانب الحياة ، فالدين الإسلامي وسط بين النصرانية واليهودية ، وهذا ما أقرته الآيات القرآنية **قال تعالى** : "اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (٢)

المطلب الثاني

مظاهر البينية

الفرع الأول : الجانب العقائدي

كان الدين الإسلامي وسط بين النصرانية واليهودية . بين إفراط النصارى وتفريط اليهود . ففي إعطاء الله حقه : " كانت اليهود تصف الله بالنقائص فتلحقه بالمخلوق ، وكانت النصارى تلحق المخلوق الناقص بالرب الكامل . أما أمة الإسلام فلم تصف الرب بالنقائص ولم تلحق المخلوق به " وفي حق الأنبياء : كذبت اليهود عيسى عليه السلام وكفرت به . وغلت به النصارى حتى جعلته إليها أما الأمة الإسلامية فأمنت به بدون غلو ، وقالت هو عبد الله ورسوله . كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم فكذلك أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق الأخرى " بل هم وسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم " . (٣)

١ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 127

٢ . سورة الفاتحة / آية 5 - 8

٣ . العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، ص 438

ففي صفات الله تعالى كان أهل السنة والجماعة وسط بين المعطلة والمشبهة " فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة " (١) الذين قالوا " نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين ، فنأخذ بالحق في التنزيه ، فلا نمثل ونأخذ بالحق في جانب الإثبات فلا نعطل ، بل إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، فهم وسط بين طائفتين متطرفتين : طائفة غلت في التنزيه وهم أهل التعطيل والجهمية وغيرهم ، وطائفة غلت في الإثبات وهم الممثلة . (٢)

وأهل السنة وسط بين القدرية والجبرية في باب أفعال الله " وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية " . وهم وسط " في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم " . وهم وسط " في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية " . وأخيرا هم وسط " في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج " . (٣)

الفرع الثاني : البينية المكانية

جاء في المعنى اللغوي للوسطية أنها تعني البينية المكانية وقد أخذ كثير من العلماء هذا المعنى للتعبير عن الوسطية وقد ناقشنا أقوالهم في مبحث أقوال الفقهاء والأصوليين في الوسطية الإسلامية ، ومنها " وقد كان من تدبير الله الحكيم العليم في هذه الأمة أن جعل وسطيتها في كل مجال " فهي في موطن الرسالة الأولى ، وفي ساحتها الحضارية في مناخ وسط محتمل وجو مسعف . (٤) وهي في موقعها الجغرافي المهم حيث كانت مهابط الوحي ، أرض الإسلام ومهد الأمة الإسلامية الأولى ملتقى الجهات ومجمع القارات واليابسة التي تحفها مسالك المواصلات المائية إلى جل العالم ، فهي الوسط بين الشمال والجنوب ، والشرق والغرب وهي مركز الوصل

^١ . تحدثنا عن هذه الفرق في مبحث سابق ص 149

^٢ . العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، ص 439- ص 441

^٣ . العثيمين ، المرجع نفسه ، من ص 441 - ص 447 ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتب أصول العقيدة : العقيدة الواسطية ، العقيدة الطحاوية

^٤ . الأميري ، وسطية الإسلام وأمته ، ص 59- ص 61

بين إفريقيا وآسيا وطرف ممتد من أوروبا وهي الرباط البري بين الطرق المائية . وقد كشف بعض العلماء المسلمين مؤخراً أن مكة المكرمة وفي قلبها البيت الحرام هي مركز الكرة الأرضية (١) .

واستغرق الوصول إلى هذه الحقيقة الجديدة سنوات عديدة من البحث العلمي، بالاعتماد على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة، استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي.

" ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب، فيذكر أنه بدأ البحث بهدف مختلفٍ تماماً، حيث كان يجري بحثاً للوصول إلى وسيلة تُساعد في تحديد القبلة من أي مكان في العالم، ولذا فكّر في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها، وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة، ورسم عليها القارات الخمس، وجد أن مكة المكرمة تقع في وسط العالم، وأمسك بيده (فِرْجَالاً)، ووضع طرفه على مدينة مكة، ومَرَّ بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً.

كما أعدّ خريطة للعالم القديم قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا، وكرّر المحاولة السابقة، وإذا هو يكتشف أن مكة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام .

ويضيف الدكتور حسين كمال الدين: " لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض، عن مدينة مكة، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات

^١ . الأميري ، وسطية الإسلام وأمته ، ص 59-ص 61

الرياضية المعقدة، بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، وكذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض لهذا الإسقاط الجديد.

وهكذا نرى أن الله تبارك وتعالى فضل مكة وكرمها حين جعلها مركز جذب الإشعاعات الروحية ، مركزا يحج إليه المسلمون من كل فج عميق ، وشاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يوضع أول بيت للناس لعبادته وحده لا شريك له في مكة ، فهي وجهة الناس ومنتجههم في الحج والعمرة وهي ذات موقع متوسط في العالم إذ أنها تمثل المعنى والمفهوم الجغرافي لوسطية الأمة الإسلامية كما قال تعالى : **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** . (1)

وهي وسطية في الإسلام شاملة المعاني ، وسطية في التمتع بطيبات الحياة دون إفراط أو تفريط ، وسطية في الأمور العامة والخاصة فلا تبذير ولا تقتير ، ثم أنها وسطية بالموقع والمكان ولذلك اختارها الله تبارك وتعالى لتكون مهبط خاتم رسالاته . ومكة كما هو معروف تحتل موقعا متميزا منذ أقدم العصور ، وهي حتى الآن منطقة عبور القوافل (2) قال تعالى : **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** (3)

الفرع الثالث: البينية في الأخلاق

تتجلى البينية واضحة في صفات المسلم . ليكون بذلك أمة وسطا ، ويكون خير أمة أخرجت للناس ، ويكون شهيدا على الناس . فمن الصفات التي تبرز فيها شخصية المسلم (العدل) فلا يظلم ولا يتخاذل ، (الحكمة) في جميع أحواله في الرخاء والشدة ، فهو يستطيع التحكم بمشاعر

¹ . سورة البقرة / آية 143
² . www. Khayma. Com ، فضل مكة على سائر البقاع
³ . سورة الأنعام / آية 124

الفرح والحزن والغضب ، فهي بينية . وسط . فلا يفرح كثيرا ولا يحزن كثيرا . وقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أروع المثل في الاعتدال الذي يتسم بالحق والخير والسمو ، ففي حالة السرور أو الحزن ، وفي المشاعر الظاهرة أو الوجدانية كان صلوات الله وسلامه عليه يتسم بضبط النفس فإذا فرح بما يسرّ ابتسم ولم يقهقه ، وإذا تعرض لما يحزنه طوى الحزن في قلبه وكظم غيظه ، وإذا زاد حزنه لم يخرج عن اتزانه ولم يخرج عن طبيعته الطيبة ^(١) " والدين كله وسط وأميل إلى الرفق في جوهره من الأخلاق الكريمة الإسلامية والشمائل المحمدية في حياته صلوات الله عليه الشريفة وصفاته المنيفة " . ^(٢)

^١ . هاشم ، الإسلام وبناء الشخصية ، 12- ص 15
^٢ . الفرфор ، الوسطية في الإسلام ، ص 60

الباب الرابع : العودة إلى الوسطية الإسلامية

الفصل الأول : الثوابت والمتغيرات وعلاقتها بالوسطية الإسلامية

المبحث الأول : الثوابت

المبحث الثاني : المتغيرات

الفصل الثاني : أسباب الابتعاد عن الوسطية

السبب الأول : الجهل

السبب الثاني : إتباع الهوى

السبب الثالث : التعصب المذهبي والفكري

الفصل الثالث : آثار الابتعاد عن الوسطية الإسلامية

الفصل الرابع : واجب الأمة الإسلامية للعودة إلى الوسطية الإسلامية

تمهيد :

يمتاز المجتمع المسلم بظاهرة فذة تميزه عن سائر المجتمعات ، وهذه الظاهرة هي التوازن والوسطية وأجلى مظاهر التوازن التي امتاز بها الإسلام التوازن بين الثبات والتطور أو الثبات والمرونة فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع واضعا كلا في موضعه الصحيح .^(١)

وقبل البدء ببيان علاقة الثوابت والمتغيرات بالوسطية حري بنا أن نبين ما المقصود بالثوابت والمتغيرات وما المجالات التي تشملها وأدلة ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية .

فالمقصود بالثوابت والمتغيرات أولا : التفريق بين مواضع الإجماع والنصوص القاطعة التي لا تحل المنازعة فيها . حيث يعد الخروج عنها خروجا عن جماعة المسلمين . ، وبين موارد الاجتهاد التي لا تضيق فيها على المخالف لظنية مداركها ثبوتا أو دلالة لتكون الأولى وحدها هي معقد الولاء والبراء ، وتكون الثانية (موارد الاجتهاد) : ما توسع به السلف الصالح وتكلم فيه الناس بالبيئات والحجج العلمية ، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين .^(٢) وقد انقسم الفقهاء والعلماء في نظرتهم إلى الثوابت والمتغيرات إلى ثلاث فئات : فئة تشددت في إبراز الثبات والخلود في شريعة الإسلام وتوجيهاته حتى لنظن أنها شريعة جامدة وهذه فئة المغالين ، وفئة أبرزت جانب المرونة والتطور والتغير في أحكام الإسلام وتعاليمه حتى لنظن أنها لعبة نشكلها كيف نشاء وهذه فئة المفرطين ،^(٣) وبين الثبات المطلق والتغير المطلق برزت فئة وسط اعتدلت فأثبتت ما أثبتته القرآن والسنة النبوية بالأدلة القطعية وأما المتغيرات فتعاملت معها في إطار الثوابت كما شرع في القرآن والسنة النبوية .^(٤)

^١ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 203 - ص 304 ، صبري ، عكرمة ، الإسلام والتحديث ، ص 8 ، القدس ، ط 1 ، (1403هـ - 1983م)

^٢ . الصاوي ، د. صلاح ، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ، ص 38 ، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي ، مطابع أضواء البيان ، الرياض ، د. ط ، د. ت .

^٣ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 203 ، القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 78

^٤ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 78

المبحث الأول

الثوابت :

المطلب الأول

تعريف الثوابت

الثوابت : هي القطعيات ومواضع الإجماع التي أقام الله بها الحجة بيّنة في كتابه ، أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال فيها لتطوير أو اجتهاد ، ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها . (١)

" إنه الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الوسائل والأساليب ، الثبات على الأصول والكليات ، والمرونة في الفروع والجزئيات ، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية ، والمرونة في الشؤون الدنيوية العلمية " (٢) ، " فالأصول الكلية ثابتة خالدة ، شأنها شأن القوانين الكونية ، التي تمسك السماوات والأرض أن تزولا ، أو تضطربا ، أو تصطدم أجرامها " (٣) .
فالمهم إذا " التفريق بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة فتكون في الأولى صلابة الحديد وفي الثانية ليونة الحرير " (٤) .

فحقيقة الثبات كما بينها العلماء تقوم على أساس أنه ثابت ولكنه يسمح بالتطور داخله " هذه القواعد ليست ثابتة بالمعنى الذي يفهم منه أنها لا تسمح بنمو الحياة في إطارها ، ولكنها ثابتة بالقدر الذي لا يسمح للنمو أن ينحرف ... " فالشريعة ليست جامدة ولكنها ليست في نفس الوقت متقلبة ، فهي ثابتة في إطار نام متحرك ، ونعني بالثبات المتحرك تفصيل ما لا يتغير ، وإجمال

١ . الشافعي ، الإمام المطلبي محمد بن إدريس / 150 هـ - 204 هـ ، الرسالة ، ص 560 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ط ، 1309 هـ

٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 205

٣ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 78

٤ . القرضاوي ، فقه الأولويات ، ص 36

ما يتغير فنصل بذلك إلى الوسط بين الجمود والتحلل ، وهو خير طريق للوصول إلى الغايات والأهداف . (١)

المطلب الثاني

مجالات الثوابت

تمتاز الثوابت بأنها دائماً قليلة ومحدودة من ناحية الكم ولكنها ذات أهمية كبيرة من حيث الكيف ، لأنها تجسد وحدة الأمة وتميزها وقدرتها على الصمود محتفظة بمقوماتها الأصلية والفرعية . (٢)

ويكون مجال الثبات في " كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه " . (٣) فأصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية ، والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة وما كان كذلك فهو قطعي لا يحل تجاوزه . (٤)

ويقال في الفقه ما يقال في الأصول ، فالفقه الإسلامي ينقسم إلى منطقتين : إحداهما مغلقة ، وأخرى مفتوحة . فالمنطقة المغلقة هي التي لا يدخلها تغيير أو تطوير ، وهي منطقة الأحكام القطعية ، وهي التي من شأنها أن تحافظ على وحدة الأمة ، أما المنطقة المفتوحة فهي الأحكام الظنية ثبوتاً أو دلالة ، وهي معظم أحكام الفقه والتي يدخل فيها مجال الاجتهاد . (٥)

والأحكام نوعان : " نوع لا يتغير عن حالة واحدة وهو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ، ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجب وتحريم المحرمات والحدود المقدره بالشرع على الجرائم ونحو ذلك

١ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 134 ، ص 138

٢ . القرضاوي ، السياسة الشرعية ، ص 225

٣ . الشافعي ، الرسالة ، ص 560

٤ . الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة/ ج 1 ، ص 29

٥ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 78-79

فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه " (١) ، وأما الحالة الثانية فسنحدث عنها عند حديثنا عن المتغيرات .

وقد اعتبر الأصوليون والفقهاء الثوابت بمثابة مبادئ عامة تشمل قواعد عريضة للحياة وأصولا كلية تحدد الهيكل العام للمجتمع والطابع الشامل لوجه الأمة وتأتي هذه القواعد والأصول في الأقسام الثلاثة التي سيأتي ذكرها والتي تتصف بالديمومة والاستقرار والثبات بحيث لا تقبل تبديلا أو تغييرا فالزيادة على الأصول أو إنقاصها يؤدي بالضرورة إلى تبدل جذري في الطابع العام لحياة الأمة . (٢)

يقول الدكتور محمد الفرفور : إن الحقائق تنقسم إلى قسمين : حقائق أزلية وحقائق مجعولة بجعل جاعل وبين أن الحقائق الأزلية لها حدود ومفاهيم لا يمكن تجاوزها ، وأن أي نقص فيها أو زيادة ، يكون فيه من الباطل بمقدار الابتعاد عن الحقيقة . (٣) " ويوجد قسم من الحقائق تضيق مسافة حدودها ومقاديرها ، فلا نكاد ندرك لها مراتب أو درجات لهذه المراتب ، حتى يبدو لنا أنها قوالب لا تحتل المخالفة بأقل المقادير وأدناها فهي لا تنطبق إلا على ما يماثلها تماما " . (٤)

فالثبات أمر ضروري للوصول إلى النتائج المرجوة والمحمودة ، ولتحقيق العدل الإلهي الذي ارتضاه لعباده .

ومن المجالات أو الأقسام التي يدخل فيها الثبات ولا يكون لها وجود وكيان بغيره :

الفرع الأول : منها ما يتعلق بالعقائد أو ما يسمى قضايا الإيمان (٥) المتمثلة في التوحيد وإرسال

الرسول وإنزال الكتب وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث ، والجزاء في الآخرة ، (٦)

١ . الجوزية ، إغاثة اللفهان ، ص 327

٢ . صبري ، الإسلام والتحديث ، ص 9

٣ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 35

٤ . الفرفور ، المرجع نفسه ، ص 46-47

٥ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 42

٦ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 135 ،

ونظرة الدين إلى الله والكون والحياة والإنسان ، فالمحور الثابت في قضايا الإيمان تدور حول حقيقة الوجود الإلهي وأنه الخالق ، والمعبود الحق ، والإنسان خليفة الله في الأرض مكرم ، والبشر كلهم من أصل واحد خلقوا للعبادة والتقوى والعمل الصالح ، والعقيدة الإيمانية هي الرابطة الحقيقية وليس القوم أو الجنس أو اللون .^(١) وهو ما يندرج تحت ما نسميه الإلهيات والنبوات والسمعيات^(٢) ولهذا نجد في القرآن ثباتا في العقائد القاطعة .

الفرع الثاني : ومنها ما يتعلق بإقامة الشعائر العبادية لله تعالى وحده بما في ذلك من الإيجاب أو المنع أو التخيير كوجوب الصلاة ، والزكاة ، والحج والصوم^(٣) (الأركان الأربعة)^(٤) والذكر والدعاء ، وكذلك النظم الاجتماعية التي لا تتغير كالحدود وغيرها .

الفرع الثالث : ما يتعلق بترسيخ القيم الأخلاقية (مجموعة الفضائل الخلقية) كالصدق والعدل والإحسان والعفاف والإحسان والأمانة والرحمة والبر ، وسائر الفضائل الربانية والإنسانية.^(٥) وبهذا نرى أن الإسلام وضع من الأحكام وأصول التشريعات المنظمة لحياة الناس ، فلم يتركهم يشرعوا لأنفسهم كما يشاءون ، وفي المقابل لم يقيدهم بتشريع معين في كل شيء ، وهنا تبرز وسطية الإسلام فجاء النص الثابت فيما لا تستقل العقول بإدراك الخير فيه ، وفيما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص ، وما عدا ذلك تركه لأصحاب العقول والاجتهاد للنظر فيه في حدود الأصول العامة .^(٦)

^١ . عبد الحميد ، الإسلام والتنمية الاجتماعية ، ص 28

^٢ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 76

^٣ . كمال ، المرجع السابق ، ص 135

^٤ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 42

^٥ . القرضاوي ، السياسة الشرعية ، ص 225 ، الصاوي ، المرجع السابق ، ص 42

^٦ . شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، ص 63 - 64

المطلب الثالث

أمثلة على مجالات الثوابت

ويتجلى الثبات في المصادر الأصلية النصية والقطعية للتشريع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالقرآن هو الأصل والدستور والسنة النبوية هي الشرح النظري والبيان العملي للقرآن ، وكلاهما مصدر إلهي . وقد جاءت الآيات القرآنية التي تبين القضايا الثابتة ، والقضايا المتغيرة ، وعلاقة القضايا المتغيرة بالإطار الثابت الذي تدور حوله .^(١)

فالثبات في العقائد الأساسية الخمسة نجدها في قوله تعالى : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }^(٢)

والثبات في الأركان العملية الخمسة نجدها في السنة النبوية الشريفة : "عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ " .^(٣)

وفي المحرمات اليقينية من السحر وقتل النفس والزنى وأكل الربا وأكل مال اليتيم ... ثابت بالنص القطعي بالقرآن والسنة قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا }^(٤)

^١ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 208

^٢ . سورة البقرة / آية 177

^٣ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / (2) دعاؤكم إيمانكم / 8 ، ص 21

^٤ . سورة النساء / آية 10

" وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَيَّقَاتِ

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ

الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالنَّوَالِي يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ " . (١)

وفي أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد والحياء وغيرها من مكارم

الأخلاق التي اعتبرها الإسلام من شعب الإيمان . (٢)

"فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " . (٣)

" وعن عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النَّبَإِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا

وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي

مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ

وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ فَبَايَعَنَاهُ

عَلَى ذَلِكَ " . (٤)

وفي هذا الحديث بيان بعض الأخلاق الثابتة التي يجب على المسلم أن يتحلى بها .

وفي الشرائع القطعية من : الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص فجميعها من الأمور

الثابتة بالنص القطعي الدلالة قطعي الثبوت . (٥) قال تعالى بعد بيان عدة المطلقة { تِلْكَ حُدُودُ

اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٦)

١ . رواه البخاري / ج 4 / الحدود / (43) من أظهر الفاحشة والبطخ والتهمة بغير بينة / 6857 ، ص 428

٢ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 208-209

٣ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / (3) أمور الإيمان / 9 ، ص 21

٤ . رواه البخاري / ج 1 / الإيمان / (11) علامة الإيمان حب الأنصار / 18 ، ص 25

٥ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 209

٦ . سورة البقرة / آية 230

وقال تعالى : { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا } (١)

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ... وختم الآية { فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٢)

"فهذه الثوابت لا يجوز لنا أن نجري عليها قط أمور الاجتهاد والإضافة والتبديل والتساهل

والإسقاط ففرضيتها ثابتة في الشريعة الإسلامية لا تقبل فسحا ولا تجميدا ولا تطويرا ولا يجوز أن

تضيق في مجتمع مسلم . (٣)

وهناك أمثلة من القرآن الكريم تبين فيها الثبات من جهة والمرونة والتغيير من جهة أخرى قال

تعالى : { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (٤) وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : { وَشَاوِرْهُمْ

فِي الْأَمْرِ } (٥) فلا يجوز للحاكم المسلم أو المجتمع أن يتخلوا عن مبدأ الشورى لأن النص ثابت

ثابت في القرآن الكريم ، ولكن الكيفية راعى فيها الإسلام اختلاف البلدان والأجناس والأزمنة فلم

يحدد كفييتها وترك للناس حق الاجتهاد في ذلك لما فيه تحقيق للمصلحة العامة للمسلمين .

وفي قضايا الحدود أيضا التي لا يجوز لنا أن نتعدها كان بها من المرونة والتغيير الذي لا

يتعارض مع ثبات النص . قال تعالى { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً

مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٦)

وقال تعالى " { الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } (٧) ومما يدل على ثبات

هذه النصوص موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المرأة المخزومية التي سرقت وإصراره

على تنفيذ الحد عليها رغم وساطة أسامة بن زيد . وأما المرونة في ذلك ما قاله صلى الله عليه

١ . سورة البقرة / آية 187

٢ . سورة البقرة ، آية 178

٣ . القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 229

٤ . سورة الشورى / آية 38

٥ . سورة آل عمران / آية 159

٦ . سورة المائدة / آية 38

٧ . سورة النور / آية 2

وسلم " عَنْ بُسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُقَطَّعُ الْأَيْدِي فِي
الْغَزْوِ " (١) رعاية لحال الحرب وخشية أن يفتن السارق ويخاف على نفسه فيهرب للأعداء (٢)
وفي قصة المرأة الغامدية التي زنت رأى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أن يرجئ تنفيذ الحد
حتى تضع مولودها ، ثم تفضمه ، وبعدها نفذ الحد عليها " عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ
امْرَأَةً يَعْنِي مِنْ غَامِدٍ أَنْتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ فَجَرْتُ فَقَالَ ارْجِعِي فَرَجَعَتْ
فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ أَنْتَهُ فَقَالَتْ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَرَ بِنَ مَالِكٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى فَقَالَ لَهَا
ارْجِعِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَنْتَهُ فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا وُلِدَتْ أَنْتَهُ بِالصَّبِيِّ
فَقَالَتْ هَذَا قَدْ وُلِدْتُهُ فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَجَاءَتْ بِهِ وَقَدْ فَطَمْتُهُ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ
يَأْكُلُهُ فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ فَدَفَعَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا فَحَفَرَ لَهَا وَأَمَرَ بِهَا فَرَجِمَتْ ... " (٣)
ويتمثل الثبات في قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ
بِهِ } (٤) وتتمثل المرونة في قوله تعالى بعدها { فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ
فِيِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٥) فقرر بذلك مبدأ رعاية الضرورات ضمن حدود وضوابط وضعها حتى
حتى لا تنتهك محارم الله .

وفي بيان إثم من زاد أو نقص أو بدل في الثوابت يكون قد دخل في دائرة الابتداع " هذه الأمور
الثلاثة هي من قسم الثوابت في الدين ، وكل إضافة فيها يدخل في باب الابتداع " . (٦)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاختلاف في آيات القرآن وظهر عليه الغضب عندما
ضرب الصحابة آيات القرآن ببعضها لأنهم في هذه الحالة يثبتون بعض الآيات وينفون بعضها

١ . رواه الترمذي / ج 3 / الحدود / (20) ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو / 1450 ، ص 470 ، قال أبو عيسى حديث غريب ،
حققه الألباني وقال حديث صحيح ، ص 343 ، { " المشكاة / 3601 " }

٢ . القرصاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص 217

٣ . رواه أبو داود/ ج 4 / الحدود / المرأة التي أمر النبي برفعها من جهينة / 4442 ، حققه السيد محمد وقال: حديث صحيح ،
ص 1899 { " أخرجه البيهقي السنن الكبرى / 8/ص 221 " ، " الحاكم في المستدرک 4/ ص 363 " }

٤ . سورة المائدة / آية 3

٥ . سورة المائدة / آية 3

٦ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 43

وهذا ما لا يجوز في الثوابت المذكورة في القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك " مَهَلًا يَا قَوْمِ بِهِذَا أَهْلَكْتِ الْأُمَّمُ مِنْ قَبْلِكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَضَرَبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكْذِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ " . (١)

^١. رواه الإمام أحمد / ج 11 / مسند المكثرين من الصحابة / مسند عبد الله بن عمرو بن العاص / 6702 ، حققه الأرنؤوط وقال : حديث صحيح وإسناده حسن ، ص 305

المبحث الثاني

المتغيرات

المطلب الأول

تعريف المتغيرات

المتغيرات : هي تلك القضايا القابلة للتغيير في إطار الثوابت فهي مشدودة إليها تنطلق منها وترجع إليها وتدور حولها " .^(١)

وقال ابن القيم : " ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له ، زمانا ، ومكانا ، وحالا ، كمقادير التعزيرات ، وأجناسها ، وصفاتها ، فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة ... " .^(٢)

" فإن الله تعالى حكم بحكمه أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالا للظنون

فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف لكن في الفروع دون الأصول وفي الجزئيات دون الكليات " وفي هذه المسائل لا يضر اختلاف المسلمين^(٣) والله تعالى أعلم .

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بمثابة الضوابط والأصول العامة والإطار الذي يضيء للمسلمين الطريق ويسمح لهم بالتشريع كلما جد لهم جديد ، ولهذا هو من أعظم المتغيرات ولكنه ليس مطلقا ، فهو متغير وفق ثوابت من القواعد العامة والحدود الفاصلة بين الحلال والحرام والمطلوب والممنوع " .^(٤)

المطلب الثاني

أهمية التغيير والحاجة إليه :

تكمن أهمية التغيير في إبراز روح الوسطية في الإسلام وسماتها من الخير والعدل والتيسير

^١ . القرضاوي ، السياسة الشرعية ، ص 206

^٢ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 328

^٣ . الشاطبي ، الاعتصام /ج2، ص 117

^٤ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 43

وللوصول إلى ذلك كان لا بد من تكامل فقه الشرع وفقه الواقع والموازنة العلمية السليمة بينهما

والبعيدة عن الغلو والتفريط . (١)

وتكمن أهمية التغيير فيما يلي :

الفرع الأول : سعة الشريعة ومرونتها : (٢) فالشارع الحكيم لم ينص على كل شيء بل

ترك منطقة واسعة خالية من أي نص ملزم وقد تركها قصدا للتوسعة والتيسير على

المسلمين والرحمة بهم وقد أطلق عليها منطقة العفو . (٣)

الفرع الثاني : التيسير ورفع الحرج عن المكلفين : وقد تحدثنا عنه باعتباره أبرز سمات

الوسطية .

الفرع الثالث : احتواء المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم وبلدانهم وأزمانهم وإعانتهم

على الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية .

الفرع الرابع : تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفسد عنهم .

فالشريعة كلها مصالح إما درء مفسد أو جلب مصالح : وقد اتفق علماء الأمة على أن

الشريعة أنزلت لتحقيق مصلحة العباد في المعاد والمعاش ، وأن الله لا يعود عليه شيء

منها فهو غني عن العالمين وإنما أراد بها الخير والصلاح فلا بد للعالم معرفة مقصود

الشارع وذلك باستقراء الأحكام المتنوعة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة (٤) ، ولا بد

من ضبط المصلحة بما لا يتنافى مع النص الثابت فحيثما وجد النص فهو المصلحة (٥)

، فالمصلحة هي علة الحكم تبقى ببقائه وتنتفي بانتفائه ، ومعنى هذا أن الحكم يتغير

١. القرضاوي ، أولويات الحركة الإسلامية / في المرحلة القادمة ، ص 31

٢. شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 184-185

٣. القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 79

٤. القرضاوي ، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ، ص 234 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، (1416هـ - 1996م)

٥. كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 138

تبعاً لها ، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا ^(١) كما يتطلب من المسلم معرفة أن الشريعة قد جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفسد وتقليلها ، وأنها ترجح خير الخيرين وأقل الشرين ، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما ... فيجب على الداعية المسلم إحياء وتجديد هذه المفاهيم علماً وعملاً لأنه بابتعادنا عن آثار عصر النبوة والصحابة كثر التعارض واختلط الصالح بالطالح والحسن بالسيء وازدحمت المصالح والمفاسد ، فعجز الناس عن الفصل بينهما فما يراه الناس حسناً يمكن أن يتضمن السيء وما يرونه سيئاً يمكن أن يتضمن الحسن ، وهناك فريق ثالث ينشد الموازنة ولكن قد لا يتبين له مقدار المصلحة والمفسدة ، أو أنه لا يجد من يعينه على فعل المصلحة وترك المفسدة ، لتحكم الأهواء بالناس .^(٢)

الفرع الخامس : التوسعة والرحمة

إن النصوص التي جاءت في أحكام جزئية قد صيغت بطريقة معجزة بحيث تتسع لتعدد الأفهام والتفسيرات ما بين متشدد ومترخص وبين آخذ بحرفية النص وآخذ بروحه وفحواه ... ^(٣) ومن مظاهر سعة الشريعة إمكانية أن يأخذ العامي بقول الإمام الذي تبين عنده صحة الدليل . وهذا أمر يتيح تعدد الأقوال ومن ثم يرفع الحرج عن المكلفين . أو التوسعة في بحث المسائل المختلف فيها ، وبالتالي توفير الوقت والجهد على الآخرين وتعويدهم على كيفية وطريقة البحث ومعالجة ما يطرأ من الأمر .^(٤)

^١ . شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 210
^٢ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 323-325
^٣ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 80
^٤ . شعبان ، المرجع السابق ، ص 186

الفرع السادس : إعمال الرخص والاعتبار بالأعذار المبيحة لها ومبررات تخفيف الأحكام من مرض وسفر وغيره ومن هنا جاءت هذه القواعد الفقهية كأساس في الحكم لرفع الحرج والمشقة عن الناس والتخفيف عنهم وتيسير أمر التكليف عليهم^(١).

الفرع السابع : مناسبة التكاليف لطاقة الإنسان وقدرته فما يعجز عنه المرء لا يطالبه به ، فالتكليف مرهون بالقدرة وتتنقي إذا عجز المرء عن القيام بما يكلف به .

الفرع الثامن : فساد الزمان وانحراف أهله عن الجادة ، وأيضا تغيير العادات وتبدل الأعراف^(٢)، فقد أجاز العلماء من باب التيسير على الناس تغيير الفتوى بتغيير الزمان والمكان مستدلين في ذلك بهدي الصحابة وعمل الخلفاء الراشدين ،^(٣) فقد يشتد التضييق على جماعة المسلمين في بلد من البلاد فيضطر بعضهم إلى الترخص في بعض شعائر الهدى الظاهر كإعفاء اللحية للرجل والنقاب للمرأة ، كأن يكون هنالك حملة اعتقالات عامة تنال كل من تمسك بهذه الشعائر ، أو يفصلوا من وظائفهم ، أو يمنعوا من دخول الجامعات ،^(٤) كما حصل في تونس ، وفي فرنسا ، وتركيا .

من أجل ذلك كان لا بد من فقه التغيير لتتنقي عن الإسلام صفة التعنت والتشديد والتقولب بقالب واحد ، ولكن هذا التغيير لا يكون تبعا لهوى أو لشهوة وإنما له ضوابط يخضع لها ويدور حولها : وقد وضع لنا الفقهاء ثلاث قواعد لا بد منها عند التغيير

القاعدة الأولى : قاعدة رعاية الضرورات

ولهذه القاعدة أدلتها الكثيرة من نصوص الشرع في باب الأطعمة وغيره وهي قاعدة مسلمٌ بها مجمع عليها وهذا يمثل واقعية الإسلام التي تعترف بضغط الحياة وقهر الظروف وضعف

^١ . البري ، أصول الفقه الإسلامي / ج 1 ، ص 145- ص 146

^٢ . شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 84

^٣ . القرضاوي ، في فقه الأولويات ، ص 90

^٤ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 327

الإنسان .^(١) " قال الإمام : " ولا يرتقي إلى التبسط ، وأكل الملاذ بل يقتصر على قدر الحاجة " .^(٢)

القاعدة الثانية : قاعدة ارتكاب أخف الضررين

ومنها " السكوت على المنكر إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه " دفعا لأعظم المفسدتين وارتكاب أخف الضررين ومما يستدل به لهذا المبدأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة : " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثٌ عَاهَدُهُمْ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكُعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ " .^(٣) ومنها ما جاء في القرآن الكريم من قصة سيدنا موسى عليه السلام : أن سيدنا هارون سكت عن عبادة قومه للعجل حتى يعود أخوه ويتفاهما معا على علاج الأمر ، وكان سكوته هذا بعد إنكاره عليهم ما هم عليه في أول الأمر خوفا على وحدة القوم .

القاعدة الثالثة : مراعاة سنة التدرج

ونقصد بالتدرج : تسويق وتأجيل التنفيذ ، و نعني بها أوسع من ذلك فهي : تحديد الأهداف بدقة وبصيرة ، وتحديد الوسائل الموصلة إليها بعلم وتخطيط دقيق وتحديد المراحل اللازمة للوصول إلى الأهداف بوعي وصدق بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها بالتخطيط والتنظيم والتصميم حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة التي قام بها الإسلام .^(٤) فالتدرج كما هو سنة كونية ، سنة شرعية ، فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وثبتت العقيدة السليمة ، ثم جاء التشريع شيئا فشيئا ، فقد فرضت الفرائض وحرمت الحرمات بالتدرج ، ومثال

^١ . القرضاوي ، السياسة الشرعية ، ص 326

^٢ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / ج 1 ، ص 169

^٣ . رواه البخاري / ج 1 / العلم / (48) من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر منهم بعض الناس / 126 ، ص 86

^٤ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 327-328

ذلك تحريم الخمر ^(١) فلم ينزل دفعة واحدة لتعلق الناس بها فجاءت آيتان فيها ذم الخمر ثم جاءت الآية الثالثة في تحريمه . وقد ذكر الحديث أن سنة التدرج اقتضت ترسيخ العقيدة في النفوس بداية ليكون بمقدور النفس تقبل الأحكام والتسليم لها ومما جاء عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا " . ^(٢)

فيجب على الداعية المسلم أن يتحلى بالصبر لتغيير الواقع ويعلم أن الواقع لا يتغير بين عشية وضحاها ، وأن عليه أن يأخذ الناس بالرفق . دون التخلي عن الثوابت أو التساهل فيها . ليصل بهم إلى الأمان وإلى الحق أخذاً في الاعتبار سمو الهدف ، ومبلغ الإمكانات وكثرة المعوقات ^(٣) . وله في رسولنا صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام القدوة سواء في وسائل التدرج أوالنتائج التي حققوها .

المطلب الثالث

مجالات المتغيرات

يكون مجال المتغيرات فيما يتعلق بتفصيل الأحكام في شؤون الحياة المختلفة ، وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والإجراءات ونحوها ، وهذه يكون فيها نصوص محتملة أو تكون متروكة للاجتهاد .

فالفروع الجزئية مرنة متغيرة فيها قابلية التطور ، شأن ما في الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الإنسان ، وحركة الحياة . ^(٤)

^١ . القرضاوي ، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 104 - ص 105
^٢ . رواه البخاري / ج 6 / فضائل القرآن / تأليف القرآن ، ص 228
^٣ . القرضاوي ، المرجع السابق ، بتصرف ، ص 105
^٤ . القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، ص 78

" أما النظم التي تتغير فقد وضع لها قواعد عامة تتعلق بالظروف المتغيرة إلا أنها تحقق مقاصد

واحدة كالبيع وعقوبات بعض الجرائم وهي التي لم يشملها نص أو قياس " . (١)

إذا فالمتغيرات يجب أن لا تخرج عن إطار الثوابت أو تتعددها وإنما تدور في فلكها " تؤمن

مذهبية الإسلام بقانون التطور العام في الكون والمجتمعات في حدود تطور الأعراض لا

الجواهر ... لأن هذا في الحقيقة والواقع هو مجال التطور لا غيره " . (٢)

ويدخل في مجال المتغيرات القواعد الفقهية الفرعية ، ومن هذه القواعد على سبيل المثال لا

الحصر

الفرع الأول : الضرورات تبيح المحظورات

وقد أخذت من الأصل الشرعي الثابت في القرآن الكريم { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } . (٣)

ويدخل تحت هذه القاعدة الثابتة قواعد متغيرة " الضرورة تقدر بقدرها " " الحاجة قد تنزل منزلة

الضرورة عامة كانت أو خاصة " والحاجة : بلوغ المشقة إن لم يتناول المحذور ، والضرورة :

بلوغ التهلكة إن لم يتناول المحذور . (٤) فالمتغير هنا مقدار الضرورة بما يتناسب مع حاجة

المسلم وبقائه على قيد الحياة .

الفرع الثاني : دفع الضرر

وقد أخذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار " ويتفرع عنها : الضرر

يزال شرعا ، والضرر المنهي عنه في الحديث إما أنه واقع أو متوقع ، والواقع أن قاعدة الضرر

يزال تعتبر مبدأ محكما تكفلت الشريعة بتطبيقه في جميع أبواب الفقه وتدور حولها أحكام نظرية

^١ . كمال ، مستقبل الحضارة ، ص 135

^٢ . عبد الحميد ، الإسلام والتنمية الاجتماعية ، ص 29

^٣ . سورة البقرة / آية 173

^٤ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / م 1 ، ص 190

التعسف كما تعتبر توثيقاً لمبدأ " المصلحة " في الشرع ^(١) ، ويتفرع عنها : يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ، فالمفسدة التي تعطل ضروريا ، غير التي تعطل حاجيا ، غير التي تعطل تحسينيا ، والمفسدة التي تضر بالمال غير التي تضر بالنفس وهذه دون التي تضر بالدين والعقيدة ^(٢) ، والضرر يزال بقدر الإمكان ، الضرر لا يزال بضرر بمثله أو أكبر منه : ومنها عدم إجبار الجار على وضع الجذوع ، ولا يأكل المضطر طعام مضطر آخر ، يرتكب أخف الضررين وأهون الشرين .

الفرع الثالث : يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى . ^(٣)

لا بد من الإشارة أن التغيير يشمل جميع مجالات الحياة ، ولكن هذه التغييرات مبنية على أساس ذكره القرآن الكريم في صورة قانون من قوانين الله تعالى وسنة من سننه الاجتماعية التي لا تتبدل وهذه السنة هي " تغيير الأنفس " أو ما بالأنفس قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } . ^(٤)

وباستقراء آراء الفقهاء والعلماء نرى أنهم اهتموا بهذه القاعدة في التغيير . ^(٥)

وخلاصة ما تقدم من حديثنا عن الثوابت والمتغيرات نجد أنه . لا مجال للشك . أن الوسطية لا تعني الحل الوسط كما يتوهم البعض وإنما تعني الوقوف عند حدود الله تعالى فلا نتعداها فنقع في دائرة الإفراط ولا نتجاهلها فنقع في دائرة التفريط ، وداخل الحدود التي بينها الشريعة نستطيع الحركة كل حسب طاقته ، وبما يرى أنه يحقق المصلحة الشرعية ولا حرج عليه إن شاء الله .

^١ . الدريني ، نظرية التعسف في استعمال الحق ، ص 214

^٢ . القرضاوي ، في فقه الأولويات ، ص 29

^٣ . السيوطي ، الأشباه والنظائر / م 1 ، ص 78 ، القرضاوي ، في فقه الأولويات ، ص 30

^٤ . سورة الرعد / آية 11

^٥ . القرضاوي ، السياسة الشرعية ، ص 321 .

تمهيد

يعود الابتعاد عن وسطية الإسلام إلى أسباب متعددة بعضها له علاقة بالشخص نفسه : كالجهل بحقيقة الدين وأحكامه ، أو اتباعه وساوس الشيطان ، وتزيينه لأهوائه وشهواته ، وبعضها له علاقة بالمجتمع المحيط به وكثرة الآراء والمذاهب والتعصب للفكرة أو الشخص ، وانقسام الناس بين مفرط ومغال ، وبين مفرط جاف ، وبين متوسط بين هؤلاء وأولئك ، وأخيرا هناك أسباب خارجية تتعلق بأعداء الإسلام ومحاولة تشويه أحكامه وتنفير الناس من الدين بأساليب شيطانية متعددة .

وقد هدفت من كتابة هذا الفصل لأمرين : أحدهما : أن يتعرف المسلم على الأسباب التي تشوش صورة الإسلام الحق في نظره وتبعده عن وسطية الإسلام ، والثاني : أن نجد علاجاً فاعلاً لهذه الأسباب والأخطار سواءً الداخلية أم الخارجية .

أسأل الله التوفيق والسداد لما فيه خدمة للإسلام وأهله وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا إنه على كل شيء قدير .

السبب الأول

الجهل

الجهل من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الابتعاد عن وسطية الإسلام إلى أحد شقيه إما الإفراط أو التفريط ، فالجهل يعتبر من أسباب الغلو والتنتع من جهة ، ومن أسباب التفريط والجفاء من جهة أخرى .

المطلب الأول

حقيقة الجهل

ومنه : الجهل بأصول الدين وقواعده ، والجهل بمقاصد الشريعة ، وبحفظ النصوص وفهم معانيها ^(١) وجميعها تؤدي لا محالة إلى الابتعاد عن جوهر الإسلام ووسطيته ، فالجاهل لا يحقق شروط العبادة لله كما أمر الله فيضل عن سواء الصراط . ومن شروط العبادة : صدق النية لله تعالى ، وأن يعبد الله بما شرع لنا . فإذا جهل العابد ذلك ذهب عمله هباء منثورا .

وحقيقة الجهل : إما أن يكون جهلا مطلقا وهذا يؤدي بصاحبه إلى التفريط والتساهل في أمور الدين وإما أن يكون جهلا مجزوا أو كما يسمون (أنصاف العلماء) : وهم من يعتقدون كمال علمهم وهم يجهلون الكثير الكثير ، وهذا النوع يؤدي بصاحبه إلى الغلو والإفراط ، فهو يجهل الربط بين الجزئيات والكليات ، ولا يحاكم الظنيات إلى القطعيات ، ولا يعرف من فنون التعارض والترجيح ما يستطيع به الجمع بين المختلفات ^(٢) ، فالإنسان إذا اعتقد في نفسه أنه من أهل الدين والعلم . ولم يبلغ هذه الدرجة . فيعد رأيه رأيا وخلافه خلافا فيجتهد في فروع الدين تارة ، وتارة في أصولها فتراه يأخذ ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها ، فيدخل في باب الابتداع ،

^١ . خليل ، الغلو ، ص 203 - ص 204

^٢ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف ، ص 62

وقد حذر الحديث من هذه الفئة " فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ النَّعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَلًا فَاسْتُلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " (١) ، وفي ذلك قال أهل العلم " لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم ، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى ما ليس بعالم ، فيؤتى الناس من قبله " . (٢)

وقد بينت الشريعة الإسلامية أن من أسباب اختلاف الناس فيما بينهم الجهل بأمر موضوع الخلاف إما جهل كامل وإما جهل جزئي ، وهذا الاختلاف من شأنه أن يبعد صاحبه عن الوسط ويجذبه إلى أحد الأطراف .

وإذا تأملنا ما سبق نرى أن أنصاف العلماء أشد خطرا على الأمة الإسلامية من الجهلة وذلك لأن هذا جهل بسيط وذلك جهل مركب وهو جهل من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري وهذا النوع يؤدي إلى ضعف بصيرة بحقيقة الدين . (٣)

وقد أورد لنا القرآن الكريم من الآيات التي تبين أن الجهل بحقيقة الأمر تؤدي إلى الضلال ، وإلى اتباع الأهواء ، قال تعالى : { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } (٤) ، وقال تعالى : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٥) ، وقال تعالى : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } (٦)

١ . رواه البخاري / ج 1 / العلم / (34) كيف يقبض العلم / 100 ، ص 71

٢ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 2 ، ص 120

٣ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 63 ، خليل ، الغلو ، ص 206

٤ . سورة الأنعام / آية 119

٥ . سورة الأنعام / آية 144

٦ . سورة الأنعام / آية 140

وهناك حقيقة يجب علينا عدم إغفالها ، وهي بيان متى يعتبر الجهل ضلالا ومتى يعفى عنه لنصل إلى التوفيق بين الآيات القرآنية التي اعتبرت الجهل ضلالا وبين الآيات التي بينت توبة الله عن الجهلة .

والعلم علمان : علم عامة ، وعلم خاصة .

فعلم عامة لا يسع بالغا غير مغلوب على عقله جهله مثل الصلوات الخمسة وصوم شهر رمضان والزكاة ، وأن الله قد حرم الخمر والزنا والقتل والسرقه وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يعقلوه ويعملوه . وهذا العلم موجود نسا في كتاب الله تعالى ، وموجود عاما عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عن من مضى من عوامهم يحكونه عن رسول الله ولا يختلفون به ،^(١) ويعبر عنها بالمباني الخمسة ومما هو معلوم من الدين بالضرورة : " وهذه لا عذر لأحد فيها بجهل " .^(٢) وقد ذكرنا ذلك في الثوابت وأنه لا يصح الاجتهاد بها أو الاختلاف . وأما علم الخاصة : فهو ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص من الكتاب وليس في أكثره نص سنة ، وإن وجد فيه نص سنة فهو من أخبار الخاصة لا العامة ... " ^(٣) ومن أمثلة ذلك كثير من التفاصيل والفروع المتعلقة بالمباني الخمسة كبعض تفاصيل التوحيد والصلوات والزكوات وغيرها^(٤) وقد فتح الله باب التوبة لمن عصاه لعذر الجهل بمعرفة الحكم .

فالحكم لا يثبت للمكلف عند أغلب الفقهاء إذا لم يبلغه ، وقد احتجوا على ذلك بقوله تعالى :

{ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } (٥) (٦)

١ . الشافعي ، الرسالة ، ص 357-359

٢ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، 174

٣ . الشافعي ، المرجع السابق ، ص 359 ، الصاوي ، المرجع نفسه ، ص 175

٤ . الصاوي ، المرجع السابق ، ص 174

٥ . سورة الإسراء / آية 15

٦ . الصاوي ، المرجع السابق ، ص 173

وقال تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ

يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (١)

وقال تعالى في موضع آخر { مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ } (٢) وهذه الآيات وغيرها تشير إلى رحمة الله بهذه الأمة ، فعلى المسلم أن يتراجع عن

رأيه إذا ثبت خطؤه . وقد فتح الله باب رحمته . فإذا لم يتراجع عن خطئه يقع في الخسران المبين

ويدخل في دائرة الابتداع . كما بينا في الآيات السابقة . ، وكذلك فتح باب التوبة لعذر الجاهل

حسب حاله : فالجاهل في ديار الكفر يعذر بأحكام غير التي يعذر بها من نشأ في ديار الإسلام

ومن نشأ في البادية أو كان حديث عهد بالإسلام يعذر بأحكام غير من نشأ بين المسلمين وهكذا

ينظر إلى حال الشخص : زمانه ومكانه فيترتب عليه الحكم بالعذر أو عدمه (٣) وهكذا تتجلى

رحمة الإسلام وعدله ويسره وتتجلى وسطيته بشكل واضح فدين الله لا حرج فيه ولا مشقة ،

فالجاهل لا يؤاخذ على جهله ، وإن علم بخطئه فتح له باب التوبة والرحمة .

وأوردت لنا السنة النبوية المطهرة ضرورة العلم كقاعدة للنقاش وإزالة الجهل وأن الجهل في بعض

الأحيان يكون سببا في دخول جهنم " عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ قَاضِيَانِ

فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ فَعَلِمَ ذَلِكَ فَذَكَ فِي النَّارِ وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ

حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَكَ فِي الْجَنَّةِ " . (٤)

كما أن الجهل يساعد الشيطان في نيل غايته من الإنسان وإضلاله " فقد كَانَ مُسْلِمًا بَنُ يَسَارٍ

يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمَرَاءَ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ جَهْلٍ الْعَالِمِ وَبِهَا يَبْنَعِي الشَّيْطَانُ زَلَّتْهُ " . (٥)

١ . سورة النساء / آية 17

٢ . سورة الأنعام / آية 54

٣ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 175 يتصرف

٤ . رواه الترمذي / الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / 1322/م ، حققه

الألباني وقال حديث صحيح ، ص 313 { " الإرواء " (2614) ، " المشكاة " (3735) }

٥ . رواه الدارمي / ج 1 / المقدمة / اجتناب أهل الأهواء والبدع ، ص 109

المطلب الثاني

أسباب الجهل وصوره :

ومما يوقع في الجهل أمور متعددة :

من ذلك جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو جهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو الدليل ، مع علمه بما مع نفسه من الحق والدليل ، فالجهل والظلم أصل كل شر وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ، قال تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } ^(١) ^(٢) ومن صورته : الجهل بالدين وأصوله وقواعده ، والجهل بمقاصد الشريعة ، وحفظ النصوص من غير فهم وفقه ، والابتعاد عن مجالسة العلماء المربين ومن لهم أقدام راسخة في العلم ^(٣) ، وهذا من شأنه أن يورث التعب الكثير مع قلة الفائدة ، فجهله قد يجعله يجتهد في نافلة ويضيع فريضة ، أو ينشغل بالعمل في الظاهر والباطن ولم ينتقد بالافتداء بها بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) ، وبذلك يدخل في الابتداء بجهله رغم حبه وإخلاصه لربه ودينه ، وهذا كله يؤدي بالمسلم إلى الغلو والتتبع ، والابتعاد عن الصراط المستقيم وسبله .

وقد يكون هذا الغلو بسبب سوء فهم حقيقة الإسلام ، إما من اجتهادات المغالي نفسه ، أو من اجتهادات إمامه الذي يتبعه ، ومن ذلك إدخال الرأي الشخصي في قضايا الدين وأحكامه وشرائعه ، ويترتب على الغلو دائما جهل وتعصب وهوى وتزيين وساوس الشيطان ^(٥) وجميعها

^١ . سورة الأحزاب / آية 72

^٢ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 147

^٣ . الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص 102 ، القرضاري ، الصحوة الإسلامية بين الجود والتطرف ، ص 63 وما بعدها ، خليل ، الغلو وأسبابه ، ص 203-204

^٤ . الجوزية ، الفوائد ، ص 189

^٥ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 49

تؤدي إلى اختلاف المسلمين ، ومثال ذلك فرقة خوارج : أهل العبادة والزهادة والصلاة ...
ولكنهم ضلوا ، وعُدّوا من أهل الفرق الضالة ، وكان سبب ضلالهم ابتعادهم عن أهل العلم في
عصرهم وعلى رأسهم الصحابة فأباحوا لأنفسهم الاجتهاد وتبني الآراء الخطيرة من غير علم ()
أنصاف العلماء) وإن خالفوا بها من سبقهم ، واستعجلوا إصدار الفتوى (1) وقد وصف الرسول
صلى الله عليه وسلم أمثال هؤلاء بأن دينهم لا يغادر حناجرهم .

ويجب التنبيه أن المشكلة لا تكمن في اختلاف علماء المسلمين ، وإنما تكمن في جهل المسلمين
بأمور دينهم ، فالاختلاف بين المتبحرين بدينهم والعلم به لا يصل بهم إلى الفرقة والافتتال .
ومثال ذلك الاختلاف بين الأئمة الأربعة . ولكن عندما يختلف الجهلة فإنهم يتعصبون لآرائهم
سواء كانت خاطئة أو صائبة ويرفضون رأي غيرهم دون النظر لأدلتهم (2) وهنا ينشأ الخلاف
والفرقة . والابتعاد عن الحق .

المطلب الثالث

الآثار المترتبة من الجهل على المسلم

الفرع الأول : من المشاكل التي يقع بها المسلم من الجهل تحكم الأعداء بدينه
فقد اتخذ الأعداء من الجهل سلاحا وسلطوه على رقاب المسلمين يتلاعبون بأحكام دينهم ولا
يجدون من يردهم عن غيهم وإضلالهم ، ويعتبر هذا من وسائلهم لمحاربة الإسلام ، فكثيرا ما
يسعى أعداء الإسلام لمحاربتة ، فإن فشلوا حاولوا تشويه معالمه وطمس محاسنه ، وتقريب
صفوفه ، عن طريق التوجيه نحو التطرف والتشدد والمغالاة في العقيدة والأحكام ، فينفروا الناس
من هذا الدين ، وينقطع العابد عن مواصلة الطريق ، ويتأخر عن ركب الإيمان (3) ووسائلهم

1 . خليل ، الغلو ، ص 205
2 . الشاطبي ، الاعتصام / ج 2 ، ص 679
3 . الزحيلي ، الاعتدال في الدين ، ص 14

في التشويه والإفساد متعددة : منها العملي ومنها الفكري ، ومن وسائل العملية ابتداع وسائل باسم الدين والطاعة والعبادة لاصطياد أصحاب النزعة الدينية ، فيرسمون لهم مناهج دينية جديدة فيها من التزمت والإرهاق والمبالغة ويضيفونها على مناهج العبادة الصحيحة . منهج الإسلام والطريق المستقيم . وهكذا يخرج المسلم من منهج الوسط إلى منهج الإفراط فيردد أفكارهم وينشغل بالترويج لها ويحارب أصحاب الدعوة والحق ^(١) . وقد حذر السلف الصالح من خطورة البدع " عَنْ حَسَّانَ ^(٢) قَالَ مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةَ فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " . ^(٣)

الفرع الثاني : ومن المشاكل التي يقع بها المسلم بسبب جهله تحكم وساوس الشيطان به :
ومن مداخل الشيطان وأبوابه : حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته ، وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين ، فيصبحوا به كفارا أو مبتدعيين ، وهم بذلك فرحون لأنهم يعتقدون أن ذلك انكشف لهم بذكائهم .
" فأشد الناس حماقة أقوامهم اعتقادا في عقل نفسه ، وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه ، وأكثرهم سؤالا من العلماء " . ^(٤)

الفرع الثالث : الصعوبة في تطبيق الشريعة الإسلامية

فمن المشاكل التي عانت منها الأمة الإسلامية بسبب جهلها بحقيقة الدين : الصعوبة في تطبيق الشريعة الإسلامية ، فكثير من المسلمين يعتقدون أن هذه الشريعة عاجزة عن التلاؤم مع الواقع ومع متطلبات العصر ، وهذا غير صحيح ^(٥) فالشريعة خالدة شاملة قابلة لتغيير الزمان والمكان ،

^١ . الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، ص 14 - ص 15

^٢ . وهو حسان بن عطية المحاربي الدمشقي ، وكنيته أبو بكر وهو من كبار التابعين ، هكذا صرح بن بطة والبعوي في روايتهما ،

الدارمي / ج 1 ، ص 46

^٣ . الدارمي / ج 1 / المقدمة / اتباع السنة / 98 ، خرَجَ الحديث الأستاذ سيد إبراهيم والأستاذ علي محمد علي : حديث صحيح موقوف ،

ص 46 ، {أورده التبريزي في المشكاة / 66/1 حديث 188 " }

^٤ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 153

^٥ . كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ص 74

وعلينا أن نميز بين النصوص الثابتة في القرآن والسنة وبين الأحكام الاجتهادية المبنية على الأعراف والبيئات والأزمنة التي يمكن أن تتغير وفقا لمقاصد الشرع ، وبذلك نرى أن الجهل يُعتبر من العقبات التي تعترض تطبيق الشريعة ، فعلى المسلمين أن يتبصروا بحقيقة الشريعة وأصول الفقه ويعرفوا أنها مرنة وأنها تتسع المتغيرات الزمانية والمكانية . (١)

المطلب الرابع

علاج الجهل

وعلاج الجهل يكمن في العلم والمعرفة : فيجب أن نتقاهما من المصادر الموثوقة الصحيحة ، وأول هذه المصادر الوحي الإلهي : قال تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (٢) والمصدر الثاني أهل العلم من الفقهاء والأصوليين قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٣)

وهذا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذي لا يعلم الحكم فعليه أن يسأل أهل العلم ، وقد دعا على بعض الصحابة لأنهم لم يتحروا العلم وأفتوا مع جهلهم فقتلوا الرجلَ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم " قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ " (٤)

١ . كامل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ص74

٢ . سورة البقرة / آية 151

٣ . سورة النحل/آية 43

٤ . رواه أبو داود / الطهارة / (127) المجروح بتيميم / 336 ، حققه الألباني وقال حديث حسن دون قوله إنما كان يكفيه ، ص 59 -

السبب الثاني

اتباع الهوى

وسمي الهوى بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل هاوية وفي الآخرة إلى الهاوية ، ومع السقوط تخلف عن الأقران ، ^(١) "عَنْ الشَّعْبِيِّ ^(٢) قَالَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْهُوَى لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ " ^(٣)

المطلب الأول

حقيقة اتباع الهوى في الشرع

ونقصد باتباع الهوى في الاصطلاح الشرعي : السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي ، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل ^(٤) وقد اعتبر اتباع الهوى والشهوات أحد الفتن التي يصاب بها المسلم والتي حذر منها السلف الصالح " احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعمته دنياه " . ^(٥) كما ويعتبر اتباع الهوى من العوائق التي تواجه الداعية المسلم ، فالنفوس بطبيعتها تقع تحت تأثير الأهواء والشهوات التي تدخله في قائمة المحرمات فتجلب له سخط الله تعالى عليه . فعليه كداعية مجاهدة نفسه وحملها على التخلص من سلطان الشهوات . ^(٦)

ويحصل اتباع الهوى عند من ضعفت بصيرته وقل علمه وسار بغير قصد ، فتملكه فتنة الشبهات ويصبح الهوى حاكما عليه لا الهدى قال تعالى : { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } ^(٧) وقال تعالى : { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً } ^(١) ^(٢) ومن يتحكم به هواه يخرج عن حد الاعتدال والوسط .

^١ . شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 17

^٢ . الشعبي : هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو من طبقة التابعين الوسطى ، توفي 104 هـ

^٣ . الدارمي / المقدمة / (35) اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة / 395 ، ص 103

^٤ . نوح ، أفات على الطريق/ ج 2 ، ص 33

^٥ . الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ص 536

^٦ . الميداني ، فقه الدعوة / ج 1 ، ص 578

^٧ . سورة النجم / آية 23

وقد يجتمع لدى العبد فتنة أخرى " فتنة الشهوات " وقد ذكر الله تعالى الفتنتين في آية واحدة قال

تعالى : { كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ

فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (٣) أي تمتعتم بنصيبيكم من الدنيا

وشهواتها ، وخضتم بالباطل وهو الشبهات ، وهكذا نرى أن أصل الفتنة يعود إلى تقديم الرأي

على الشرع ، وتقديم الهوى على العقل . (٤)

والإسلام لم ينكر اتباع الهوى على الإنسان ، ولكنه يطلب منه أن يكون هواه منضبطا مهذباً ولا

ينجر وراء شهوته فتستعبده وتجرفه إلى حيث لا يملك لنفسه نفعاً . (٥) فالنفس هي الدافع لاتباع

الهوى وقد ورد على السنة السالكين (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) (٦) . فالاندفاع

الأرعن وراء الأهواء والشهوات تخرج الإنسان عن حدود الحق ، والمشكلة أنه لا يعرف أنه خرج

عن دائرة الحق " إن الاندفاع العنيف في اتجاه الشيء دون بصيرة ضابطة وإرادة كابحة يجعل

المندفع يعبر الجهة كلها بقوة حتى يخرج عن حدها الأقصى وحينما يخرج قد لا يتصور أنه خرج

" . (٧)

لذلك ينقسم اتباع الهوى إلى قسمين : فما كان منه موافقا للشرع كان محمودا ، وما كان منه

مناقضا للشرع كان مذموما . ولخطورة اتباع الهوى حذرت الآيات القرآنية من اتباعه :

١ . سورة النجم / آية 28

٢ . الجوزية ، إغاثة للهفان ، ص 534

٣ . سورة التوبة / آية 69

٤ . الجوزية ، المرجع السابق ، ص 535-536

٥ . قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص 136

٦ . حوى ، المستخلص في تركيبة الأنفس ، ص 259

٧ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 91

المطلب الثاني

تحذير الآيات القرآنية من اتباع الهوى :

قال تعالى : { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } (١)

فبينت الآية أن من أسباب الابتعاد عن السبيل الحق والصراط المستقيم هو اتباع الهوى ، منه . فمن أهم مخاطره أنه يبعد الإنسان عن وسطية الإسلام ويجره إلى أحد النقيضين ، إما إفراطاً أو تفريطاً . واتباع الهوى يعتبر لون من ألوان الشرك لأنه يضل الإنسان عن العلم رغم علمه به قال تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (٢) " قال بعض السلف شر إليه عبد في الأرض الهوى " . (٣)

وقال تعالى : " { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٤) وقال تعالى : { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } (٥) ، كما أن اتباع الهوى من الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف بين الفصائل الإسلامية ، فهي طريق إلى التعصب المذموم لحزب أو لمذهب (٦)

لأن كلا منهم يبحث عن إرضاء غروره ، وحبه للترغم والسيطرة ...

١ . سورة ص/ آية 26

٢ . سورة الجاثية / آية 23

٣ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 119

٤ . سورة القصص/ آية 50

٥ . سورة المؤمنون/ آية 71

٦ . القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 119

وقد جاءت العديد من الآيات تبين ما أعده الله لمن كبح جماح نفسه طلباً لمغفرة الله من جنات النعيم قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ 40 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ }

(١)

المطلب الثالث

الأحاديث النبوية التي نهت عن اتباع الهوى

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ". (٢)

" وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْعَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى ". (٣)

" وَ عَنْ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ أَنَّهُ قَالَ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ " وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ " (٤)

المطلب الرابع

آراء الفقهاء في اتباع الهوى

ومن أسباب تنازع الناس في صفات العبادات الظاهرة يعود إلى اتباع الظن وما تهوى الأنفس " حتى يصير كثير منهم مديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة ، وحتى يصير في كثير

^١ . سورة النازعات/ آية 40

^٢ . رواه الترمذي / ج 4 / صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله / (25) / 2459 / ص 356 - ص 357 حقه الذهبي : قال أبو عيسى : حديث حسن . وحقه الألباني وقال : حديث ضعيف ، ص 554

^٣ . الإمام أحمد / ج 33 / مسند البصريين / حديث أبي برزة / 19772 ، حقه الأرنؤوط وقال : رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن الحكم البناني ... ، أخرجه البزار / 132 كشف الستار ، والدولابي في الكنى / 1 / 154 ، الطبراني في الصغير / 511 ، وأبو نعيم في الحلية / 2 / 32 ، والبيهقي في الزهد الكبير / 372 و 373

^٤ . رواه الترمذي / الفتن عن رسول الله / ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر / 2168 ، ص 490 ، حقه الألباني وقال حديث صحيح وقال أبو عيسى حديث صحيح " ابن ماجه / 4005 "

من المتفهمة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة ".
(١)

وقد نهى الأصوليون الفقيه من أن يتخير بعض الأقوال بمجرد التشهي والأغراض من غير
اجتهاد ولا أن يفتي أحدا . ولا للمقلد التخيير بين قولين إذا كانا مختلفين تبعاً لهواه وما يوافق
رغبته " فاتباع أحدهما بالهوى اتباع للهوى " (٢) وأي عمل يكون التابع فيه للهوى فهو باطل
بإطلاق " لأنه لا بد للعمل من حامل يحمله عليه وداع يدعو إليه فإذا لم يكن لتلبية الشارع في
ذلك مدخل فليس إلا مقتضى الهوى والشهوة " (٣)، وكذلك فإن في مسائل الخلاف ضابطاً قرآنياً
ينفي اتباع الهوى جملة وهو قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (٤)

فليس له إلا الترجيح بالأعلمية وغيرها " لأن اتباع الدليلين من غير ترجيح محال ، إذ لا دليل
مع فرض التعارض من غير ترجيح فلا يكون هنالك متبعاً لهواه " . (٥)
وقد انحرف أناس عن طريق الحق فأفتوا أصحابهم وأقرباءهم بما يتناسب مع أهوائهم ورغباتهم
وقد أغفلوا الأصل الذي يترتب عليه الحكم .

المطلب الخامس

الأسباب التي تؤدي إلى اتباع الهوى :

الفرع الأول : إن من أهم أسباب اتباع الهوى حب الشهوات والانصياع لوساوس الشيطان
"إن كل ذي لب يعلم أن لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات " ومنها : التزديد والإسراف

١ . ابن تيمية ، الفتاوى / 22 ، ص 357

٢ . الشاطبي ، الموافقات / ج 4 ، ص 133 - ص 134

٣ . الشاطبي ، الموافقات / م 2 ، ص 173

٤ . سورة النساء / آية 59

٥ . الشاطبي المرجع السابق / ج 4 ، ص 134

فتزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة ، وهي حظ الشيطان منه ومدخله إلى قلبه ، وطريق الخلاص منه الاحتراز من إعطاء النفس كل ما تشتهي من الغذاء والنوم ، فمتى أقنعت النفس بالقليل رضيت به ، وأغلقت الباب الذي يتسلل منه الشيطان ، وحصل بذلك الأمان .^(١)

كما أن الشيطان يزين لهم أعمالهم فيظنون أنهم على هدى فيتمادون في الضلال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(٢) كما أن إبليس لعنه الله يزين لهم الهوى فيعصون الله وهم لا يشعرون فلا يستغفرون لذلك " قال الحسن : بلغنا أن إبليس قال : سولت لأمة محمد المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها ، وهي الأهواء ، وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي ، فكيف يستغفرون منها " (٣) ولا بد لنا أن نعرف " أن اتباع الهوى طريق إلى المذموم وإن جاء ضمن المحمود لأنه إذا تبين أنه مصاد بوضعه لوضع الشريعة فحيثما زاحم مقتضاها العمل كان مخوفا " .^(٤)

الفرع الثاني : ومن هذه الأسباب حب الدنيا والتعلق بها : فحب الدنيا والركون إليها رأس كل خطيئة قال تعالى : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }^(٥) ، وقال تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }^(٦) (٧)

الفرع الثالث : عدم التعويد منذ الصغر على ضبط الأهواء : والضبط مقدرة يتدرب عليها الإنسان ، وعادة يتحكمها وكلما تدرب الصغير كان أقدر عليها ، وأكثر تمكينا منها .

" فما الوسيلة للاستقامة على ميزان الله إلا ضبط هذه الرغبات ، والاستغناء عنها حين تحول بين الإنسان وبين سبيل الله " (١) إذا يضبط الهوى ليكون تبعا لما أنزل الله وشرع .

١ . الجوزية ، الفوائد ، ص 208
٢ . العقل ، دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص 345
٣ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 153
٤ . الشاطبي ، الموافقات / ج 2 ، ص 174
٥ . سورة التغابن / آية 14
٦ . سورة الأنعام / آية 32
٧ . الغزالي ، الأربعين في الأصول ، ص 108 - ص 109

الفرع الرابع : مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم (٢):

ومما ورد في ذم مجالسة أهل الأهواء : عن الحسن قال : " لا تجالسوا صاحب هوى فيقذف في

قلبك ما تتبعه عليه فتهلك ، أو تخالفه فيمرض قلبك " " وعن أبي قلابة : " لا تجالسوا أهل

الأهواء ولا تجادلوهم ، فإنني لا آمن عليكم ما كنتم تعرفون " وفي مصير صاحب الهوى ، " وقال

أيوب : " إن أهل الأهواء أهل ضلالة ، ولا أرى مصيرهم إلا النار " ، وقد بين أن أصحاب

الأهواء هم أصحاب البدع الذين يدخلون على الدين ما ليس منه " . (٣)

" قال سهل التستري : " كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء ... فهو عيش النفس . يعني اتباع الهوى

. وكل فعل يفعله بالاقتراد فهو عتاب على النفس يعني لأنه لا هوى له فيه . " . (٤)

فالإنسان مدني بالطبع ومجالسة أصحاب الهوى من شأنه أن يؤثر على السامع ، رغم ثقته بنفسه

لذلك نرى السلف الصالح حذر من مجالستهم ومصاحبتهم والتلقي عنهم " . (٥)

الفرع الخامس : الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى : فأصل ضلال الضالين هو اتباع

الهوى والظن والإعراض عن العلم والوحي .

قال تعالى : { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ

هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٦) ولعل هذا هو السر في اهتمام الشارع الحكيم

في التنكير بالعواقب المترتبة على المأمورات والمنهيات . (٧)

١ . نوح ، آفات على الطريق / ج2، ص37

٢ . نوح ، المرجع نفسه ، ص38

٣ . الشاطبي ، الاعتصام / ج1، ص112

٤ . الشاطبي ، المرجع نفسه ، ص112، ص126

٥ . العقل ، دراسات في الأهواء والفرق ، ص362

٦ . سورة القصص / آية 50

٧ . نوح ، المرجع السابق ، ص42

المطلب السادس

العلاج

الخطوة الأولى : أول خطوة في طريق العلاج هو الإخلاص لله وحده ، والتجرد للحق ، ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها أو أهواء غيرها . " ولكن الشارع إنما قصد بوضع الشريعة إخراج المكلف عن اتباع هواه حتى يكون عبدا لله " .

الخطوة الثانية : أن نتيقن أن مخالفة الهوى ليست من المشقات المعتبرة في التكليف وإن كانت شاقة في مجاري العادات ولو كانت معتبرة حتى يشرع التخفيف لكان ذلك نقضا لما وضعت الشريعة له ... (١)

الخطوة الثالثة : أن نبتعد عن الشهوات لله تعالى ومن أجله لا من أجل أحد سواه فنشعر بالابتهاج والفرح مع الله فنفوز بجنة الدنيا بجوار رب العالمين وفي حمايته وحفظه ونفوز بجنة النعيم يوم القيامة " . فإن الله أبقى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه وهمته متعلقة بغيره وإنما يودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنى مع الله ، والغنى فقر دون الله ... " (٢)

الخطوة الرابعة : أن نؤمن أن الدنيا مهما كانت في زخرفها وزينتها لن تدوم ، وأنها دار عمل وتكليف وأن الآخرة هي دار القرار . فإذا ثبت ذلك في النفوس ابتعد العبد عن الشهوات والهوى " لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلبا لحياة الأبد " . (٣)

فيكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة ويكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة فإذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين ، بهما سعادته وفلاحه وكمالهما :

الهدى والرحمة . (٤)

^١ . الشاطبي ، الموافقات / ج 2 ، ص 153

^٢ . الجوزية ، الفوائد ، بتصرف ، ص 213

^٣ . الجوزية ، المرجع نفسه ، ص 54

^٤ . الجوزية ، إغاثة اللفهان ، ص 537

السبب الثالث

التعصب المذهبي والفكري:

المطلب الأول

التعصب لغة واصطلاحاً

التعصب : شد العصابة ، وتعصب القوم : تجمعوا ، وتعصب لفلان أو معه : أي نصره ،

والعصبية : المحاماة والمدافعة عن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض . (١)

التعصب المذهبي : هو أن يقلد الشخص في المسألة الواحدة مجتهداً واحداً يعود السبب في

التعصب إما للحسد أو للجهل أو لاتباع الهوى . " وهذا التعصب من دلائل الإعجاب بالنفس ،

واتباع الهوى ، وهما من أشد المهلكات " (٢) فجميعها يؤدي إما إلى الإفراط أو التفريط وبالتالي

البعد عن جادة الصواب وسبيل الله ، وعن وسطية الإسلام .

ومن آثار التعصب التناقض : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن اللويحق " وأما أهل البدعة

والضلالة فإنهم أهل تناقض ، فمن آثار ضلالتهم تناقضهم الذي أدى إلى تفرقهم واختلافهم "

ويتابع : " إن أوجه تناقض المبتدعة والغلاة كثيرة غير منحصرة ، فإنك تجد أهل الكلام أكثر

الناس انتقالاً من قول إلى قول ، وجزماً بالقول في موضع وجزماً بنقيضه ، وتكفير قائله في

موضع آخر ، وهذا دليل على عدم اليقين " . (٣)

ويكون التعصب إما للرأي ، للمذهب ، للأشخاص ، للقبائل ، للشعوب ، ويعتبر هذا التعصب

مظهراً من مظاهر التطرف .

١ . أنيس ، المعجم الوسيط / ج 1 ، ص 603 - ص 604

٢ . القرضاوي ، الصحو الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 121

٣ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج 2 ، ص 686 - ص 687

المطلب الثاني

صور التعصب

الفرع الأول : التعصب والغلو في الصالحين

وهو داء وقعت به الأمة فضلت عن طريق الحق ومن هذه الفرق التي تعصبت للصالحين

الرافضة وبعض فرق الصوفية والمقابرية . (١)

" ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدية و (بعض)

المتصوفة حتى خالط كثير منهم مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من النصارى أو مثله أو

دونه " كما " إن كثيرا من المتعبدية يطيعون المعظمين عندهم في كل ما يأمرونهم به فيحلون

الحرام ويحرمون الحلال ، وقد ابتلي طوائف من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم"

(٢).

" عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا

عَدِيُّ اطْرُحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ

اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ

شَيْئًا حَرَّمُوهُ " . (٣)

الفرع الثاني : التعصب للنفس والرأي

ويكون التعصب للرأي بأن يعتد المرء برأيه ويرفض رأي غيره مهما كان " وأنت تجد أكثر

المتفهمة ، إذا رأى المتصوفة والمتعبدية لا يراهم شيئا ولا يعدهم إلا جهالاً ضلالاً ، ولا يعتقد في

^١ . العقل ، الأهواء والفرق ، ص 371

^٢ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 89 ، ص 90

^٣ . رواه الترمذي / ج 5 / تفسير القرآن عن رسول الله / تفسير سورة التوبة / 3095 ، ص 122 ، حقه الذهبي قال أبو عيسى حديث

غريب ، وحقه الألباني وقال: حديث حسن ، ص 694

طريقهم من العلم والهدى شيئاً ، وترى كثيراً من المتصوفة ، والمتفكرة^(١) لا يرى الشريعة ولا العلم شيئاً ، بل يرى المتمسك بها منقطعاً عن الله وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئاً. (٢)

وهكذا نجد سائر الطوائف المتعصبة يجحدون الحق الذي مع غيرهم إذا لم يوافق مذاهبهم ولا يكتفوا بذلك إنما تقوم مناهجهم على عداوة المخالف لهم والنفور منه ومن أتباعه . (٣)

وقد كان الصحابة ينفرون من التعصب للرأي إذا ثبت لهم خطأه ومن ذلك : أن عمر بن الخطاب كان يرجع عن رأيه إلى الحق إذا ثبت له خطأه وهذا ما دفعه يكتب إلى أبي موسى الأشعري " ولا يمنعك فقه قضيت به اليوم فراجعت رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم ولا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل " . (٤)

وكذلك نهى الأئمة الأربعة عن التعصب لأرائهم فمما روي عن الإمام الشافعي أنه قال لصاحبه الربيع : " يا أبا اسحق لا تقلدني في كل ما أقول ، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين " كما روي عنه أنه قال : " ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع ولا تقلدوني وإذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي " كما روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان ينهى عن اتباعه فيما يقول ويوجه إلى الأخذ من المصادر الأصلية فيقول : " لا تقلدني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا " ويقول : " انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة " . (٥)

والتعصب للرأي له عدة أسباب منها : الشيطان الذي يوحى لأوليائه بالانقطاع للعبادة ، والتزام المسجد ، ويوهمهم بأنه يجب أن يقصدهم الناس ويلتفتوا حولهم ، فيفرح العابد بما هو عليه بما

^١ . المتفكرة : هم طائفة من دراويش الصوفية الذين يظهرون الفقر ويتكفونهم ، ويتبعون على جهل ، وينشدون العزلة أو السباحة الهائلة دون قصد ، وينتقصون العلم الشرعي ويرونه علماً بالظاهر لا ينفع صاحبه ... ابن تيمية / اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 91 .

^٢ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 91 .

^٣ . العقل ، دراسات في الأهواء ، ص 359 .

^٤ . مدكور ، محمد سلام ، مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأحكام الفقهية والعقائدية / ج 2 ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط 1 ،

(1393 هـ - 1973 م) ، ص 533 - 534 .

^٥ . مدكور ، المرجع نفسه ، ص 656 ، ص 681 .

يعتقده عبادة ، ويفرح بمجيء الناس إليه ، وتقبيلهم يده ، ويفرح بالتفاف الأمراء حوله ، فيداخله الكبر ، ويستحقر عبادة غيره ، " فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلى الله ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه " ^(١) وهذا من السبل التي تؤدي إلى هلاك العباد والفساق جميعا ، فإن استحقاق الناس والطعن بهم والانشغال بذكر عيوبهم ونقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية ، فإذا خيل له الشيطان أن ذلك هو الحق وكان مرافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه واشتغل به بهمة وهو فرح مسرور يظن أنه يسعى في الدين وللدين وهو ساع في طريق الضلال وهو لا يشعر ^(٢)

كما يرجع التعصب للرأي بسبب الرغبة في احتلال مركز الاحترام والتقدير عند العامة ، إلى جانب كسب المنافع المادية وغيرها . ^(٣) " فالغلو في الغالب يبتكره قادة الناس ذوو النفوس الطامحة إلى السيادة بحسن نية أو بضده إفراطا في الأمور " ويرجع ذلك إما إلى التظاهر بالمقدرة وحب الإغراب لإبهات نفوس الأتباع وإما لحب إرضاء ما في نفس المبتكر أو نفوس ما حوله من حب تقليد الغير . ^(٤)

ومن أسبابه أيضا : تحكيم الرجال وإيثارهم على الحق ، والغلو في المذهب ، فالأفكار التي تطرح مع مرور الوقت تكسب قدسية وتسيطر على القلوب فتدفع العقول إلى وضع البراهين التي تزينها وتحسنها وتقبح غيرها وهذا من شأنه أن يولد الاختلاف غير المنتج . ^(٥)

فإذا كان الصحابة والأئمة الأربعة . الأولى بالاتباع . يرفضون اتباعهم والتعصب لآرائهم فيجب أن نحذر من التقليد الأعمى واتباع العلماء أو أشباه العلماء ، كما يجب على هؤلاء العلماء أن يصدقوا النية مع الله ، وأن يتسموا بالتواضع وسعة الصدر الذي تحلى به الأئمة السابقون .

^١ . الجوزية ، إغائة للهفان ، ص 131
^٢ . الغزالي ، إحياء علوم الدين / ج 3 ، ص 152
^٣ . الفرفور ، الوسطية في الإسلام ، ص 49
^٤ . ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي ، ص 46
^٥ . شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 18

الفرع الثالث : إخضاع النصوص الشرعية للأهواء

فأهل البدع لم يرجعوا إلى النصوص الشرعية وإنما رجعوا لما يعتقدونه من عند أنفسهم أو متبوعيههم ثم أخذوا يستدلون عليها وإخضاع النصوص لها ^(١) " والمبتدع قدم هوى نفسه على هدى ربه ، فكان أضل الناس ، وهو يظن أنه على هدى . ^(٢)

قال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } ^(٣)

وهذا من الاختلاف المذموم لأنه ناشئ عن الجهل والهوى ، وداعيا إلى البغي والعدوان ، ورافضا الحق والتكبر على ما جاء به ، وتكون نهايته إلى التفرق والتنازع ، ويدل على ذلك قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } ^(٤) وهذا النوع من الاختلاف منهي عنه لأن مطلب الشرع الوفاق ، ولما يترتب عليه ويؤدي إليه من فشل وتنازع لذلك ذمه الشرع وحذر منه . ^(٥)

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ^(٦)

^١ . العقل ، دراسات في الأهواء ، ص 373

^٢ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 68

^٣ . سورة آل عمران / آية 7

^٤ . سورة آل عمران / آية 19

^٥ . شعبان ، ضوابط الاختلاف ، ص 79

^٦ . سورة الأنعام / آية 159

فَقَوْلُهُ تَعَالَى : " لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ " ذَلِكَ يَقْتَضِي تَبَرُّؤَهُ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، فَمَنْ كَانَ

مَتَّبِعًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقِيقَةً كَانَ مَتَّبِعًا كَثِيرًا وَمَنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُمْ كَانَ مُخَالَفًا

لِلرَّسُولِ بِقَدْرِ مُوَافَقَتِهِ لَهُمْ .

إِنْ مِنْ تَابِعٍ غَيْرِهِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ فَهُوَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ ، لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ أَنَا مِنْ هَذَا ، وَهَذَا مِنْي

، أَيْ أَنَا مِنْ نَوْعِهِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِي ، وَمَنْ قَالَ لَسْتُ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ . أَيْ لَسْتُ مُشَارِكًا لَهُ . بَلْ

أَنَا مَتَّبِعٌ مِنْهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . (١)

وَقَدْ نَهَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مُشَابِهَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُوَافَقَتِهِمْ فِي

أَعْمَالِهِمْ ، وَمِنْهَا تَقْدِيسُ أَنْبِيَائِهِمْ وَاتِّخَاذُ قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، وَالِاخْتِلَافُ فِي الْكِتَابِ ، وَالتَّشَدُّدُ

عَلَى النَّفْسِ بِمَا لَمْ يَشْرَعْ بِهِ اللَّهُ . (٢)

الفرع الرابع : التعصب لجماعة حزبية فكرية

إِنْ الْغُلُوُّ بِالتَّعَصُّبِ لْجَمَاعَةٍ مِنَ الْجَمَاعَاتِ ، وَعَدَّهَا جَمَاعَةَ الْحَقِّ وَجَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يَجِبُ

اتِّبَاعُهَا وَعَدَمُ مَفَارَقَتِهَا مُؤَدَّ حَتْمًا إِلَى نَشُوءِ فِرْقٍ شَتَى كُلِّ فِرْقَةٍ تَخْطَأُ الْآخَرَى . (٣)

الفرع الخامس : الاهتمام بالفروع وترك الأصول

وَمِنْ صُورِ التَّعَصُّبِ الْإِهْتِمَامُ بِالْفُرُوعِ وَتَرْكُ الْأَصُولِ : فَبَعْضُ الْفِرْقِ الْمَغَالِيَةِ تَقُومُ بِالِإِهْتِمَامِ

بِالنَّوَافِلِ وَالْحَرِصَ عَلَيْهَا وَلَا تَحْرِصُ هَذَا الْحَرِصُ عَلَى الْفَرَائِضِ فَهِيَ تَجِدُ الرَّاحَةَ فِي أَدَاءِ النَّوَافِلِ

وَلَا تَجِدُ تِلْكَ الرَّاحَةَ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ .

١ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج 1 ، ص 175 - ص 177

٢ . ابن تيمية ، المرجع نفسه ، ص 332

٣ . اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين / ج 2 ، ص 677 - ص 678

التمهيد

تعتبر الوسطية كما بينا في الباب الأول من البحث إحدى الخصائص التي تتصف بها الثقافة الإسلامية ، وبالابتعاد عنها خرق لإحدى خصائص الإسلام ، كما أن السمات التي تحف بالوسطية كفيلة لإيجاد الشخصية المسلمة المتزنة ، المطمئنة ، المستقيمة ، الحكيمة ، القادرة على الأخذ بزمام الأمور دون اضطراب أو خوف . والابتعاد عنها يُفقد المسلم اتزانه واستقامته ، ويُصبح منساقا لأهوائه ، ومنساقا لوساوس الشيطان ؛ فيقع في المحذور ، ويبتعد عن الوسط إلى أحد شقيه إما إلى الإفراط وإما إلى التفريط .

ويكون مقدار ابتعاده عن الوسطية بحسب اقترابه من الأطراف فكلما اقترب من الأطراف زاد بعده عن الوسطية .

وفي هذا الفصل سأبين بعض الآثار التي تنتج من الاقتراب من الإفراط ، وأما التفريط فظاهره واضح في التقصير في حق الله وحق رسوله وحق دينه ، ويكون التقصير إما في الفرائض وإما بالسنن ، أو يكون تقصيره بفهم العقيدة وأركانها ، أو يكون مقصرا في معرفة الأحكام الشرعية وما يترتب عليها ، وكل تقصير له عقوبة تختلف بين مقصر وآخر ؛ فمن قصر بالفرائض ليس كمن فرط بالسنن ، كما أن منها ما له عقوبة في الدنيا ، ومنها ما له عقوبة في الآخرة ، ومنها ما له عقوبة في الدنيا والآخرة .

وأما الإفراط فخطره يكمن في أن المفرط يعتقد أنه يطبق شرع الله فيدخل على الدين ما ليس منه . " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ

مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ

مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا". (١)

آثار الابتعاد عن الوسطية الإسلامية :

المطلب الأول : الإعراض عن منهج الإسلام في الاعتدال واليسر والرحمة .

المطلب الثاني : ظلم الإنسان لنفسه وقسوته على ذاته فيحملها أكثر مما تحتمل سواء بالقيام

أو بالحرمان .

فمن يتقرب إلى الله بالصيام المتواصل ولا يأكل شيئاً، ومن يقوم الليل ولا ينام أبداً يكون قد

ظلم نفسه وخالف سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم " إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ

حَقًّا وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ " . (٢)

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله

يكون الصد عن سبيل الله بما يسببه الابتعاد من تشويه وفتنة وتغيير (٣) فالمسلم المنتطح

بعبادته ينفر الناس من الدخول بالإسلام كما ينفر العامة من صعوبة الطريق وهذا كان أحد

المدخل التي دخلها أعداء الإسلام لتغيير المسلمين من الإسلام وأحكامه فيثقل عليه في

بداية الطريق فيصعب عليهم تنمة التكاليف، وهكذا بتصرفاتهم شوهوا الإسلام وسماحته

وبساطته عند الذين يحكمون على الإسلام من تصرفات بعض المسلمين . (٤)

المطلب الرابع : التجرؤ على الشريعة

١ . رواه مسلم / العلم / (6) من سن سنة حسنة أو سيئة / 2674 ، ص 1328 ، ورواه الترمذي / ج 4 / العلم / (15) ما جاء فيمن دعا إلى هدى / 2674 / ، " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، " ابن ماجه / 206 " ، ص 602

٢ . جزء من حديث ورد تخريجه ص 147

٣ . اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين / ج 1 ، مقدمة الكتاب / ي.

٤ . خليل ، الغلو ، ص 440

إن المفرط في دينه (المبتدع) يكون قد تجرأ على الشريعة فكأنه يزعم أن هذا الدين غير تام فلا يبتدع امرؤ بدعة إلا وأحدث أصولا تناقض الحق فالغلو والابتداع مصاد للشرع .
والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان " (١) ، والشريعة جاءت كاملة لا تحتاج إلى زيادة أو نقصان (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن العرياض بن سارية يقول وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَعٍ فَمَادَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادًا " (٣)

" وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " (٤)

وهكذا يكون المغالي قد ناقض قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٥) فالله سبحانه وتعالى أكمل لنا الإيمان فلا نحتاج إلى زيادة . وأي زيادة في الدين يكون المغالي والمبتدع مستدركا على الشريعة ، وقد صير نفسه نظيرا ومضاهيا للشرعية بإلزامه نفسه أو الناس بما لم يلزمهم الله به (٦) " وحسبك بالاستدراك على الدين

١ . ابن الجوزي ، تلبس إبليس ، ص16

٢ . الشاطبي ، الاعتصام / ج1 ، ص63

٣ . رواه ابن ماجه / المقدمة / (6) اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين / 42 ، حقه الألباني وقال: حديث صحيح " ، ص 367 الإراواء / 2455 ، المشكاة / 165 ، الظلال / 26 - 34 ، صلاة التراويح / 88 - 89 ، ص20 ، رواه الإمام أحمد / ج 28 / مسند الشاميين / حديث العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم / 17142 ، حديث صحيح بطرقه وشواهد هذا إسناد حسن ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي في الكاشف : صدوق ، وقد صحح حديثه الترمذي

٤ . رواه مسلم / الأفضية / (8) نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور / 1718 ، ص867

٥ . سورة المائدة / آية 3

٦ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص66 ، اللويحق ، مشكلة الغلو / ج2 ، ص681

والشريعة أثرا سيئا للغلو والابتداع فإن في ذلك الاستدراك تجهيلا لله سبحانه المحيط علمه بكل شيء .. " (١).

ولسان حال المبتدع يقول : " إن الشريعة لم تتم ، وإنه بقي منها أشياء يجب أن يستحب استدراكها (٢) لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتامها من كل وجه ، لم يبتدع ، ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم " (٣)

المطلب الخامس : ضلال المبتدعة عن الحق والهدى وإضلالهم الناس

ومن الآثار الظاهرة للابتعاد عن الوسطية والإفراط في الدين ضلال المبتدعة عن الحق والهدى وإضلالهم الناس ، فهم ضالون باتباعهم الأهواء ، ومن جهة أخرى ضالون باختلال مناهج العلم والعمل لديهم ، (٤) فالمبتدع أزاغ الله قلبه عن الحق والهدى بسبب ابتعاده عن سبيل الله "

والمبتدع حين أعرض ولّاه الله ما تولى وأزاغ قلبه كفاء ما عمل من زيغان عن الهدى " قال

تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (٥) (٦) جاء في تفسير

سعيد بن منصور عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي : { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (٧) أهم الحرورية ؟ قال : لا ، أولئك أصحاب الصوامع ،

ولكن الحرورية الذين قال الله تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } (٨) والحرورية هم الخوارج

الخوارج كما بين الحديث الشريف . " عَنْ يُسَيْرِ بْنِ عَمْرِو قَالَ سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ حَنْبَلٍ هَلْ سَمِعْتَ

١ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج2 ، ص682

٢ . هكذا هي عبارة الشاطبي ، الاعتصام / ج1 ، ص64

٣ . الشاطبي ، الاعتصام / ج1 ، ص64

٤ . اللويحق ، المرجع السابق / ج2 ، ص663

٥ . سورة الصف/ آية 5

٦ . اللويحق ، المرجع السابق ، ص660

٧ . سورة الكهف / آية 104

٨ . الشاطبي ، المرجع السابق ، ص84

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ فَقَالَ سَمِعْتُهُ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ) : " قَوْمٌ

يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِالسِّنْتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ ^(١) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ " ^(٢)

فكل من انصرف عن الحق بقصده وابتعد عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم استحق العذاب

من الله تعالى ، قال تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } ^(٣)

ومما جاء " عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ اعْلَمْ قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ

اللَّهِ قَالَ اعْلَمْ يَا بِلَالُ قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَحْيَا سُنَّةٍ مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيَّتَتْ بَعْدِي

فإِنَّ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ

ضَلَالَةٍ لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ

شَيْئًا " ^(٤)

فالمرء كلما ازداد في ابتداعه زاد بعده عن الله تعالى وعن سنة النبي صلى الله عليه وسلم "فعن

أبي أيوب السخستاني قال " ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً " ^(٥)

"وعن أبي إدريس الخولاني :أنه كان يقول : " ما أحدثت أمة في دينها بدعة ، إلا رفع الله بها

عنهم سنة " ^(٦)

المطلب السادس : الوقوع في شر المعاصي والآثام

فالابتداع يعود على صاحبه بالإفساد على معتقده وما يعود بالإفساد على المعتقد أعظم مما

عاد بالإفساد على العمل . " عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

^١ . يمرقون : يخرجون ، ويمرق السهم من الرمية : يخرج من الجانب الآخر مسرعاً . المعجم الوسيط / ج 2 ، ص 864

^٢ . رواه مسلم / الزكاة / (49) الخوارج شر الخلق والخليقة / 1068 ، ص 492

^٣ . سورة النساء / آية 115

^٤ . رواه الترمذي / العلم / ما جاء في أخذ السنة / 2677 ، ص 470 حقه الألباني وقال حديث ضعيف ، قال أبو عيسى حديث حسن

ص 603

^٥ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 142 و ص 155

^٦ . الشاطبي ، المرجع نفسه ، ص 153

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَقْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمَّرُو فِي حَدِيثَيْهِمَا وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ وَقَالَ عَمْرُو الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ " . (١)

(٢)

المطلب السابع : الانقطاع عن العمل

كما يؤدي الغلو في العبادة إلى الانقطاع عن العمل ذلك أنه يحمل نفسه جهدا مضاعفا تصبر على تحمله فترة من الزمن إلا أنها ترهق فينقطع عن العمل إما انقطاعا تاما أو انقطاعا جزئيا ، فيكون المرء بذلك عرضة للوساوس الشيطان ومكائده ، وأما الوسطية الإسلامية فتحت على دوام العمل وإن قل وتحذر من الانقطاع " فإن في توقيت الشارع لوظائف العبادات من مفروضات ومسئوليات ومستحبات في أوقات معلومة الأسباب ظاهرة ، ولغير أسباب ما يكفي في حصول القطع بقصد الشارع إلى إدامة الأعمال " . وقال الشاطبي في موضع آخر " ولأجل الدخول في الفعل بقصد الاستمرار وضعت التكاليف على التوسط ، ورفع الحرج ، ونهي عن التشديد " (٣) ، فلو بقي على المداومة على الطاعات والعبادة بانتظام واعتدال لسد مداخل الشيطان عنه ، وحقق مزيدا من الأجر والثواب من الله ، فالانقطاع يؤدي لا محالة إلى توقف الأجر من جهة ، وإلى الانصياع لوساوس الشيطان من جهة أخرى . (٤)

^١ . رواه أبو داود / السنة / شرح السنة / 4597 ، ص 689 ، حققه الألباني وقال حديث حسن ، { " الصحيحة / 24 ، التعليق الرغيب / 44 " } ،

^٢ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج 2 ، ص 709

^٣ . الشاطبي ، الموافقات / ج 2 ، ص 242-243

^٤ . اللويحق ، المرجع السابق ، ص 711-712

المطلب الثامن : ومن الآثار إيقاع الخلل في النفس

فالمرء إذا ابتعد عن وسطية الإسلام وجوهره عانى من خلل في نفسه ، فالشريعة من أهم مقاصدها اليسر ورفع الحرج ، فلا يجوز للمكلف قصد المشقة لأن في ذلك مخالفة للشارع وقد كان التشديد شأن الأقيام السابقة ومن ذلك الرهبان . ولكن الله عفا عنا ورحمنا فرجع عنا المشقة والآصار والتشدد ، ولكن ! هذا مشروط بالسمع والطاعة لله حتى لا يصيبنا ما أصاب الأقيام السابقة . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذرنا السير على نهج السابقين ويأمرنا بالسمع والطاعة (١) " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ " قَالَ دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا قَالَ فَأَلْفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا " قَالَ قَدْ فَعَلْتُ " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا " قَالَ قَدْ فَعَلْتُ " وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا " قَالَ قَدْ فَعَلْتُ " (٢) فالعمل متى كان مؤديا إلى الخلل في العامل . نفسي أو بدني . بأن يعذب نفسه أو يمنعها عن لوازم الحياة تدينا وتعبدنا فإن المشقة على النفس . (٣)

المطلب التاسع : كراهية النفس للعمل الملزم .

لأنه قد فرض من جنس ما يشق المداومة عليه ، فتدخل المشقة بحيث لا يقرب العابد من وقت العمل إلا والنفس تشمئز منه وتود لو لم تعمل أو لم تلزم نفسها به ، وإلى هذا الأمر أشار حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن هذا الدين متين ، فأوغلوا

١ . ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم / ج1، ص 178 اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين / ج2، ص 729
٢ . رواه مسلم / الإيمان / (57) بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق / 125، ص 76-77
٣ . خليل ، الغلو ، ص 448

فيه برفق ، ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " . (١)

"وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغَلُوا فِيهِ بَرَفِقٍ " . (٢)

وقد ورد عن يحيى بن جعدة قال " كان يقال اعمل وأنت مشفق ودع العمل وأنت تحبه ، عمل دائم وإن قل خير من عمل منقطع " .

وعن عمر بن اسحق قال : " أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ممن سبقني منهم ، فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشديدا منهم " .

" وقال الحسن : دين الله فوق التقصير ودون الغلو " . (٣)

المطلب العاشر : البعد عن الله

" إن المبتدع والغالي مهما يزعم أنه يتقرب إلى الله ببدعته وغلوه فهو بعيد عن الله عز وجل " .

(٤) " إذ لا معنى للبدعة إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروع وهو ليس بمشروع " . (٥)

إن الاجتهاد والإخلاص لن يغني عن صاحبه شيئا ما لم يقترن به اتباع النبي صلى الله عليه

وسلم فقد روي عن الأوزاعي أنه قال كان بعض أهل العلم يقول : " لا يقبل الله من ذي بدعة

صلاة ولا صياما ولا صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا عمرة ولا صرفا ولا عدلا " ، لأنهم " كلما

ازدادوا اجتهادا صوما وصلاة ازدادوا عن الله بعدا " . (٦)

المطلب الحادي عشر : وقوع المسلم في التشديد على نفسه ، " وقوع التشديد من الله " (٧)

^١ . رواه البيهقي ، السنن الكبرى / ج 3 / الصلاة / القصد في العبادة والجهد في المداومة / 4743 ، ص 27 - ص 28 ، هكذا رواه ابن عقييل وقد قيل عن محمد بن سوفة عن محمد بن المنكدر عن عائشة وقيل عنه عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم

مرسلا وقيل عنه غير ذلك
^٢ . رواه الإمام أحمد / ج 20 / باقي مسند المكثرين / مسند أنس بن مالك / 13052 ، ص 346 ، حققه الارناؤوط وقال : إسناده ضعيف ، حسن بشواهد له شاهد عند البيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ،

^٣ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 389 - ص 395

^٤ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج 2 ، ص 735

^٥ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 2 ، ص 604

^٦ . الشاطبي ، الاعتصام / ج 1 ، ص 142

^٧ . اللويحق ، المرجع السابق ، ص 740

وقد أهلك الله الأمم السابقة بكثرة الأسئلة فشددوا فشدد الله عليهم ومن ذلك قصة (بقرة بني إسرائيل ، فالذي يشدد على نفسه يشدد الله عليه ، قال تعالى : { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (١) ، فانه تعالى بين لنا الحرام والحلال ، وسكت عن أشياء غير ناس لها وإنما رحمة بالأمّة وهذا يدخل تحت عفو الله سبحانه وتعالى ورحمته بعباده .

" فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته " ، (٢) وقد ورد ذلك "عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ " . (٣)

ومن صور التشديد على النفس : تشديد بالشرع كالنذور أو الكفارات وغيرها : فانه تعالى لم يأمر المسلم بالأعمال الشاقة ، ولكن إذا ألزم المسلم نفسه بذلك وجب عليه الوفاء فالنذر مثلا منهي عنه في الأصل ، فإن عقده الإنسان ونذر شيئا من الطاعات وجب فعله ، شدد ، فشد الله عليه . وقد يكون تشديد الناس على أنفسهم سببا في إيجاب ما لم يجب أو تحريم ما لم يحرم ، " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُمْ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ " (٤) ، وأما التشديد بالقدر : " فإن الإنسان إذا أحدث شيئا من الغلو ابتلاه الله بصنوف

١ . سورة البقرة / آية 286

٢ . ابن تيمية / اقتضاء الصراط المستقيم / ج1 ، ص179

٣ . رواه الإمام أحمد / ج 10 / مسند المكثرين من الصحابة / حديث ابن عمر / 5866 ، ص107 ، حققه الارناؤوط وقال : حديث صحيح ، عبد العزيز محمد ، وهو الدراوردي روى له البخاري مقرونا وتعليقا ، واحتج به مسلم وهو صدوق ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير حرب بن قيس الساقط من هذا الإسناد ، أخرجه ابن حبان / 2742 عن محمد بن اسحق بن إبراهيم مولى ثقف .

٤ . رواه مسلم / الحج / (73) فرض الحج مرة في العمر / 1337 ، ص638

من الأقدار التي يحدث له بسببها شدة ومشقة " ومن ذلك الوسوسة ^(١) ومنها تلبس إبليس على المسلم في الثياب التي يستتر بها ، أو في وضوئه أو صلاته.. ^(٢) وكان رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " لَا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ وَرَهَابَانِيَّةٍ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ " . ^(٣)

المطلب الثاني عشر : تضييع الحقوق

حيث يبذل جهده في جانب (إفراط) وفي المقابل يفرط في جانب آخر كمن يقوم الليل في العبادة والصلاة فيضيع حقوق الزوجة أو كمن يصوم في النهار فيتباطأ عن فريضة الجهاد ، أو الكسب الحلال ، ^(٤) وقال أحد الحكماء " ما رأيت إسرافا إلا وبجانبه حق مضيع " ^(٥) ومن أمثلة تضييع الحقوق ما ذكره ابن الجوزي في كتابه " تلبس إبليس " " وقد لبس على كثير من المتعبدین بقله علمهم ... " " وأول تلبسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم ... " " ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع عليه أربعة أشياء مكروهة : الإسراف في الماء ، تضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال لماء القليل والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة " ^(٦) ويكفي هذا المثل شاهدا على تضييع الحقوق وتقويت الأجر للمغالي مع ما يسببه لنفسه من اضطراب ، وتحميل نفسه مشقة أكثر مما تحتل .

المطلب الثالث عشر : الهلاك

^١ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج2 ، ص744 وما بعدها ، خليل ، الغلو ، ص442
^٢ . الجوزية ، تلبس إبليس ، ص135 وما بعدها
^٣ . رواه أبو داود / ج4 / الأدب / الحسد / 4904 حقه السيد محمد السيد وقال إسناده ضعيف ، أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد / 6 / ص256 " وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة قال الحافظ في التقریب سعيد مقبول
^٤ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج2 ، ص751 وما بعدها
^٥ . خليل ، الغلو ، ص450
^٦ . ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص131-132

ويراد به العذاب أو العقوبة للأمم في الدنيا أو في الآخرة ويكون الهلاك بسبب ذنوب الأمة ومعاصيها . أو بسبب الاختلاف في الكتاب " عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ وَقَالَ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا " . (١)

" وَعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرءُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبِكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا " (٢)

١ . رواه البخاري / أحاديث الأنبياء / حديث الغار / 3476 ، ص 706 ، ورواه البخاري / ج 2 / في الخصومات / (1) ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي 2410 ، ص 250 " فعن عبد الله يقول سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم خلافها فأخذت بيده فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلاكما محسن قال شعبة أظنه قال لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا " ، ورواه مسلم برواية أخرى عن عبد الله بن عمرو قال هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قال فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب " / العلم / النهي عن متشابه القرآن / 2666 ، ص 1323

٢ . رواه مسلم / العلم / (1) النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه / 2667 ، ص 1323

تمهيد

إن العودة إلى الوسطية الإسلامية ليس بالأمر السهل الهين ، بل تحتاج العودة إلى تكثيف الجهود المشتركة من الحكام ، والعلماء ، وعامة المجتمع المسلم ، حيث نحتاج إلى مواجهة علمية متعددة الجهود ومتضافرة قادرة على هدم الأفكار المتطرفة ذات اليمين وذات اليسار والتي ابتعدت عن جادة الحق والعودة بها إلى الوسط الإسلامي بضوابطه وبسماته . ولا بد من مواجهة التطرف الفكري بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف .^(١)

والأمة الإسلامية في أي موقع في الأرض مكلفة أن تتخذ التدابير المناسبة حماية وردعا ، تقويما وإصلاحا من أجل إيجاد مجتمع سليم صالح من الانحراف والفساد والسير به إلى الطريق المستقيم . وأن يشمل الإصلاح أفراد الأمة ، جماعتها ، أسرها ، جماعاتها ، ...^(٢)

وفي هذا المبحث سأبين أهم التدابير التي من شأنها إعادة الأمة إلى وسطيتها وحمايتها من الانحرافات يمنية ويسرة :

المطلب الأول : دوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سبيل التذكير المستمر

ويعتبر ذلك من أهم الواجبات التي تتكلف بها الأمة الإسلامية ، وتهاونها في هذا الأمر يعود عليها بالضعف وتفرق الكلمة وطمع الأعداء وتشنيت الجماعات .^(٣) ويعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القطب الأعظم في الدين وإقامته استلقت الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس^(٤) " والخطاب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متوجه إلى فئتين من المجتمع " : الولاة : ويعتبر ذلك جزءا من الواجب المنوط بهم والفتنة الثانية : العلماء : فأهل العلم هم أخص المعنيين بقوله تعالى : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

^١ . خليل ، الغلو ، ص 455

^٢ . الميداني ، فقه الدعوة إلى الله / ج 2 ، ص 221

^٣ . الميداني ، المرجع نفسه / ج 2 ، ص 222

^٤ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 287

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ^(١) "وأما عامة المسلمين : فهؤلاء يضبط إنكارهم بضوابط شرعية كثيرة وشروط تختلف باختلاف المنكر والمنكر عليه والمنكر ولكن حين تتحقق هذه الضوابط وتتوافر الشروط يسوغ للمرء الأمر والنهي" . ^(٢) ومن أهم هذه الشروط أن يكون المنكر محل اتفاق بين الأئمة المشهود لهم بأهلية الاجتهاد على أنه من المنكرات المحرمة في الشرع فعلا أو تركا ، وأن يكون فاعل المنكر عالما بحرمة مجاها به . ^(٣)

الفرع الأول : نشر التوعية والتثقيف بين المسلمين

فيجب أن ننشر بين المسلمين أن اليسر من أهم سمات الإسلام وأنه لا يعني التميع والتسيب وأنه محدد المعالم والضوابط ليعلم الذين ينتشدون في الدين ويعتقدون أنهم يعبدون الله بخلوهم أن عملهم هذا مناقض للفطرة والشرع .

الفرع الثاني : أن الدين الإسلامي جاء موافقا للفطرة

يجب أن ننشر بين المسلمين أن الله جعل هذا الدين دين الفطرة ، وأمور الفطرة مستقرة بالنفوس ، سهل عليها تقبلها ، ومما تركز في النفس النفور من الشدة والعنف ، والله تعالى أراد عموم الشريعة ودوامها لذلك كان تنفيذها بين الناس سهلا .

الفرع الثالث : التحذير من الغلو في الأقوال والأفعال

ومن جهة أخرى يجب التحذير من الغلو وأنه مناقض لليسر والتيسير فهو في التعامل مع النفس إعنات بها ، وتضييق عليها ومع الناس إعنات لهم وتضييق عليهم ، وأن رفع الغلو لا يكون إلا بالعودة إلى ما هو موافق لمقصود الشارع . ^(٤)

الفرع الرابع : الإعراض عن الذين يخوضون في أحاديث التشكيك والكفر

^١ . سورة آل عمران / آية 104
^٢ . اللويحق ، مشكلة الغلو / ج3 ، ص969- ص971
^٣ . الميداني، فقه الدعوة إلى الله / ج2 ، ص241
^٤ . اللويحق ، المرجع السابق/ ج3، ص977 ، ص978

ويجب على كل مسلم . بأمر من الله تعالى . أن يعرض عن الذين يخوضون في آيات الله بأحاديث كفر أو تشكيك أو طعن أو تشويه ، والمراد بالإعراض مفارقة المجلس وعدم القعود مع الخائضين ، لإشعارهم بفحش ما يصنعون وتقريظهم في حق الله تعالى والموافقة على انتهاك حرمة ، وإن استطاع المسلم أن يقيم الحجة عليهم ويجادلهم بالحسنى فعليه أن يفعل وإلا كانت المفارقة في حقه واجبة .

قال تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 68 وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } (١)

المطلب الثاني : الاعتراف بالانتماء للإسلام

يجب أن يعترف المجتمع أنه منتمي للإسلام وأن الإسلام ليس شعارا يرفع أو هوية تحمل وإنما هو منهج حياة متكامل بصيغته الربانية ، يوجهها ويضع لها الإطار الذي يضبط سيرها وحركتها ، فيرشدها إلى طريق الصلاح ويحميها من الزلل . (٢)

فلا بد لهذا المجتمع حتى يكون مسلما أن يلتزم بالإسلام كله في شتى مرافق الحياة والرضا بحكم

الله ورسوله في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية قال تعالى : { أَفَسَوْمُونَ

بِعِضِّ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٣)

١ . سورة الأنعام / آية 68-69

٢ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 130 ، ص 131 ، خليل ، الغلو ، 461- ص 462

٣ . سورة البقرة / آية 85

فحتى يستقر المجتمع لا بد أن تكون الحاكمة فيه لجهة واحدة هي الخالق عز وجل ممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى : { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١)

المطلب الثالث : واجب أولي الأمر في العودة إلى الوسطية الإسلامية

ينبغي على الدولة أسلمة جميع أجهزتها السياسية والاقتصادية والتعليمية ، وأن لا يكون الدين للمساجد وخطب الجمعة ، فالإسلام دين شامل متكامل ومن هنا اكتسب عموميته فأصبح ديناً

وسطاً . " إن كل كلمة في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام هي جزء من منهج التربية

الإسلامية ، ولو كانت توجيهها سياسياً أو اقتصادياً " فالمنهج القرآني يتناول الإنسان كله

جسمه عقله وروحه ، وبأخذ ألوان النشاط كلها ، في الحياة الدنيا ، وما يترتب عليها في الحياة الآخرة . فهذا الدين دين تربية ، والكتاب المنزل من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

هو منهج شامل للتربية (٢) فالمدارس مثلاً يجب أن تولي التربية الإسلامية جل اهتمامها

بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي توظف لخدمة هذا الدين وأهله فتخرج جيلاً ربانياً محدد الهدف

كي يحقق في الكون ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُ مِنَ الاستخلاف والعبادة قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } 56 { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ } 57 { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو

الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } (٣) ، ولتحقيق ذلك يجب مراعاة عدة أمور من بينها إعادة صياغة المناهج من

المرحلة الأساسية ، وأن تزداد العناية باللغة العربية والدين الإسلامي ، (٤) فننشئ جيلاً يكون

بمثابة حجر الأساس للقيام بالتغيير ، فننشر العقيدة الإسلامية الصحيحة ونعطي تصوراً صحيحاً

عن الإسلام سلوكاً وتعاملاً ومنهجاً للحياة ، فتحل تدريجياً الوسطية بسماحتها بدل التفريط والإفراط

١ . سورة النور / آية 51

٢ . قطب ، محمد ، الإسلام كيدل عن الأفكار والعقائد المستوردة ، ص2 - ص3 ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط1 ، (1413 هـ - 1993 م)

٣ . سورة الذاريات / آية 5 - 58

٤ . خليل ، الغلو ، ص471

في جوانب الحياة المختلفة قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١)

المطلب الرابع : أسلمة الجهاز الإعلامي

ينبغي على الدولة الإسلامية أسلمة الجهاز الإعلامي فيكون إعلامنا مستقلا متميزا بديلا عن الإعلام الغربي الجاهلي الذي أفسد علينا ديننا وأخلاقنا وقيمتنا ولوث عقول أبنائنا وسار بهم عن جادة الحق والخير ، فاستهان المسلم بدينه وفرط في حق ربه (٢) . من هنا كان واجب الدولة مراقبة جهاز الإعلام بجميع فئاته : الصحافة ، الإذاعة ، التلفاز ... ، فيكون النظام الإعلامي ثابتا بأسسه وأساليبه المستمدة من الجذور الثابتة التي وضعها الله تعالى في الإسلام ولا يجوز له أن يخرج عن المجال المحدد له ، ومن جهة أخرى فهناك واجب على الإعلاميين أنفسهم ، وأهم واجب عليهم : أن يرضوا بثوابت الإسلام وأن يدوروا في فلكه ، وأن يعملوا فكرهم لاستنتاج قواعد الإعلام من خلال الآيات الكريمة والسنة الشريفة المطهرة وأن لا يغريهم بريق المدنية الخادع حتى يتطفلوا على موائدها ويستلهموا أفكارهم منها . (٣)

ومن العوامل التي تساعد على ثبات الإعلام الإسلامي :

الفرع الأول : أن يخلصوا نياتهم لله تعالى

قال تعالى : { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (٤)

وبذلك تسود قواعد عامة بين رجال الإعلام وهي معرفة الغاية ووضوح الهدف ، والبعد عن المشاحنات وعدم التتبع والغلو وجعل حبل المودة ممدود بين الإعلامي والعامية وهذا هدف لا يتغير حكمه من عصر إلى عصر .

^١ . سورة الرعد / آية 11

^٢ . قطب ، الإسلام كبدل عن الأفكار والعقائد المستوردة ، ص 145 - ص 153 . بتصرف

^٣ . يوسف ، محمد خير رمضان ، خصائص الإعلام الإسلامي ، ص 68 - ص 69 ، دار العمير للثقافة والنشر ، ط 2 ، (1412 هـ -

1991م)

^٤ . سورة الكهف / آية 110

الفرع الثاني : المحافظة على القواعد الثابتة للدين والتمسك بها

يجب على الإعلامي الإسلامي المحافظة على القواعد الثابتة للدين والتمسك بها وعليه أن يبحث عن الأساليب الإعلامية المختلفة في الإسلام قبل كل شيء ثم يستفيد من تجارب الآخرين وبقيس الأخير على الأول .

الفرع الثالث : محاسبة الإعلامي نفسه

أن يقف الإعلاميون وقفة محاسبة مع أنفسهم ليعرفوا أين وصلوا في دعوتهم ، وهل بلغوا الدعوة إلى سائر الناس أم قصرُوا ، وهل يعملون كيد واحدة أم متفرقين ، وهل أولوا موضوع الدعوة جل اهتمامهم أم غرقوا في الشهوات والملذات .

الفرع الرابع : واجب الإعلامي في توضيح حقيقة الدين

كما يجب على الإعلاميين أن يوضحوا للناس حقيقة الدين الإسلامي وأنه دين يسر لا عسر فيه ، وأنه دين الرحمة ، وقد نهى عن الغلو في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فيكون إعلامهم مسخراً لبيان منهج الإسلام عن علم راسخ ووعي حضاري ومعالجة موضوعية للمشكلات المعترضة ، وهكذا تنصب جهودهم في جهة واحدة تبين للصديق والعدو أن الإسلام ثابت ودعوته ثابتة .

الفرع الخامس : الدعوة بالحكمة والأسلوب اللين

يجب على الإعلام أن يستخدم الأسلوب السهل اللين في دعوته وأن لا يلجأ للتشديد والتنفير على الناس ، فالشريعة جاءت بالتكاليف القليلة البسيطة التي يفهمها المتعلم والعامي فتتخذ من مشقة أو نفور^(١).

الفرع السادس : التسلح بسلح العلم والحقيقة

^١ . يوسف ، خصائص الإعلام الإسلامي ، ص 70 - ص 90 بتصرف

ينبغي على وسائل الإعلام الإسلامي التسلح بسلاح العلم والحقيقة ليرد على الشبهات التي تثار ضد الإسلام وتبث بين عوام المسلمين أن شرائع الإسلام قد أصبحت قديمة ولا تصلح لعصر الفضاء . (١)

وهناك العديد من خصائص الإعلام الإسلامي لا يسع المجال لذكرها جميعا وما أردت أن أصل إليه أن من واجب الدولة أن تخضع الإعلام لثوابت الإسلام وأن تسيره بالطرق التي أباحها الشرع فتأخذ الثوابت من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتترك الباب واسعا للمتغيرات التي تستقيها من الإعلام الآخر فيما لا يتعارض مع الثوابت ، وبذلك تتضح وسطية الإعلام الإسلامي فليس جامدا قاصرا على المواعظ والحكم والدروس الدينية "ينبغي أن نبين لهم مقتضى لا إله إلا الله في الاقتصاد .. في الاجتماع .. في السياسة .. في الفكر .. في الثقافة في كل شيء .. عندئذ يكون إعلامنا إسلاميا " . (٢)

وأخيرا يجب أن نكون واقعيين فهذا التغيير في الجهاز الإعلامي ليس سهلا فحتى ننجح في إيجاد جهاز إعلامي إسلامي يجب أن نتطرق حياتنا على قواعد الإسلام وأركانه وتنبثق انبثاقا ذاتيا من تصورات الإسلام ومفاهيمه ومن منهجه السلوكي العملي حينئذ يكون عندنا أمل في إنشاء جهاز إعلامي إسلامي له خصائصه المتميزة . (٣) ولا ننسى أن الإعلام ضروري في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالإعلام وخاصة التلفاز والفضائيات لها تأثيرها المباشر على العامة لذلك يجب الاهتمام بها .

المطلب الخامس : تنوع أسلوب الدعوة

١ . يوسف ، خصائص الإعلام الإسلامي ، ص 70 - ص 90 بتصرف
٢ . قطب ، الإسلام كيدل عن الأفكار والعقائد المستوردة ، ص 151
٣ . قطب ، المرجع نفسه ، ص 148

يجب على الدعاة أخذ الشباب بالرفق وأن لا يستعلوا عليهم ، ويعاملوهم بروح الأبوة الحانية والأخوة الراضية ، وأن لا يكون همهم إبراز مساوئهم ، وإنما يشعرونهم أنهم منهم وأنهم مستقبل الأمة وأملها ، (١) فندخل في قلوبهم الاطمئنان فيستمعون الحق ويسعون له وينشرونه فدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالتبشير لا بالتنفير .

المطلب السادس : استشعار مخافة الله عز وجل

يجب على علماء المسلمين استشعار مخافة الله تعالى وأنهم في منصبهم هذا يتحملون المسؤولية عن أنفسهم وعن العامة ، فمن واجبهم أن لا يكتفون ما علمهم الله ، وعليهم أن لا يفتوا بغير علم .

المطلب السابع : نشر عقيدة السلف ، عقيدة أهل السنة والجماعة

وعلى العلماء مسؤولية نشر عقيدة السلف ، عقيدة أهل السنة والجماعة وتدرسيها في المدارس والجامعات ، ووضعها ضمن مناهجهم ، وفي ذلك ضمان للمجتمع المسلم من الأفكار المغالية التي تشوه عقيدته ودينه . (٢)

المطلب الثامن : احترام العلماء بعضهم لبعض

يجب أن يكون الاحترام متبادل بين العلماء مهما اختلفت المذاهب وتعددت ولا يحق لأي منهم تكفير الآخر ما دام قال لا إله إلا الله فقد تواردت الأحاديث أنه من قالها عصم دمه وماله وحسابه على الله (٣) " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله " (٤) ، وكذلك الاحترام المتبادل بين المذاهب والتعاون فيما بينهم على إقامة ثوابت

١ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص 134 - 137

٢ . اللويحق ، الغلو في الدين ، ص 532

٣ . القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المنموم ، ص 106

٤ . رواه مسلم / الإيمان / (8) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله / 21 / ص 38 ورواية أخرى لمسلم في نفس الباب " عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله "

الإسلام : ويكون ذلك بالتسامح في الأمور المختلف فيها وهكذا تكتمل القاعدة الذهبية التي تقول " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " ، وللوصول إلى هذه القاعدة لا بد من مبادئ منها : (١)

الفرع الأول : أن يكون العلماء معتدلين في أحكامهم

أن يكون العلماء معتدلين في أحكامهم على غيرهم فيحترم كل صاحب مذهب رأي المذهب الآخر دون تجريح له أو انتقاص . إلا بأمر يخرج عن شرع الله فعلينا أن ننصحه ، فإن أبي فعلينا تحذير المسلمين من اتباعه . " وذلك مبني على أصل مهم وهو : أن كل ما ليس قطعيا من الأحكام هو أمر قابل للاجتهد وإذا كان يقبل الاجتهاد فهو يقبل الاختلاف " .

الفرع الثاني : التسامح واحترام الرأي الآخر

ومن القضايا التي تعين على التسامح واحترام الرأي الآخر الاعتقاد بإمكان تعدد الصواب ، فالتعدد ممكن وهذا ما يراه بعض الأصوليون من التعدد في قضايا الفروع " وأن الصواب في كل مسألة ما انتهى إليه حكم المجتهد فيها ، وإن اختلفت الاجتهادات ونتائجها اختلاف تضاد ، لا مجرد اختلاف تنوع ، بأن رأى أحدهم حل هذا الشيء والآخر رأى حرمة " " وأما من يرى تصويب كل المجتهدين باطلاق ، وهم جمهور علماء الأمة ، وأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب ، وهو ما تشهد له ظواهر النصوص من القرآن والسنة ، وتؤيده الأدلة ، فعندهم يمكن أن يتعدد الصواب أيضا في حالات معينة " (٢)

الفرع الثالث : حتمية الاختلاف في تكيف الواقع

^١ القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 97
^٢ القرضاوي ، المرجع السابق ، ص 99

فما يعين على التسامح أن الخلاف الذي نشهده اليوم ليس خلافاً على الحكم الشرعي ولكنه خلاف على تكييف الواقع الذي يترتب عليه الحكم الشرعي " وهو ما يسميه الفقهاء " تحقيق المناط " . (١)

المطلب التاسع : تعدد الفصائل في الساحة الإسلامية

ينبغي أن يكون التعدد في ساحة العمل الإسلامي تعدد تنوع وتخصص ، بمعنى أن عمل جماعة منه في مجال من المجالات لا يلغي عمل بقية الجماعات ، وعلى هذه الجماعات أن تعمل في تكامل وتعاضد ، وأن تتبادل فيما بينها التسديد والتناصح وأن يسود بين العاملين للإسلام من التراحم والتغافر والتناصر (٢)

واقالة العثرات ما يكونون معها أهلاً لنصر الله وتوفيقه . (٣) " فكل علم أهله ولكل فن رجاله " وقد أشار القرآن إلى التخصص في علوم الدين قال تعالى : { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } (٤) (٥)

المطلب العاشر : دور العلماء في التبشير

فهي من وسائل التحفيز للإنسان خاصة إذا كانت بداية إسلامه أو هدايته .
" فلا بد من تبشير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير " فلا يشعر بثقل التكاليف والواجبات عليه وهذا كان أسلوبه صلى الله عليه وسلم وبذلك يعود الإسلام إلى وسطيته تحفه البساطة واليسر . (٦)

١ . القرضاوي ، الصحو الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ص 103 بتصرف
٢ . الصاوي ، الثوابت والمتغيرات ، ص 263
٣ . الصاوي ، المرجع نفسه ، ص 263
٤ . سورة التوبة / آية 122
٥ . خليل ، الغلو ، ص 507
٦ . العاني ، أساليب الدعوة والتربية ، ص 233

المطلب الحادي عشر : الثبات على الحق والاعتصام به

ومن أهم الواجبات الملقاة على عاتق المسلمين الثبات على الحق والاعتصام به ، فالنفس لا يرتفع قدرها إلا بمقدار معرفتها بالحق وتمسكها به قال تعالى : { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ^(١) ولا يتوارى الباطل وأهله إلا بالجهر بالحق والعمل على نشره وإذا فقدت من الأمة فهذا إيذان بزوال دولة الإسلام وتزعزع أركانها . ^(٢)

المطلب الثاني عشر : دور المساجد

فللمساجد دور في إيجاد جيل قادر على حمل الإسلام ونشره بسماحته ويسره ، فيجب أن لا يقتصر المسجد على أداء الصلوات الخمس ، بل يجب أن يكون صرحا علميا تربويا ، وقاعدة ينطلق منها الدعاة لإعداد الأجيال على أساس ديني متين .
وبعد ذلك يأتي الدور في الإعداد النفسي لتحمل مشاق الدعوة ، منطلقين بقوة عقيدتهم وبأنهم الفئة المنصورة إن شاء الله التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم على الحق المبين .
هذه بعض النصائح للعودة إلى الوسطية الإسلامية ، وهي غيوض من فيض ، فمن يرى في نفسه القدرة على الإصلاح . مهما كان موقعه . والأخذ بيد المسلمين للعودة إلى الرشاد والطريق المستقيم فليبادر ولا ينتظر غيره ، ويحتسب وقته وجهده عند الله .

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } ^(٣)

^١ . سورة الزخرف ، آية 43

^٢ . عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص54

^٣ . سورة الرعد / آية 11

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

- للوسطية معانٍ متعددة منها : الشيء بين شيئين ، الأفضل الأعدل ، الخير .
- اختلف الفقهاء والأصوليون في تحديد المعنى الاصطلاحي للوسطية إلا أنهم وجدوا أنه لا يخرج عن معناها اللغوي .
- تعتبر الوسطية إحدى خصائص الإسلام وأهمهما إذ أنها تكاد تكون جزءاً لا يتجزأ من جميع الخصائص .
- ذُكرت الوسطية صراحةً في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مما لا يدع مجالاً للشك أنها من صلب عقيدتنا وشريعتنا وليست من مفاهيم الغرب الدخيلة علينا
- تتسم القواعد الأصولية ضمناً مفهوم الوسطية أو إحدى سماتها .
- يعبر عن الوسطية بالصرط المستقيم وهو يقع بين طرفي الإفراط والتفريط .
- للإفراط صور متعددة بين المسلمين مما يترتب عليه أخطار على المعتقدات من جهة وعلى الشريعة من جهة أخرى ، لذا لا بد من اتباع طرق العلاج الملائم لاستئصالها.
- للإسلام طريق واحد هو الصراط المستقيم ، وأي ابتعاد عنه يكون ابتعاداً عن الإسلام إما إلى الإفراط . إذا كان زائداً عن شرع الله تعالى . وإما إلى تفريط إذا كان تقصيراً في أداء شرع الله تعالى .
- للوسطية ضوابط حتى تكون وسطية إسلامية ولا تفسر كما يهوى الناس فيلصقون بها ما ليس منها .
- وللوسطية سمات متعددة ذكرنا في البحث ثمانية منها : اليسر ورفع الحرج والعدل والاعتدال والاقتصاد والحكمة والاستقامة والخيرية والبيئية .

- في الإسلام ثوابت لا يحق للمسلمين التلاعب فيها أو تحويلها أو التساهل في الدفاع عنها ، ولكن هذه الثوابت ليست جامدة وإنما مرنة من داخلها . أي أنها تسمح بالحركة دون الخروج عن حدودها .
- ويوجد في الإسلام متغيرات يدخل فيها مجال الاجتهاد .
- وتعتبر الثوابت والمتغيرات إحدى مظاهر الوسطية الإسلامية فهناك حركة وهناك ضوابط .
- إن من أهم أسباب ابتعاد الناس عن الوسطية الإسلامية الجهل واتباع الهوى والتعصب المذهبي والفكري . وأما الأسباب الأخرى فتكون فروعا لهذه الأسباب .
- وللابتعاد عن الوسطية الإسلامية آثار كثيرة منها : الابتداع في الدين ما ليس منه ويحدث الخلل في النفس ، ويضيع الحقوق ، ويحدث التشديد على النفس ، فيبتعد المسلم عن طريق الهداية ، فطريق الحق وطريق الباطل لا يلتقيان ويستحق الإنسان الهلاك لتعديه على شرع ربه .
- وعلى الأمة الإسلامية واجب ومسؤولية عظيمة للعودة إلى وسطية الإسلام : والمهمة على الجميع وليست خاصة بفئة محددة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل يعمل حسب قدرته وطاقته : فالحاكم مسئول والعالم مسئول والمجتمع مسئول والمربي مسئول .

قائمة الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
173 ، 45	5	إياك نعبد وإياك نستعين	الفاحة
185 ، 46	6	إهدنا الصراط المستقيم	الفاحة
185 ، 46	7	صراط الذين أنعمت عليهم	الفاحة
100	75	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	البقرة
245	85	أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض	البقرة
163	129	ويعلمهم الكتاب والحكمة	البقرة
106	142	يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم	البقرة
188، 184، 40 ، 7	143	وكذلك جعلناكم أمة وسطا	البقرة
217	151	كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا	البقرة
207، 121، 56، 31	173	فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه	البقرة
196	177	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب	البقرة
198، 93	178	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص	البقرة
120، 60، 32 ، أ	185	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	البقرة
198	187	تلك حدود الله فلا تقربوها	البقرة
153	201.200	فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا	البقرة
106	213	وَاللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	البقرة
19	215	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ	البقرة
19	219	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	البقرة
93	229	تلك حدود الله فلا تعتدوها	البقرة
197	230	وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون	البقرة
36	231	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف	البقرة
121، 129 ، 35	233	لا تضار والدة بولدها	البقرة
10	238	حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى	البقرة
164	251	وآتاه الله الملك والحكمة	البقرة
164	269	يوثي الحكمة من يشاء	البقرة
121	280	وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة	البقرة
25	282	يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين	البقرة
60، 75، 121، 122، 240	286	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها	البقرة
230	7	هو الذي أنزل عليك بالكتاب	آل عمران
97	14	زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين	آل عمران

230	19	إن الدين عند الله الإسلام	آل عمران
67	27.26	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء	آل عمران
244 ، 243 ، 182	104	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف	آل عمران
180	110	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف	آل عمران
198	159	وشاورهم في الأمر	آل عمران
196	10	إن الذين يأكلون أموال اليتامى إنما يأكلون في بطونهم نارا	النساء
36 ، 35	12	من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار	النساء
213	17	إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة	النساء
42	46	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه	النساء
164	54	فقد آتينا إبراهيم الكتاب والحكمة	النساء
134	58	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	النساء
222 ، 39	59	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	النساء
236	115	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى	النساء
134 ، 57	135	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله	النساء
147 ، 145 ، 84	171	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم	النساء
46	174	يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم	النساء
101	2	يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر ما أحل الله	المائدة
199 ، 56	3	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير	المائدة
234	3	اليوم أكملت لكم دينكم	المائدة
122 ، 32	6	ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج	المائدة
134	8	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط	المائدة
84 ، 42	13	فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم	المائدة
52	18	وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله	المائدة
198	38	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	المائدة
42	41	لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه	المائدة
165	54	أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين	المائدة
158	66	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل	المائدة
85	78 ، 77	قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق	المائدة
153	87	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم	المائدة
11	89	فكفارته إ طعام عشرة مساكين من أوسط	المائدة
88	101	يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء	المائدة
77	18	وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير	الأنعام
94	31	قد خسر الذين كذبوا بقاء الله	الأنعام
223	32	وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب	الأنعام

94	38	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه	الأنعام
213	54	من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده	الأنعام
94	61	وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة	الأنعام
245	69 . 68	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا	الأنعام
211	119	وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه	الأنعام
188	124	الله أعلم حيث يجعل رسالته	الأنعام
211	140	قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم	الأنعام
211	144	فمن أظلم ممن افترى على الله كذا ليضل الناس	الأنعام
106	153	وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	الأنعام
231	159	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	الأنعام
153	33 . 32	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	الأعراف
175	96	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات	الأعراف
85	31	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	التوبة
159	42	لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك	التوبة
219	69	كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا	التوبة
33 . 32	91	ليس على الضعفاء ولا على المرضى	التوبة
252	122	ولولا نفر من كل فرقة	التوبة
30	36	وما يتبع أكثرهم إلا ظنا	يونس
178	89	قال قد أجيببت دعوتكما فاستقيما	يونس
178، 174	112	فاستقم كما أمرت	هود
94	80	ومن قبل ما فرطتم بيوסף	يوسف
171	92	قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم	يوسف
253، 247، 208	11	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	الرعد
169	6	وإذ قال موسى لقومه أذكروا نعمة الله عليكم	إبراهيم
61، 47، 43 . 42	9	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	الحجر
159	9	وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر	النحل
217	43	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	النحل
135	90	إن الله يأمر بالعدل والإحسان	النحل
90.164.168.169	125	وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	النحل
212 ، ج	15	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	الإسراء
134	35	وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم	الإسراء
146	29	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط	الإسراء
94	28	ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا	الكهف
97	46	المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات	الكهف

235	104	الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا	الكهف
247 ، 146	110	فمن كان يرجو لقاء ربه	الكهف
177	71	وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا	مريم
121	32 . 25	رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري	طه
95 ، 85	45	قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا	طه
121	70	ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض	الحج
182	77	يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم	الحج
182 ، 122 ، 8 ، أ	78	وجاهدوا في الله حق جهاده	الحج
220	71	ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض	المؤمنون
198	2	الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة	النور
246	51	إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله	النور
146 ، 27	67	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	الفرقان
224 ، 220	50	فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم	القصص
145	77	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة	القصص
51	8	ألم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات	الروم
160	18	ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا	لقمان
159 ، 145	19	واقصد في مشيك واغضض من صوتك	لقمان
160	32	وإذا غشيهم موج كالكظلم دعوا الله مخلصين له الدين	لقمان
214 ، 59	72	إنا عرضا الأمانة على السموات والأرض والجبال	الأحزاب
65	28	وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا	سبأ
46	46	قل إنما أعظكم بواحدة	سبأ
161	32	ثم أورثنا الذين الذين الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	فاطر
166	25 . 20	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى	يس
72	40	لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر	يس
220	26	ولا تتبع الهوى فيضلك	ص
146	86	قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين	ص
95	56	أن تقول نفس يا حسرتا ما فرطت في جنب الله	الزمر
41	2	إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله	الزمر
165	28	وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه	غافر
174	30	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة	فصلت
150	11	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى
174	15	فلذلك فادع واستقم	الشورى
97	30	وما أصابك من مصيبة فبما كسبت أيديكم	الشورى
198	38	وأمرهم شورى بينهم	الشورى

171	40	فمن عفا وأصلح فأجره على الله	الشورى
253	43	فاستمسك بالذي أوحى إليك	الزخرف
220	23	أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم	الجنات
174	14. 13	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم	الأحقاف
107 ، 106	2	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر	الفتح
165	29	أشداء على الكفار رحماء بينهم	الفتح
160	3	إن الذين يغيضون أصواتهم عند رسول الله	الحجرات
21	7	واعلموا أن فيكم رسول الله	الحجرات
65 ، 62	13	إن أكرمكم عند الله أتقاكم	الحجرات
246 ، 45	58 . 56	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات
218	23	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس	النجم
219	28	وما لهم به من علم إلا اتباع الظن	النجم
85	27	ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم	الحديد
235	5	فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	الصف
223	15	إنما أموالكم وأولادكم فتنة	التغابن
178 ، 129	16	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن
65	22	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون	المجادلة
47 ، هـ	14	إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	الملك
54	15	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها	الملك
13	28	قال أوسطهم	القلم
174	16	وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا	الجن
221	40	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	النازعات
145	7	الذي خلقك فسواك فعدلك	الإنفطار
134	1	ويل للمطففين	المطففين
ب	10	وهديناه النجدين	البلد
71	8 . 7	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا	الزلزلة
13	5	فوسطن به جمعا	العاديات

قائمة الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	طرف الحديث
147	أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء
162	أتراه مرانيا فقلت الله ورسوله أعلم
227	أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب
176	اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
147	أحب حبيبك هونا ما
197	اجتنبوا السبع الموبقات
33	أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة
176	إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان
30 . 29	إذا سها أحدكم في صلاته
29	إذا وجد أحدكم في بطنه شيئا فأشكرك عليه
176	استقيموا ولن تحصوا
181	أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء
236	اعلم يا بلال
32 - 31	الأعمال بالنية
242	أقرعوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم
86	إقرعوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه
123	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
237	ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا
250	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
199	أن امرأة يعني من غامد أتت النبي
22 - 21	أن الحولاء بنت تويت
123 - 122	إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه
32 - 31	إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
34	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن لا ضرر ولا ضرار
170	إن فيك خصلتان
137	أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية
104	إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفى الصراط
211	إن الله لا يقبض العلم انتزاعا

55	إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم
240	إن الله يحب أن تؤتى رخصه
152	إن الله يغار
166	إن لكل شيء شرة
233	إن لنفسك عليك حقا
136	إن المقسطين عند الله على منابر من نور
221	إن مما أخشى عليكم شهوات الغي
221	إن الناس إذا رأوا الظالم
239 – 238	أن هذا الدين متين
16 – 15	أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وهاجر
182	إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها
138	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
206	إنما نزل أول ما نزل من المفصل
95	إنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة
95	إني فرطكم وإني شهيد عليكم
126	إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها
123	أي الأديان أحب إلى الله
213	إياكم والمرء
125	إياكم والوصال مرتين
154	أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب
241 – 240	أيها الناس قد فرض عليكم الحج
197	الإيمان بضع وسبعون شعبة
197	بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا
16	البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه
196	بني الإسلام على خمس
136	بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه
154	بيننا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم
126	تداووا عباد الله
161	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
156- 155	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
10	حبسوننا عن الصلاة الوسطى
124	خذوا من الأعمال ما تطيقون
181	خيركم قرني ثم الذين يلونهم
21	دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين

178 ، 33	دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم
70	رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة
151	رحم الله رجلا سمحا إذا باع
124	سددوا وقاربوا
10	صلاة الوسطى صلاة العصر
124	عليكم من الأعمال ما تطيقون
161	فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا
145	في أي صورة ما شاء ركبك
148	في كم أقرأ القرآن
125، 33	قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس
217	قتلوه قتلهم الله
213	القضاة ثلاثة قاضيان في النار
175	قل آمنت بالله فلستقم
176	قل ربي الله ثم استقم
238	قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا
138	كان خلقه القرآن
12	كان الرجل يقوت أهله قوتا فيه سعة
131	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالي بعض تأخير صلاة العشاء
88	كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء
17	كان معاذ يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤم قومه
242	كلاكما محسن ولا تختلفا
107	كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا
136	كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير
180	كنتم خير أمة أخرجت للناس
220 ، 96	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
241	لا تشددوا على أنفسكم
86	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
199	لا تقطع الأيدي في الغزو
125	لا تواصلوا
166	لا حسد إلا في اثنتين
34	لا ضرر ولا ضرار
166	لا عقل كالتدبير ولا
171	لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
148	لم عذبت نفسك

107	لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية
238	لما نزلت هذه الآية " وإن تيدو ما في أنفسكم
162	لن ينجي أحدا منكم عمله
126	لولا أن أشق على أمتي
170	ليس الشديد بالصرعة
216	ما ابتدع قوم بدعة في دينهم
ب ، 123	ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا إختار أيسرهما
162	ما عال من اقتصد
144	ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
162	مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يصلي على صخرة
152	من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله
15	من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان
234	من أحدث في أمرنا هذا
95	من تبع جنازة فله قيراط
233 ، 232	من دعا إلى هدى كان له من الأجر
35	من ضار ضار الله به
107	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
124	مه عليكم بما تطيقون
200	مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم
ب	نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف من الأحزاب
155	نذرت امرأة أن تمشي إلى بيت الله
86	هات القط لي حصيات
124 ، 87 ، 31	هلك المتنتعون قالها ثلاثا
146	ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
17	الوالد أوسط أبواب الجنة
16	وسطوا الإمام وسدوا الخلل
234	وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها الدموع
205	يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم
86	يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل
175 ، 139	يا معشر القرآء استقيموا
7	يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول نعم أي رب
183 ، 136	يدعى نوح يوم القيامة
122	يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا
122	يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا

قائمة المصادر والمراجع

1	أمدي ، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ، ضبطه وكتب حواشيه الشيخ إبراهيم العجوز (م . 1م 2) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت (
2	أبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود، اعداد خالد عبد الفتاح شبل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1417هـ . 1997م)
3	إبراهيم ، حسن، الوسطية العربية / جزآن ، دار المعارف ، بيروت
4	ابن الأثير، الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري / (544هـ . 606هـ) ، النهاية في غريب الحديث / ج5 ، تحقيق محمود محمد الطناجي ، دار الفكر، ط2، (1399هـ-1979م)
5	ابن بلبان، الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، ت 739 هـ ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، حققه واخرج أحاديثه شعيب الاناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، (1408هـ - 1988م)
6	ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد عبد الحلیم بن عبد السلام / ت 728هـ ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / جزآن ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط8 ، (1421هـ . 2000م)
7	ابن تيمية ، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الرحيم ، درء تعارض العقل والنقل/ ج2 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، (1399هـ 1979م)
8	ابن الجوزي ، الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي / ت597هـ ، نقد العلم والعلماء أو تلبیس إبليس ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة علماء الأزهر الشريف ، حقوق الطبع محفوظة لمحمد منير الدمشقي مصححه ومقيد حواشيه ، دار الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .
9	ابن الجوزي ، صحيح البخاري مع كشف المشكل ، حققه د . مصطفى وهبة، دار الحديث، القاهرة، ط1 ، (1420هـ - 2000م)
10	ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، البصائر للإنتاج العلمي، ط1 ، (1418هـ - 1998م)
11	ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم / (213هـ . 276هـ) ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، (1398هـ . 1978م)

12	ابن كثير ، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي / ت774هـ ، تفسير القرآن العظيم / ج1، أشرف على طبعتها وصححتها لجنة من علماء دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، (1389هـ . 1970)
13	ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب / م1، دار الفكر ، بيروت، د. ط ، د. ت
14	ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب المحيط / ج1 إعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب، بيروت ، د. ط ، د. ت
15	أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي / 202هـ 275هـ ، سنن أبي داود ، ج3، شرح وتحقيق د. السيد محمد سيد و د. عبد القادر عبد الخير و الأستاذ سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، (1420هـ . 1999م)
16	أبو عجمية، د. محمود أحمد وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، المكتبة الجامعية للنشر، نابلس ، د. ط، 1994
17	ألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي / ت1270هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، 1345هـ .
18	أميري، عمر بهاء الدين، وسطية الإسلام وأمتة في ضوء الفقه الحضاري، الدوحة، دار الثقافة، ط1 ، (1406هـ - 1986م)
19	أندلسي ، أبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الأندلسي (316هـ . 379هـ / 928م . 989م ، مختصر العين ج قدم له وحققه دكتور نور حامد الشاذلي، علم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1417هـ . 1996م)
20	أنيس، د. إبراهيم، وآخرون ، المعجم الوسيط/ جزئين ، أشرف على الطباعة حسن عطية ومحمد أمين ، د. د ، القاهرة ، ط2 ، د. ت .
21	باعد الله ، د. محمد باكريم محمد باعد الله ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، دار الولاية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 (1415هـ 1994م9)
22	بخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزذبة البخاري الجعفي رضي الله عنه ، صحيح البخاري ، ثلاث مجلدات ، دار ومطابع الشعب ، د. ط ، د. ت
23	بري ، زكريا البري ، أصول الفقه الإسلامي / ج1 ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، دار النهضة العربية للنشر ، القاهرة ، ط3 ، د. ت
24	بغدادى ، الإمام الأستاذ أبي عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي / ت429 أصول الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، (1400هـ . 1980م)

25	بوصيري ، شهاب احمد بن أبي بكر البوصيري / (762هـ . 840هـ) ، مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة، تحقيق وتعليق موسى محمد علي و د. عزت عطية، دار التوفيق النموذجية للطباعة، دار الكتب الإسلامية للنشر، ط1 ، (1405هـ - 1985م)
26	ترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي ، تحقيق د. مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، (1419هـ . 1999م) . وسنن الترمذي حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني
27	تكريتي، ناجي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس، بيروت ، ط2 ، 1982
28	الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها /1 ، برنامج التعليم المفتوح ، القدس ، 1992
29	جزائري ، أبو بكر جابر ، منهاج المسلم / كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات ، دار الوعي ، حلب ، د. ط ، (1411هـ . 1991م)
30	جوزية ، ابن القيم الجوزية ، إغائة اللهفان من مصادد الشيطان، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الحديث ، الأزهر ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، د. ط ، د. ت
31	جوزية ، ابن القيم الجوزية / ت 751 ، تهذيب مدارج السالكين ، هذب عبد المنعم صالح العلي العزي ، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ط ، د. ت .
32	جوزية، ابن القيم الجوزية ، الفوائد ، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د. ط ، د. ت
33	جوهرى ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية / ج4 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، (1399هـ . 1979م)
34	حنبلي، ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن احمد ، جامع العلوم والحكم دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ط ، د. ت
35	حوى ، سعيد، الإسلام ، راجعه وهبي سليمان الفالوجي، ط1 ، (1385هـ - 1970م)
36	حوى ، سعيد ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط4 (1408هـ . 1988)
37	خالدي ، د. محمود ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية / ج1، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ط1 ، (1403هـ-1983م)
38	خطيب، عمر عودة الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 (1419هـ . 1998م)

39	خليل ، مصطفى عبد الرحمن، الغلو دوافعه . أسبابه . سبل العلاج ، راجعه الشيخ محمد صفوت نور الدين، دار الكتب المصرية ، ط1 (1419هـ-1999م)
40	خن ، د. مصطفى سعيد ، وآخرون ، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، جزآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط15 (1408 هـ . 1988م)
41	دارقطني ، الإمام الحافظ علي بن عمرالخن / ت 385هـ ، سنن الدارقطني أربعة مجلدات ، علق عليه وخرج أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1417 هـ . 1996م)
42	دريني ، الأستاذ الدكتور فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دار البشير ، عمان ، ط2 ، (1419 هـ . 1998م)
43	ديسي ، د . محمد خليل محسن ، التربية الإجتماعية في فكر الإمام الغزالي / دراسة مقارنة ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، (1421 هـ . 2001م)
44	رازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / ت 666هـ ، مختار الصحاح ، بيروت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ، د.ط ، د.ت
45	رافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي الرافعي / ت770هـ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / جزآن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط ، د. ت
46	رضا ، السيد الإمام محمد رشيد (1865 هـ . 1935م) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار / ج1 ، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1420 هـ . 1999م)
47	زبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الأندلسي ، (316 هـ . 379 هـ) ، مختصر العين / ج1 ، قدم له وحققه د. نور الشاذلي ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط1 ، (1417 هـ . 1996م)
48	زبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس / ج20، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، ط (1409 هـ - 1989م)
49	زحيلي، د. محمد الزحيلي ، الاعتدال في التدين ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط3 ، (1413 هـ . 1992م)
50	زحيلي، د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا، د.ط (إعادة 1417هـ - 1997م)
51	زرقاء ، مصطفى ، المدخل الفقهي العام ثلاثة أجزاء / دار الفكر / مطابع ألف باء . الأديب / دمشق ، ط9 ، 1967 . 1968م
52	زكريا، ابي الحسين احمد بن فارس، (.... ، 395هـ ، معجم مقاييس اللغة / ج6، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2 (1392 هـ - 1972م)

53	زناتي ، الشيخ أحمد ، الهداية إلى الصراط المستقيم ، دار الأهلوية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م
54	زيدان ، عبد الكريم ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط6 ، 1981م . 1401هـ
55	زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط6، (1417هـ-1997م)
56	الزوين ، سميح عاطف ، مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم /ج1 ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع ، ط3 ، (1414 هـ . 1994 م)
57	السلمي ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام / ت 660هـ ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام / ج2 ، المراجعة اللغوية محمود بن التلاميذ الشنقيطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، دار المعرفة ، لبنان ، د.ط ، د.ت
58	سيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / ت 911هـ، الأشباه والنظائر / جزءان، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1419هـ- 1998م)
59	شاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي / ت790هـ. الاعتصام / جزئين ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط4 ، (1416 هـ . 1995 م)
60	شاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي / ت790هـ ، الموافقات في أصول الشريعة/ أربعة أجزاء ، بقلم الأستاذ الشيخ عبد الله دراز ، وقد عني بضبطه وتفصيله ووضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله دراز دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، د.ت
61	شافعي ، الإمام المطلبي محمد بن ادريس الشافعي / 150 هـ . 204هـ الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1309هـ .
62	شرتوني، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، اقرب الموارد، مطبعة مرسلي اليسوعي، بيروت، ط1 ، 1989
63	شرقاوي ، د. حسن الشرقاوي ، نحو الثقافة الإسلامية، دار المعارف، بيروت، د.ط ، 1979.
64	شلتوت ، محمود ، تفسير القرآن الكريم ، دار القلم ، ط3 ، 1965
65	الشيبياني ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، كتاب الزهد ، حققه وخرج أحاديثه عصام الحرساني ، محمد الزغلي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، (1414 هـ . 1994م)
66	الشيبياني ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل 164هـ . 241هـ ، الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد / 49 جزء ، المشرف العام على إصدار هذه الموسوعة د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شارك في التحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، (1420 هـ . 1999
67	صابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن، بيروت، ط2 ، (1401 هـ - 1981م

68	صاوي ، العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي / 175هـ . 1241هـ ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1415هـ . 1995م)
69	الصاوي ، د. صلاح ، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي ، مطابع أضواء البيان ، الرياض ، د. ط ، د. ت
70	صبري ، د. عكرمة ، الإسلام والتحديث ، القدس ، ط1 ، (1403هـ . 1983م)
71	صلاحي ، د. علي محمد الصلاحي / المصراني، الوسطية في القرآن الكريم ، دار النفائس / دار البيارق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، (1419هـ . 1999م)
72	طبارة ، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط21 ، د.ت
73	طبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري / 224هـ . 310هـ ، تفسير الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبه وقربه وخدمه الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ، خرج أحاديثه إبراهيم محمد العلي ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، ط1 ، (1418هـ . 1997م)
74	طنطاوي ، د. محمد السيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم / م1 ، دار الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط3 ، (1407هـ . 1987)
75	عالم ، د. يوسف حامد العالم ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، دار الحديث للطبع والنشر ، القاهرة ، دار السودانية للطباعة والنشر ، الخرطوم ، د. ط ، د. ت
76	العاني ، زياد محمود ، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، (1420هـ . 2000م)
77	عبد الحميد، د. محسن، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان ، ط1 ، (1420هـ 2000)
78	عبد العزيز، د. أمير، دراسات في الثقافة الإسلامية / مدخل إلى الدين الإسلامي ، الناشر مطبعة الخليل الإسلامية ، ط3 ، (1403هـ - 1983م)
79	عبد القادر، محمد احمد، ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال والتعصب ، دار المعرفة، الإسكندرية، 1994
80	عبد الله ، محمد حسين ، مفاهيم إسلامية / ج2 ، دار البيارق ، بيروت ، ط1 ، (1417هـ . 1996م)
81	عثمان، د. عبد الكريم، معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ، (1402هـ - 1982م)
82	عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، (1419هـ - 1998م)

83	عسقلاني، الإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (773هـ - 852هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محي الدين الخطيب
84	عمر، د. ناصر بن سليمان ، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، دار الوطن للنشر، الرياض ، ط1 ، 1413هـ
85	عمري ، نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1 ، (1401هـ- 1981م)
86	غزالي، حجة الإسلام العلامة محمد أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين/ ج1 . ج3 دار الجبل ، بيروت ، د. ط ، د. ت .
87	فرفور، د. محمد عبد اللطيف ، الوسطية في الإسلام ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1414هـ . 1993م)
88	فيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز أبادي ، القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة / ج2 ، جمعها الشيخ نصر الهويني ، مطبعة الحسيني، مصر ، ط1 ، 1330هـ.
89	قرضاوي ، د. يوسف القرضاوي ، بينات الحل الإسلامي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط2 ، (1414هـ . 1993م)
90	قرضاوي ، د. يوسف القرضاوي ، الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط5 ، (1413هـ . 1993م)
91	قرضاوي ، د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة ، ط1 ، (1973هـ . 1977م)
92	قرضاوي ، د. يوسف القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط15 ، (1405هـ . 1985م)
93	قرضاوي ، يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط3 ، (1414هـ . 1993م)
94	قرضاوي ، يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط6 ، (1416هـ . 1966م)
95	قرضاوي، يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2 ، (1416هـ . 199م)
96	القرضاوي ، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، (1416هـ . 1996م)

97	قرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مطبعة دار الكتب المصرية / دار القلم ، ط3 ، 1386هـ . 1966م))
98	قزويني ، أبو عبد الله محمد بن يزيد الشهير (ابن ماجه) / (209هـ . 273هـ) سنن ابن ماجه طبعة مميزة بضبط نصها ، مع تمييز زيادات أبي الحسن القطان ، وحكم على الأحاديث والآثار وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ووضع الحكم على الأحاديث والآثار وفهرست الأطراف والكتب والأبواب واعتنى به أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، الرياض ، ط1 ، د.ت
99	قطب، سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، بيروت ، د.ط ، د.ت
100	قطب، سيد، في ظلال القرآن ، دار الشرق ، ط9 ، (1400هـ . 1980م)
101	قطب ، محمد ، الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة وأبحاث أخرى ، مكتبة السنة السلفية لنشر العلم / دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي ، القاهرة ، ط1 ، (1413هـ . 1993م)
102	قطب، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ، د . ت
103	قعدان ، زيدان عبد الفتاح ، منهج الاقتصاد في القرآن ، مؤسسة الرسالة للطبع والتوزيع ، دار البشير للنشر، ط1 ، (1418هـ . 1997م)
104	كامل، عمر عبد الله ، وكذلك جعلناكم أمة وسط بين الأصوليين والخوارج ، د.د ، د.ط ، د.ت
105	كاندهلوي ، الشيخ يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، أربعة أجزاء ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة . د. ط . د . ت
106	كمال ، يوسف ، مستقبل الحضارة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط2 ، (1408 هـ . 1987م)
107	لويحق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، (1412هـ . 1992م) وأصلها رسالة ماجستير قدمت لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود ، عام 1412هـ
108	لويحق ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مشكلة الغلو في العصر الحاضر / الأسباب ، الآثار، العلاج ، ثلاثة أجزاء ، د. د ، ط1 ، (1419هـ . 1998
109	ماوردي، ابو الحسن على بن محمد بن حبيب / ت 450هـ ، الأحكام السلطانية ، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الاعتصام، د.ط ، د.ت
110	مبار كفوري، الإمام الحافظ أبي العلام محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (1283هـ - 1353م) ، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت
111	مذكور ، محمد سلام ، مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأحكام الفقهية والعقائدية / ج2، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، (1393هـ . 1973م)

112	مراغي، عبد الله ، الزواج والطلاق في جميع الأديان، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع والعشرون، أشرف على الإصدار محمد توفيق عويضة ، د . ط ، (1385هـ - 1966م)
113	مرصفي ، د. سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، (1421هـ . 2000م) .
114	مستو، محي الدين ديب، الطعام والشراب بين الاعتدال والإسراف، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1 ، (1414هـ - 1994م)
115	ميداني ، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة ، الأمة الربانية الواحدة ، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق ، ط1، (1403هـ . 1983م)
116	ميداني ، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، دمشق ، ط8 ، (1418هـ . 1997م)
117	الميداني ، الشيخ عبد الرحمن حبنكة ، فقه الدعوة إلى الله ، ج1، دار القلم ، دمشق ، ط1، (1417هـ . 1996م)
118	ميداني ، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة ، الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ . 1997م)
119	ميداني، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، الوسطية في الإسلام (الدولة)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1461هـ - 1966م)
120	المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت
121	الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة ، بيروت ، (1406 هـ . 1986م)
122	نصر، محمد موسى ، الإسلام وقضايا العصر ، دار المناهج للتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1997
123	نوح ، د. السيد محمد ، آفات على الطريق / ج2 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1409هـ . 1989م ، آفات على الطريق / ج3 ، ط3 ، (1415هـ - 1994م)، ج1 (ط10) 1415هـ . 1994م)) ، ج3، ج4 (ط1) 1413هـ . 1993م))
124	نوفل ، احمد ، وآخرون ، في الثقافة الإسلامية، جمعية أعمال المطابع التعاونية، عمان، دار عمار للنشر ، عمان ، ط2 (1411هـ-1990م)
125	نوووي ، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي / ت 631 هـ . 676هـ ، رياض الصالحين ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، مطبعة بيت المقدس ، القدس
126	نيسابوري ، الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، ومعه تلخيص الذهبي وكتاب الدرك بتخريج المستدرك وأحكام الأئمة الحفاظ على أسانيد منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ، " وزوائد المستدرك على الكتب الستة " " والاستدراك على المستدرك " والمدخل لمعرفة المستدرك " صنعه أبي عبد الله ، عبد السلام بن محمد بن عمر علوش ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، (1418هـ . 1998م)

127	نيسابوري ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري / (206 هـ . 261 هـ) ، صحيح مسلم ، طبعة مميزة ومرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، د . ط ، د . ت
128	هاشم، د. احمد عمر، وسطية الإسلام، سلسلة كتب التصوف الإسلامي/ كتاب 42، د.د، د.ط، د.ت
129	هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، راجعه عبد الرزاق عفيف، مؤسسة مكة للطباعة، من مطبوعات الجامعة الإسلامية / المدينة المنور، ط4، (1396هـ)
130	هندي، د.صالح نيا ب ، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع العالمية، عمان ، ط3، (1402هـ - 1982م)
131	يوسف ، محمد خير رمضان ، خصائص الإعلام الإسلامي ، دار العمير للثقافة والنشر ، ط2 ، (1412 هـ . 1991 م)

